

أَهْلُ الْبَيْتِ
أَحْسَنُ بَنِي عَسَى

أهل البيت الحسن بن علي

للأستاذ

توفيق أبو عَلم

الطبعة الخامسة



دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

أبو عزم ، توفيق .
أهل البيت : الحصن بن علي .
توفيق أبو عزم .
ط ٥ - القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٨ .
٢٩٢ ص ١ ١٩ سم . (أهل البيت)
تكم ٨ - ٧١٩٥ - ٠٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ - أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .
٢ - الحصن بن علي ، الحصن بن علي ابن أبي طالب للهشمي تفرسي
٩٢٤ - ٩٧٠ .
(١) العنوان .

يوليو ٢٢٩٠٨

١/٢٠٠٨/٣٠

رقم الإيداع ٢٠٠٨/١١٦٤٤

تفانير : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع .

هاتف : ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: m2aref@idsc.nct.eg

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً]

« سورة الأحزاب »

من آية ٣٣

[قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى]

« سورة النور »

من آية ٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام في أكمل صورها على سيدنا ومولانا النبي العربي الأُمي محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي ختم الله به المرسلين ، وجعله رحمة للعالمين ، وهدى به إلى الحق وإلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور .
ورضى الله أحسن الرضا عن آله الأَطهار الأخيار ، وعن صحبه الكرام الأبرار ، وعن والاهم بإحسان إلى يوم الدين أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

وبعد فعندما بدأت الكتابة عن أهل البيت كانت مهمتي سهلة وصعبة وتأتى السهولة عن بعض الشخصيات الكريمة من أهل البيت لكثرة مصادرها ، وصعبة في الكتابة عن بعضها الآخر لقلة ما كتب عنه وفي مقدمتهم سيدي أمير المؤمنين أبي محمد الحسن السبط رضى الله عنه ، وقد كنت أهيئ دراسة هذه الشخصية فالذين كتبوا عنه وهم قليل حاولوا أن يشوهوا وجه الحق ويفسدوا حرية البحث ، واستعنت بالله وبدأت أبحث وأنقب ووجدت نظريق أمامي ليس ممهداً ، فالمكتبة العربية ينقصها المراجع عن الإمام

الحسن ، وعلى العكس هي زاخرة بالمؤلفات عن الشهيد الإمام الحسين رضى الله عنه ، ولست أدري السبب الذى من أجله أحجم الكثير عن الكتابة عن هذه الشخصية الفذة ، ففيها نواح كثيرة جديرة بالبحث والدراسة ، فهو بلا شك رجل السلام الأول فقد خاف الله فى دماء المسلمين فلم يرد أن يلى أمر أمة محمد وتراق فى سبيل ذلك محجمة دم ، كما قال حين تنازل عن الخلافة لمعاوية على الرعم من معارضة أهله وأنصاره ، ومرة أخرى تجده يشد السلام حينما يدرأ الحدود بالشبهات حين شكّا إلى الإمام الحسين السم الذى شربه غدراً ومات به ، فسأله الإمام الحسين عمن سقاه فقال الإمام الحسن : لتقتله ، فقال نعم ، فقال ما أنا بمخبرك ، إن يكن صاحبي الذى أظن فالله أشد نفعة ، وإلا فما أحب أن يقتل بى برىء .

وقد يظن بعض الناس أنه خالف أباه فجنح للسلم مع أن الإمام علياً كان أيضاً رجل سلام ، وإذا كانت الظروف قد اضطرتّه إلى الحرب فقد كان مجتهداً ، وكذلك كان الإمام الحسن فى سلمه مجتهداً .

وقد استمر حريصاً على السلام حتى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فأوصى أخاه الإمام الحسين أن يدفنه إلى جانب جده المصطفى صلى الله عليه وسلم فإن أبوا فلا يقاتلهم بل يدفنه إلى جانب أمه السيدة الزهراء .

وقد لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيد وقال عليه الصلاة والسلام : (إن أبى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) .
وعند تتبعى لتاريخ الإمام الحسن وجدت أن العناية الربانية قد هيّأت

لأن يكون إماماً كاملاً ، فوعى في طفولته الباكرة أحاديث عن جده صلى الله عليه وسلم أخذها عنه الرواة ، ثم لازم والده الإمام علياً وعرف من بحره الزاخر حتى أصبح معلماً للناس وللناشئة من أهل البيت ، فكان الإمام بحق هم والأئمة من بعده .

وهو العابد الذي حج بيت الله عشرين مرة ماشياً على قدميه وإبله تقاد من بين يديه ويقول تواضعاً لله إني أستحي أن أذهب إلى بيت الله الحرام راكباً . أما عن تعدد الزوجات وقد صال فيها وجال بعض الجهال ، وقد نسوا أن زمن الإمام غير زماننا ومعاييره غير معاييرنا ، فقد كان تعدد الزوجات في أيام الإمام الحسن مستحسناً لربط العصبيات والإكثار من الذراري المقاتلين ، ولئن كان التعدد مستحباً لغير أهل البيت فقد كان لهم مستحباً ، لأن سلالة النبي صلى الله عليه وسلم أمان ورحمة لأهل الأرض ، وزواجه الكثير دليل عظمته الروحية في الناس .

وقد كان الإمام حلو الحديث عف اللسان - لا تصدر عنه الكلمات النابية ، وكان يأخذ الأمور بالروية فلا يذهب عنه الرشد بغضب أو تمرع ، كل ذلك في هبة ووقار يحسب حماها صاحب السلطان في عرشه ، حتى لقد قال معاوية : (والله ما رأيته جالساً عندي إلا خفت مقامه) .

وكان الإمام مواسياً المنكوب في ساعة العسرة وإن تباعد عنه أحباؤه فقد خرج مع أبيه وأخيه يودع الصحابي الجليل أبا ذر - رضى الله عنه - وهو خارج إلى الربذة مما أثر في نفسه ، فخطبهم قائلاً : (رحمكم الله أهل

بيت النبوة ما لى بالمدينة سكن ولا شجن غيركم إذا رأيتم ذكرتم بكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

أيها لسيط الكريم :

إن ما وقع لكم من الدنيا وأهلها يحير الألباب ، لكننا أخذنا عنكم الرضا
بالمقدور وإن كان مرًا ، فذلك من علامات ليقين بالله ، وأخذنا عنكم أن
أفعال الله سبحانه وتعالى كلها حسنة وإن خالفت هوانا لأن حكمة الله
دقت فخفيت عن العقول هذا فى باطن الأمر ، أما فى ظاهره فقد عدل ابن
أبيك الإمام على زين العابدين ما وقع لكم خير تعيل حين قال :

عتبت على الدنيا فقلت إلى متى أكابد ههنا يؤسه ليس يجلى

أكل شريف من على نجاره حرام عليه العيش غير محلل

فقال نعم يابن الحسين رميتكم بسهمى عناد منذ طلقنى على

فأشار إلى ما كان قاله أنوك أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وهو يخاطب

الدنيا : (إليك عنى يا دنيا ألى تعرضت - أم إلى تشوقت هيهات غرى

غبرى لقد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها) .

وقد نظرت إلى الإمام الحسن على قصر عهده فى خلافته فوجدته

رجل إدارة وسياسة ، فقد بلغ الدقة فى تصريف الأمور فإذا بالصلح

الذى حاكه على معاوية أداته الجبارة للقضاء على خصومه فى التاريخ دون أن

يكون ثمة أية مساومة على بيعة أو خلافة أو على مال ، وإذا كل خطوات

الإمام الحسن وكل إيجاب أو سلب فى سياسته محققاً أو منتصراً أية من

آيات عظمته التي جهلها الناس وظلمها المؤرخون .

ولقد عنت أشد العناية بموضوع صلح الإمام الحسن مع معاوية لأنه في اعتقادي موضوع هام يستحق البحث والعناية . ويخطئ من يظن أن الإمام الحسن هو الذي طلب الصلح ، بل الحقيقة أن معاوية هو الذي بدأ المحاولة ، وقد أبرز هذه الحقيقة الإمام الحسن في خطابه الذي ألقاه في المدائن فقال : « ألا وإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة . . . » وزيادة على أن معاوية هو الذي فكر ودبر وطلب الصلح فإن وسائله التي بها فكر كانت من النوع المحبوك الصنع ، فباع القائد في جبهة العراق ضميره لمعاوية بالمال ، وباع معه أكثر الرؤساء ضمائرهم ، وأصبحت معسكرات الإمام الحسن تنعج بالشائعات التي راحت تمطر أنصاره بوابل من الويل والشور والمخاوف ، وكما يقال : (إذا أصبح الحسن نفسه لا يتسنى له تنفيذ أوامره في جيشه بما فعلته الأراجيف من حوله بل لا يستطيع الظهور بشخصه أمام الكثرة من جنوده إلا ليقتال) فهل من سبيل إلا الصلح ؟

على أن نصوص معاهدة الصلح التي أبرمت بينهما تدل دلالة قاطعة على بعد نظر الإمام الحسن وحكمته السياسية ، ومنذ القدم تقاس الشخصيات التاريخية البارزة من مواقفهم من شروطهم التي يأخذونها على أنفسهم باختيارهم . وكون معاوية لم يف بوعده بل عبس وتولى وندم على ما أعطى فهذا هو معدنه وهذه هي طريقته .

أراد الإمام الحسن بالصلح أن يحل لمعاوية الميدان ويسلم له الأمر ويرفع

الخصومة حتى يظهر ما يبطن ويبطن ، ويرفع عن وجهه ذلك الغشاء الصفيق ويعرف الناس حقيقة أمره وكامن سره وهكذا فعل .

وفور إبرام الصلح صعد المنبر في جمع غفير من المسلمين وقال : « إني ما قاتلتكم لتصدموا ولا لتضلوا وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطيت الحسن شروطاً كلها تحت قدمي » .

وهذا القول يدل على نية معاوية في خرق شروط الصلح كما منرى ذلك تفصيلاً ، كذلك لولا الصلح ما قتل حجر بن عدى وغيره من خيار الصحابة وائتاعين ، كذلك قيل إنه لولا الصلح ما قتل معاوية الصحابي عمرو بن الحمق وحمل رأسه إلى الشام وهو أول رأس حمل في الإسلام ، ولولا الصلح لما سقى معاوية الحسن السم على يد جعدة بنت الأشعث ، ولولا الصلح لما أحبر معاوية البقية الصالحة من أولاد المهاجرين والأنصار على أخذ البيعة ليزيد ، ولنظر إلى ما صنعه الحسن بمعاوية في صلحه وكيف أن هذا الصلح هد جميع مساعيه حتى ظهر الحق ورهق الباطل وخسر هالك المبطلون . فكان الصلح في تلك الظروف هو الواجب والمتعين على الحسن ، كما أن الثورة على يزيد في تلك الظروف كانت الواجب على أخيه الحسين ، كل ذلك للتفاوت بين الزمانين والاختلاف بين الرجلين .

وقد كان صلح الحسن الذي فضح معاوية وشهادة الحسين التي قضت على يزيد هما السبب في انقضاء الدولة الأموية .

لقد وقف السبطان بما لهما من قوة وسلطان سداً منيعاً دون ذلك البيان

وما تم لهما ما أرادا من حفظ شريعة جددهما إلا بالتضحية العظمى بأنفسهم وأموالهم ورجالهم وأطفالهم ، وبكل ما في دنيا النعمة والتعميد بذلوا كل ذلك في سبيل الله ولحفظ دين الله .

ولولا نصيحة الإمام الحسن الذي تجرع السم من معاوية والإمام الحسين الذي ضرب المثل الأعلى في التضحية ، فاستقبل السيوف والرماح والسهام والذي جعل صدره ورأسه وقاية عن المعاول ، لولا هذه التضحيات لأصبح دين الإسلام أسطورة من الأساطير .

وأخيراً نحمد الله ونشكر فضله أن جعلنا من المحبين لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنهم شجرة النوة ومهبط الرسالة ومنبع الرحمة ومعدن العلم وينابيع الحكمة ، فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقاً وإن صمتوا لم يسبقوا ، ناصرهم ومحبيهم يرجو رضوان الله تعالى ويستمطر رحمته ونفحاته ، وعدوهم ومبغضهم يستقبل نقمة الله تعالى ، بهم اهتدينا إلى الصراط المستقيم وعن طريقهم عرفنا الدين الحق القويم ، بهم خرجنا من الظلمات إلى النور وفي صحبتهم تمتع إن شاء الله تعالى بقصور الجنة ونعيمها ، هم أساس الدين وعماد اليقين ، فمن عبد الله بن الحسن المثني عن أبيه الحسن السبط رضى الله تعالى عنهم جميعاً قال : خطب جدى المصطفى صلى الله عليه وسلم يوماً - فقال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه (معاشر الناس إني أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقليين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن تمسكنم بهما لن تضلوا ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فتعلموا منهم ولا

تعلموهم فإنهم أعلم منكم ، ولا تحلوا الأرض ولو خلت لانشاخت بأهلها .
ثم قال اللهم إنك لا تحلى الأرض من حجة على خلقك لئلا تبطل
حججتك ولا تنزل أولياءك بعد إذ هديتهم أولئك الأقلون عدداً والأعظمون
قدراً عند الله عز وجل . ولقد دعوت الله تبارك وتعالى أن يجعل العلم والحكمة
في عقي وعقب عقي وفي زرع وزرع زرعى إلى يوم القيامة فاستجيب لي (

توفيق أبو علم

والحمد لله رب العالمين

الاسم الحسن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

«أما الحسن فإن له هيبتي وسؤدي»

أما الحسين فإن له جرات وجودك

رواه الشيخ طبري

من بيت أذن الله أن يرفع ويدكر فيه اسمه ، استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم حفيده وسطه^(١) الأكبر سيد شباب أهل الجنة في ليلة النصف من شهر رمضان^(٢) المبارك الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وكان ذلك في السنة الثالثة من الهجرة . وهذا يكون أول مولود ذكر في أشرف بيت عربي عريق في النسب ولعزة .

ولما أذيع نبأ ولادة الصديقة بالمولود الجديد غمرت موجات من السرور وانفرح قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، فسارع إلى بيت ابنته منزل الإمام علي وبأدى :

يا أسماء ، هايتني ابني .

فأسرعت أسماء ودفعته إليه في حرقه صفراء .

(١) السبط في اللغة : ولد الولد ، والأسباط في بني إسرائيل تقابل قبائل عند العرب

(٢) قال الأستاذ محمد فريد وجدي في دائرة المعارف : إن ولادة الحسن كانت قبل الهجرة

بست سنوات ، وهذا يخالف إجماع المؤرخين ، لأنه في هذا الوقت لم يكن الإمام علي متزوجاً من الزهراء .

فقال : « ألم أعهد إليكم ألا تلقوا المولود في خرقة صفراء » .

وأذن صلى الله عليه وسلم في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، وكان أول صوت سمعه المولود الجديد هو صوت جده الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكانت أنشودة هذا لصوت « الله أكبر لا إله إلا الله » .

وهذه الكلمات المنظوية على الإيمان بكل ما له من معنى يستقبل بها الرسول صلى الله عليه وسلم سبطه فيغرسها في أعماق نفسه ويغدى بها مشاعره وعواطفه لتكون أنشودته في بحر الحياة .

ولتقت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإمام على أمير المؤمنين الذي تاه فرحاً إذ صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذرية منه يفخر بنسبتها إليه على كافة الناس ، وقال له : « هل سميت الوليد المبارك ؟ » .

فأجابه الإمام : ما كنت لأسبقك يا رسول الله .

وما هي إلا لحظات وإذا بالوحي يتأجج الرسول ويحمل له التسمية من الحق تعالى ، يقول له جبريل : « سمه حسنا » .

ولم يعرف هذا الاسم في الجاهلية .

وجاء في الاستيعاب : أنه لما ولد الحسن عليه السلام جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أروني ابني فما أسميتموه ؟ قالوا : حرباً ، فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو حسن ، فلما ولد الحسين قال : أروني ابني فما أسميتموه ؟ قالوا : حرباً ، فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو حسين ، فلما ولد الثالث قال : ما سميتموه ؟ قالوا : حرباً ، فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو محسن .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « إني سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير » .
ولست أجزم إذا كانت هذه الرواية صحيحة ، لأن العداء بين الهاشميين
وآل حرب غير خفى ، فما هو المجد لآل البيت بتسمية أبنائهم باسم حرب
الذى يتنمى إليه الأمويون ، وثانياً أن إعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عن
اسم حرب حين ولادة الحسن عليه السلام كاف في إعراض آل البيت عن
تسمية الحسين والحسن بهذا الاسم .

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال : لما ولد
لى الحسن سميت به باسم عمى حمزة ، ولما ولد الحسين سميت به باسم أخى جعفر ،
فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله قد أمرنى أن أغير اسم
هذين فسماهما حسناً وحسباً ، وهذه الرواية قد تكون ضعيفة ، فإن الرسول
صلى الله عليه وسلم أسمى حفيديه عقب ولادتهما .

وعن الصادق عليه السلام قال : « عى رسول الله عن الحسن بيده
وقال : بسم الله عقيقة عن الحسن وقال : اللهم عظمها بعظمه ولحمها بلحمه
ودمها بدمه وشعرها بشعره ، اللهم اجعلها وفاء لمحمد وآله » .

وفى رواية : عى عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذاً وديناراً ، وقال :
يا فاطمة اخلقى رأسه وتصدقى بزنة شعره فضة ، وأجرى صلى الله عليه وسلم
الختان فى اليوم السابع من ولادته ، لأن ختان الطفل فى ذلك الوقت أطيب
له وأظهر . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « طهروا أولادكم يوم
السابع ، فإنه أطيب وأظهر وأسرع لنبات اللحم ، وأن الأرض تنجس من

نون الأعنف أربعين يوماً .

وفي أسد الغابة يسده عن أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ، أنها قالت : يا رسول الله ، رأيت كأن عضواً من أعصائك في بيتي ، قال : حيراً رأيت ، تند فاطمة علامةً فترصعيه بين قتم ، فولدت الحسن فأرصعته بين قتم .

ألقابه رضي الله عنه

الإمام الحسن سيد وسط

يلقب رضي الله عنه بألقاب كثيرة . وهي :

الثقي ، والخطيب ، وزكي ، ولولي ، وسبط ، والسيد ، وأمير المؤمنين ، والحجة والزاهد والمجتبي ، وأشهرها السبط ، وأعلاها السيد . ومن كناه أبو محمد وأبو القاسم .

فقد روى البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي معه ، وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول : « إن النبي هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وسنعود إلى هذا الحديث لكريمه بالتفصيل فيما بعد ، وكذلك السط .

ويكنى رضي الله عنه بأبي محمد ، كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي أسد الغابة : أن الكنية هي أن تصدر بأب أو أم ، وهي من سنن

الولادة ، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام : « إنا لنكفي أولادنا في صغرهم مخافة النزع أن يلحق بهم » .

به سيد شباب أهل الجنة ، وأحد الاثني الذين انحصرت درية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، واحد الأربعة الذين ناهل بهم النبي صلى الله عليه وسلم نصارى بحران ، واحد الخمسة ، أصحاب الكساء ، وهو أحد المطهرين من الرجس في الكتاب ، واحد الذين جعل الله مودتهم أجر لرسالة ، وجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد الثقلين الذين لا يفصل من تمسك بهما ، وهو ربحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحبيه الذي يحبه ويدعو الله أن يحب من أحبه .

وكانت ملامحه تحاكي حده الرسول ، ووصفه وصفوه فقالوا : « لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن بن عليّ عليه السلام خلقاً وخلقاً وحيأةً وهدياً وسودداً » .

وعن العزالي في الإحياء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحسن رضي الله عنه : أشبهت خلقي وخلقي . وعن أنس بن مالك قال : « لم يكن أحد أشبه بالنبي من الحسن بن عليّ » . وعن عليّ رضي الله عنه أنه قال : « الحسن أشبه برسول الله ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك » . وفي الإصابة عن النبي قال : « تذاكروا من أشبه النبي صلى الله عليه وسلم من أهله ، فدخل عليهما عبد الله بن زبير فقال : أنا أحدثكم بأشبه أهله به وأحبهم إليه الحسن بن عليّ » .

ولكن يتأى ذلك ما حكى عن الزهراء رضى الله عنها أنها كانت ترقص
الحسن عليه السلام وتقول :

أشبهه أباك يا حسن وأخلع عن الحق الرسن
وأعبد إلهاً ذا منن ولا توالِ ذا الإحن
وقالت للحسين :

أنت شبيه بأبى لست شبيهاً بعلى
وروى البخارى عن عتبة بن الحارث قال : « صلى بنا أبو بكر العصر ،
ثم خرج فرأى الحسن بن على يلعب فأخذه فحمله على عنقه وهو يقول :
بأبى شبيه بالنبى وليس شبيهاً بعلى » وعلى يضحك .

وكان الحسن أبيض اللون مشرباً بحمرة أدهج العين والأدهج شدة
فى سواد العين مع سعتها « ذا وفرة » الوفرة : الشعر السائل على الأذنين عظيم
الكراديس^(١) سهل الخدين دقيق المسربة ، كث اللحية ، بعيد ما بين
المنكبين جعد الشعر ، حسن البدن ، ربة ليس بالطويل ولا بالقصير مليحاً
من أحسن الناس وجهاً يخضب بالسواد ، وقال ابن سعد : « كان الحسن
ولحسين يخضبان بالسواد » . أو كما قال الشاعر :

ما دب فى فطن الأوهام من حسنٍ إلا وكان له الحظ الخصوصيُّ
كأن جبهته من تحت طرته بدر يتوجه الليل البهيمى

(١) الكراديس : جمع مفردة الكردوسة وهى كل عظمين الثقيا فى معصل أو العظم الذى
يجتمع عليه اللحم ، والمراد ضخم الأعضاء .

قد حلّ عن طيب أهل الأرض عنده ومسكه فهو الطيب السماوي
نشأ الإمام الحسن رضي الله عنه في بيت الوحي وترى في مدرسة التوحيد
وشاهد جده الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو أكمل إنسان ضمه هذا
الوجود جمع الناس على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، فتأثر السبط بذلك
وانطلق يسلك خطى جده في نصيح الناس وإرشادهم ، فقد اجتار مع أخيه
سيد الشهداء رضي الله عنه وهما في دور الطفولة على شيخ لا يحسن الوضوء ،
فلم يدعهما السمو في النفس وحب الخير للناس أن يتركوا الشيخ على حاله
لا يحسن وضوءه فأحدثا نزاعاً صورياً أمامه ، وجعل كل منهما يقول للآخر :
أنت لا تحسن الوضوء ، والتفتا إلى الشيخ بأسلوب هادئ وجعله حكماً بينهما
قائلين له : « يا شيخ كل واحد منا يتوضأ أمامك وانظر أي الوضوئين أحسن ؟ »
فتوضأ أمامه وجعل الشيخ يمين في ذلك فتنبه إلى قصوره وانفت إلى تفصيله
من دون أن يأنف وقال لهما : « كلاكما يا سيدى تحسان الوضوء ، ولكن
هذا الشيخ الجاهل هو الذي لا يحسن ، وقد تعلم الآن منكما وثاب على
يديكما » .

وتدل هذه الواقعة على اتجاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الهداية بالطرق
السليمة والأخلاق الرفيعة ، وقد انطبعت في ذهن الإمام الحسن عليه السلام
وهو في دور الصبا حتى صارت من خصائصه ومن طبائعه ، وبذلك يكون
الإمام قد تأثر بالبيئة الصالحة التي تكونت من أسرته ومن خيار المسلمين
وصلحائهم .

وكان الإمام الحسن أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم ، وكان إذا حج حج ماشياً ورعاً مشى حافياً ، وعن ابن عباس أنه قال : ما ندمت على شيء فتنى في شيائي إلا أني لم أحج ماشياً ، ولقد حج الحسن بن علي عليهما السلام خمساً وعشرين حجة ماشياً ، وكان إذا توضأ أو صلى ارتعدت فرائضه واصفر لونه . ولا يمر في شيء من أحوله إلا ذكر الله سبحانه وتعالى ، وكان حليماً ورعاً فضلاً دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الديب والمملك رعة فيما عند الله ، وقال : « والله ما أحببت منذ علمت ما يفعمني ويضرمني أن إلى امر أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أن يراق في ذلك محجمة دم - أو ليس تنازل الإمام الحسن عن الخلافة هو الزهد بعينه ، قالوا : « وكان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم في الدنيا » .

وقد كان الإمام الحسن يخاف الله ، وقد روى أن رجلاً سمعه ينادي ربه ويبيكي .

فقال له : أتخاف عذاب الله وعذبك أسباب النجاة ؟ أين رسول الله وشفاعته صلى الله عليه وسلم ، ورحمة الله التي وسعت كل شيء ؟
فقال الإمام الحسن : أما إني ابن رسول الله ، فإله يقول : (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم) .

وأما الشفاعة فهو سبحانه يقول : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) .

وأما الرحمة التي وسعت كل شيء ، فإله يقول (فسأكتبها للدين يتقون) .

فكيف الأمان يا أخا العرب ؟

وكان الإمام الحسن عذب الروح ، حلو لحديث ، كريم المعاشرة ، حسن الألفة ، محباً إلى الناس ، يحبه أتباعه من شباب قريش والأنصار ، لهذه الخصال ويحبه الشيوع من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الخصال نفسها ولكانه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحبه عامة الناس لكل هذا ، ولسخائه وجوده ، ولعل هذه الصفة من الصفات الباهرة التي يشترك فيها مع الإمام الحسين رضي الله عنه ، فقد كان الإمام الحسن يعطي الناس حين يسأل حين لا يسأل ، وكان يصبح فيصلي الصبح ويجلس في مكانه حتى إذا ارتفعت الشمس طاف بأمهات المؤمنين زائراً لمن متحدثاً إليهن ، يبرهن ويررنه ويهدي إليهن ويهدي إليه ، ثم يفرغ لبعض شأنه ، فإذا صليت الظهر جلس للناس في المسجد فأطال الجلوس يسمع منهم ويقول لهم ، يعم من احتاج منهم للعلم ، ويؤدب من احتاج منهم إلى الأدب ويسمع من شيوخ الصحابة من يفيده علماً وأدباً .

وكان في أثناء هذا كله إذا ذكر السلطان أو ذكر السلطان عنده يعرف الخير وينكر الشر في أرق لفظ وأعذب ، ولكنه كان يشتد حتى يبلغ القسوة إذا ذكر أموه بغير ما يحب ، أولق من يعنى أباه العوائل ، أوسعى إليه بمكرهه ، وكان بعد هذا كله يحسن كما أحسن الله إليه ولا ينسى نصيبه من الدنيا^(١) . وكان الإمام الحسن أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً ، وكان إذ بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول : «إلهي ضيفك بنايك يا محسن قد

أتاك المسىء فتجاوز عن قبيح ما عندى بجميل ما عندك يا كريم .
 وروت زينب بنت أبي رافع قالت : « أتت فاطمة بابنيتها إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في شكواه التي توفى بها ، فقالت يا رسول الله هذان ابناك
 فورثهما شيئاً .

فقال : أما الحسن ، فإن له هيبتي وسؤددى ، وأما الحسين فإن له
 جرأتى وجودى .

وقال الطبرسى في أعلام الورى : ويصدق هذا الخبر ما رواه محمد
 ابن إسحق قال : ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما بلغ الحسن بن على ، كان يسط له على باب داره ، فإذا خرج وجلس
 انقطع الطريق فما يمر أحد من خلق الله إجلالاً له ، فإذا علم قام ودخل بيته
 فيمر الناس . قال الراوى : ولقد رأيته في طريق مكة نزل عن راحلته فمشى
 فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشى حتى رأيت سعد بن أبى وقاص قد نزل
 ومشى إلى جنبه .

أما عن شرف النسب فكفى الحسن والحسين أن جدتهما محمد المصطفى
 سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وآباهما على المرتضى ، وأمهما فاطمة البضة
 الزهراء سيدة النساء وجدتهما خديجة بنت خويلد ، وعمهما جعفر وعم أبيهما
 حمزة أسد الله وأسد الرسول وسيد الشهداء وجدتهما أبو طالب ناصر الرسول
 صلى الله عليه وسلم والمدافع عنه والمتحمل الأذى في سبيله وجد أبيهما
 عبد المطلب شية الحمد وسيد البطحاء ، وجد جدتهما هاشم مطعم الحجيح

وهاشم الثريد وسيد قريش :

شرف تُورث كابراً عن كابر كالرمح أنبياً على أنبوب
خير الفروع فروعهم وأصولهم خير الأصول

الرسول والحسن والحسين

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب الحسن والحسين فيقول : اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ويقول : أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم ويبتلى قائلا اللهم أحب من أحبهم وابغض من أبغضهم ، ووال من والاهم وعاد من عاداهم ، وأعن من أعانهم ، واجعلهم مطهرين من كل دنس معصومين من كل ذنب ، وبحق للرسول صلى الله عليه وسلم أن يتأثر بما يعرفه عن الطوايا ولنوايا نحو آله فيبكيهم أحياء ، لأنه بصقاء نفسه قد انكشف له العطاء عن أمور صدقها الوحي ، فأجاز لنفسه أن يبكي وقد أقل عليه الحسن وأن يقول : إلى يا بني ثم يذنيه ويجلسه على فخذه ويعدد ما ينزل آله من البلاء والتقتيل والتشريد والتكيل ، فيذكرهم واحداً واحداً ويقول : أما الحسن فإنه ابني وولدي ومني ، وقرّة عيني وضياء قلبي وثمرة فؤادي ، وهو سيد شباب أهل الجنة وحجة الله على الأئمة ، أمره أمرى وقوله قولي ، فمن تبعه فإنه مني ومن عصاه فليس مني ، وإني لما نظرت إليه تذكرت ما يجري عليه من الدل بعدى وعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته ويبكيه كل شيء وحتى الطير في كبد السماء والحيتان في جوف الماء ، فمن بكاه

لم تعم عينه يوم تعمى العيون ، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب ، ثم يرفعه على عاتقه ويعبث صرخة تتردد على الزمن : « إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة والحسن والحسين ريحانتي من الدنيا وهما سيدا شباب أهل الجنة » . وقد شرف لإمام الحسن جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما شرف أخاه الإمام أبا عبد الله الحسين السبط بأن نسبهما إليه بالنسوة ، وإن كانا من صلب علي كرم الله وجهه .

روى الترمذى من حديث أسامة بن زيد قال : « طرقت النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الحاجة فقال : هذان ابناي وإنما أنتي ، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

لذلك يقال لكل من نسبطين الحسن والحسين : « يا ابن المصطفى » . وكان رسول الله عليهما يعتز أنبوتهم صلى الله عليه وسلم ويهتمان به ، فيقول كل منهما له صلى الله عليه وسلم « يا أبت » فإذا هتف الحسن بأبيه على قال له « يا أبا الحسين » وإذا هتف الحسين بأبيه قال له « يا أبا الحسن » فلما انتقل جدهما صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى كانا يقولان لأبيهما « يا أبت » .

ومن ذلك نرى أن النسوة التي شرف بها مولانا الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله الكريم : « إن ابني هذا سيد » وقوله : « إني هما ابناي وإنما أنتي » ، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » أبدها القرآن الكريم ، في آية الباهلة حيث يقول الله سبحانه وتعالى : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ .

فقد جاء صلى الله عليه وسلم بالحسن والحسين وفاطمة تمشى خشفه وعلى خشفها وهو يقول لهم : « إنا أنا دعوت فأمنوا » .

وقد أتى أهل بحران الماهلة خشية أن يصيبهم عذاب الله ورضوا بدفع الجزية .

وروى الطبراني عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا . قال : « ولم يبايع صغيراً إلا منا » .

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين فجاء الحسن وهو ساجد فجلس على ظهره ، ورفع النبي رفعاً رقيقاً ، فلما فرغ من الصلاة وضعه في حجره فكان يدخل أصابعه في لحيته ورسول عليه الصلاة والسلام يضمه ويقلبه في حنان ويقول : اللهم إني أحبه ، ورأى المسلمون ذلك الحب الدقيق فقالوا :

يا رسول الله إنا رأيناك تصنع لهذا الصبي شيئاً ما رأيناك تصنعه لأحد ؟

هذا ربيحتي ، وإن ابني هذا سيد ، وعسى الله أن يصلح به بين فتين من المسلمين .

ونص النبي وحمل الحسن وسار ، فقدمه رجل ، فقال :

نعم المركب ركبت يا غلام .

- فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : وتعم الركاب هو .

ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجده بخطب ، وبينما عليه أفضل الصلاة والسلام يعظ المسلمين جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فلم يملك رسول الله نفسه ، بل نزل إليهما وأخذهما وعاد إلى المنبر وهو يضمهما إليه ، ثم وضعهما في حجره .

وقال : صدق الله العظيم : (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) .

ولقد شعر أصحاب الرسول بأن ذكر الحسن والحسين يدخل على نفسه الغبطة فسأله بعض الجلوساء يوماً : أى أهلك أحب إليك ؟ فأجابه : الحسن والحسين من أحببني وأحبهما وأباهما وأمهما كان معي في الجنة . وقول مرة لواحد من أصحابه : ادع ابني فأني له بالحسن وهو يشد حتى وقع في حجره فأحتضنه شغفاً .

١ الحسن والحسين سبطا هذه الأمة

لكل شيء أساس وأساس الإيمان الورع ، ولكل شيء فرع وفرع الإيمان الصبر ، ولكل شيء سنام وسنام هذه الأمة عمى العباس ، ولكل أمة سبط وسبط هذه الأمة الحسن والحسين ، ولكل شيء جناح وجناح هذه الأمة على بن أبى طالب [كثر العمال ج ٢ ص ٨٨]

وعن على بن الهلالى عن أبيه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحالة التي قبض فيها فإذا فاطمة سلام الله عليها عند رأسه فبكت

حتى ارفع صوتها ، فرفع صلى الله عليه وسلم طرفه إليها فقال : حبيتي فاطمة ما الذى يبكيك ؟ فقالت : أخشى الضيعة من بعدك . فقال : يا حبيتي أما علمت أن الله اطلع على أهل الأرض إطلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته ، ثم اطلع إطلاعة فاختار منها بعلك وأوحى إلى أن أنكحك إياه ؟ يا فاطمة ونحن أهل بيت فقد أعطانا الله سبع خصال لم تعط أحداً قبلنا ولا تعط أحداً بعدنا ، وأن خاتم النبیین وأكرمهم على الله عز وجل وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل ، وأنا أبوك ووصي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله عز وجل وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلى الله عز وجل وهو حمزة ابن عبد المطلب عم أبيك وعم بعلك . ومنا من له جناحان أحضران يطير هما إلى الجنة حيث يشاء مع الملائكة وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك ، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابنك لحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما - والذى يعنى بالحق - خير منهما يا فاطمة والذى يعنى بالحق إن منهما مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً ، وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض ، فلا كبير برحم صغيراً . ولا صغير يوقر كبيراً ، فبعث الله عز وجل عند ذلك من يفتح حصون الضلالة وقلوباً علماً يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان ، ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

٢ إن الحسين عليهما السلام خير الناس

جداً وجة وأباً وأماً

عن ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، ألا تحركم بخير الناس جداً وجة ؟ ألا تحركم بخير الناس عمّاً وعمّة ؟ ألا تحركم بخير الناس خلاً وخالة ؟ ألا تحركم بخير الناس أباً وأماً ؟ الحسن والحسين ، جدّهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحدثهما حديجة بنت خويلد ، وأمهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبوهما علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعمهما جعفر بن أبي طالب ، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب ، وحدثهما تقاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبخالاتهما ربيب ورقية وأم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحدثهما في الحجة وبخالاتهما في الحجة وهم في الحجة ومن أحبهما في الحجة .

(وفي ذخائر العقبى) وعن ابن عباس قال : بينما نحن ذات يوم مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت فاطمة سلام الله عليها تنكي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاك بُوك ما يبكيك ؟ قالت : إن الحسن والحسين خرجوا ولا أدرى بين بنا ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تنكي فإن خالفتهما ألطف بهما مني ومنك ثم رفع يديه فقال : اللهم احفظهما وسلمهما فهبط جبريل وقال : يا محمد لا تحزن فإنهما في حضيرة بني لبحر نائدين وقد وكل الله بهما منك يحفظهما ، فتقدم لبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه حتى أتى لحضيرة فإذا لحسن والحسين

عليهما السلام معتنقين نائمين وإذا الملك الموكل بهما قد جعل أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما يرضهما ، فأكب النبي صلى الله عليه وسلم عليهما يقلبهما حتى انتبها من نومهما ، ثم جعل الحسن على عاتقه الأيمن والحسين على عاتقه الأيسر ، فلتقاه أبو بكر وقال : يا رسول الله ناولني أحد الصبيين أحمله عنك ، فقال صلى الله عليه وسلم : نعم المولى مطيما ونعم المراكبان هما وأبوهما خير منهما حتى أتى المسجد ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدميه وهما على عاتقيه ثم قال :

يا معشر المسلمين ألا أدلكم على خير الناس جدًّا وجدة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله - قال : الحسن والحسين جدُّهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . خاتم المرسلين وجدتهما حديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة ، ألا أدلكم على خير الناس عمًّا وعمَّة ؟ قالوا بلى يا رسول الله - قال : الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب - أيها الناس ألا أدلكم على خير الناس خالا وخالة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله - قال : الحسن والحسين خالهما القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالتهما زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : اللهم إنك تعلم أن الحسن والحسين في الجنة وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة ومن أحبهما في الجنة ومن أبغضهما في النار .

٣ - الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة

- عن أنى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة - (وصحيح الترمذى أيضاً ، ص ٣٠٧)
روى بسنده عن زر بن حبيش عن حذيفة قال : سألتنى أمى متى عهدك ؟
تعنى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ما لى به عهد منذ كذا وكذا ،
فناثت منى فقلت لها : دعبنى آتى النبي صلى الله عليه وسلم فأصلى معه المغرب
وأسأله أن يستغفر لى ولك ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه
المغرب فصلى حتى صلى العشاء ثم انقضى فتبعته فسمع صوتى فقال : من هذا
حذيفة ؟ قلت نعم قال : ما حاجتك غفر الله لك ولأمك ؟ قال : إن
هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم على
ويشترى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيد شباب
أهل الجنة .

(وفى حلية الأولياء لأنى نعم) روى بسنده عن إبراهيم بن يزيد التميمي
عن أبيه قال : وجد على بن أنى طالب عليه السلام درعاً له عند يهودى
التقطها فعرّفها فقال : درعى سقطت عن جمل لى أروق ، فقال اليهودى :
درعى وفى يدى ، ثم قال له اليهودى ييى وينت قاضى المسلمين ، فأتوا
شريحاً (إلى أن قال) فقال شريح : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، إنهم
لدرعك ولكن لا بد من شاهدين فدعا قنبراً مولاه ولحسن بن على عليهما

السلام وشهدا أنها درعه ، فقال شريح : أما شهادة مولاك فقد أجزأها ، وأما شهادة امك لك فلا تحجزها ، فقال علي عليه السلام : ثكثت أمك أما سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

وفي تاريخ بغداد أيضاً : روى بسنده عن زر بن حبیش عن حذيفة قال : رأيت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تبشير السرور فقلنا : يا رسول الله لقد رأيت اليوم في وجهك تبشير السرور ، فقال ومالي لا أسر وقد أتاني جبريل فبشرني أن حسنا وحسينا سيدا شباب أهل الجنة وأبائهما أفضل منهما .

٤ - إن الله زين الجنة بالحسن والحسين

عن عقة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما استقر أهل الجنة في الجنة قالت الجنة : يا رب أليس وعدتني أن تريني مركبين من رُكبانك ؟ قال : ألم أزينك بالحسن والحسين ؟ قال : فهاست (١) الجنة ميساً كما تميز العروس .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحرت الجنة على نار فقالت : أنا خير منك فقالت النار : بل أنا خير منك ، فقالت الجنة : استفهماً ومعه ؟ قالت : لأن في الجنة

(١) هاست أي تبحرت

وعمرود وفرعون فأسكتت ، فأوحى الله إليهما لا تخضعن لأارين ركبيك بالحسن
والحسين . فاستكما تيمس لعروس في خدرها .

فيما حدثه الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال الحسن : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولن في
الوتر : اللهم اهديني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت ، وتولي فيمن توليت ،
وبارك لي فيما أعطيت ، وقى شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه
لا يذل من وليت . تباركت ربنا وتعاليت .

(وفي حلية الأوتياء لأبي نعيم) روى بسنده عن أبي الخوراء قال : قلت
لحسن بن علي عليهما السلام : مثل من كنت في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسمه وما عقلت عنه ؟ قال : عقلت عنه أني سمعته يقول : دع ما يريبك إلى
ما لا يريبك ، فإن شريرة وأخيرة طمأنينة ، وعقلت عنه لصوت الحسن
وكلمات أقولن عند انفصاخن ، اللهم هديني فيمن هديت ، وعافني فيمن
عافيت ، وتولي فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقى شر ما قضيت ،
إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من وليت . تباركت وتعاليت .

(وفي أسد الغابة لابن الأثير) روى بسنده عن عمير بن مأمون قال :
سمعت حسن بن علي عليهما السلام يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسمه يقول : من صلى صلاة بعدة فحسن في مصلاه حتى تطلع الشمس كان
له حجاب من النار ، أو قال : ستر من النار .

في معانقة النبي صلى الله عليه وسلم مع الحسن وتقبيله له

عن أبي هريرة قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى أتى سوق بني قينقاع فجلس بفناء بيت فاطمة سلام الله عليها فقال : أتم لكم أتم لكم ^(١) فحسته شيئاً فظننت أنها تلبسه سخياً ^(٢) أو تغسله فجاء يشتد حتى عانقه وقبته وقال : اللهم أحبه وأحب من يحبه . (صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق) في باب ما قرب الحسن والحسين عليهما السلام . روى بسنده عن البراء قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي عليهما السلام على عانقه يقول اللهم إني أحبه فأحبه .

وعن أبي هريرة قال : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي عليهما السلام وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : (من لا يرحم لا يرحم) .

وعن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حسنة وضمه إليه وجعل يشمه وعنده رجل من الأنصار . فقال الأنصاري : إن لي ابناً قد بلغ ما قبلته قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرايت إن كان الله نزع الرحمة من قلبك فما ذنبي .

(١) قال ابن الأثير المحزلي في نهاية غريب الحديث بمدة (لك) : (وقد يطلق على الصغير ومنه الحديث به عليه السلام جاء بطل الحسن بن علي قال : أتم لكم) فهو ضم اللام وفتح الكاف ثم العين المهملة

(٢) السخا ب هو حيط ينظم فيه حرور وبنيه لصبيان وغوري .

وقال ابن إسحاق حدثني مساور مولى بني سعد بن بكر قال : رايت
أبا هريرة قائما على المسجد يوم مات الحسن عليه السلام يبكي ويبدي
بأعلى صوته : يا أيها الناس مات اليوم حبيبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ حسدا
فيصمه إليه ثم يقول : اللهم إن هذا ابني وأنا أخيه وأحب من يحبه .

(مسند الإمام أحمد بن حنبل) روى بسنده عن المداك عن الحسن
عن أبي بكر : قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس وكان
الحسن بن علي عليهما السلام يثب على ظهره إذا سجد ففعل ذلك غير مرة
فقالوا له : والله إنك لتفعل بهذا شيئا ما رأيناك تفعله بأحد ، قال المداك :
فذكر شيئا ثم قال : (إن ابني هذا سيد وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين
فتين من المسلمين) . وقال أيضا (إنه ريحاتي من الدنيا وإن ابني هذا سيد
وعسى الله تبارك وتعالى أن يصلح به بين فتين من المسلمين) .

والمراد من الفتين العظيمتين من المسلمين في هذا الحديث وقد أصبح
الله تبارك وتعالى بينهما بالحسن بن علي عليهما السلام أهل الكوفة أصحاب
الحسن وأصحاب أبيه عليهما السلام ، وأهل الشام أصحاب معاوية بن
أبي سفيان ، الفئة الباغية بنص النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتواتر
المشهور ، (ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) .

وعن خالد بن معدان قال : وفد المقدم بن معدى كرب وعمرو بن
الأسود إلى معاوية فقال معاوية للمقدم : أعلمت أن الحسن بن علي عليهما

السلام توفي ؟ وقال أتراها مصيبة ، فقال ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره وقال : هذا مني وحسين من علي .

وعن انس قال : بين رسول الله صلى الله عليه وسلم واقدا دجاء لحسن عليه السلام يدرج حتى قعد على صدره ثم ناب عليه ، فحشت مطية عنه قال : ويحك يا انس دج بني وتمرة فودى فين من آدى همد فقد آدلى ومن آدى فقد آدى له .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسابق بينهما مرة فسق الحسن أخاه وعاد مسرع حتى رتمى في حجره فأخلده وقبضه قبلة فيها حتان وتقدير يخالطهما حذر ومرارة . ثم اجلسه على ركته اليمنى وفعل ذلك مع أخيه لحسين وأجلسه على اليسرى وسئل حينئذ : يا رسول الله أيهما أحب إليك ؟ فأجاب : أقول كما قال أنوباء إبراهيم - وقد قيل له : أي ابنك أحب إليك فقال : أكبرهم بنى محمداً . ويقول أبو هريرة وقد اتفق بالحسن بعد وفاة جده : إني قل منك حيث رأيت رسول الله يقبل ثم قبل ستره فقد كان النبي يفعل ذلك على دعوى في هريرة ، وكان يسم الحسن على عصبه ويرقصه ويداعبه ويباعيه مما دفع أباه هريرة بنى النقول : سمعت أذننى هاتان وابصرت عيذى هاتان رسول الله والحسن آخذ بكفيه جميعاً وقدم على قدم رسول الله وهو يقول له :

حرقه حرقه ترق عين بقه

فبرق الغلام حتى يضع قدميه على صدر جده فيقبله .

ما روى عن الحسن والحسين :

١ عن الرسول صلى الله عليه وسلم : أن الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه خاصة ، وجعل ذريتي من صلب علي بن أبي طالب ، فكانت ذريته صلى الله عليه وسلم منحصرة في الحسن والحسين وأبائهما .

٢ وروى عن أبي سعيد الخدري في حديث . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

٣ وفي شدة حب الرسول لهما يروي أنس بن مالك : مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » وكان يقول لفاطمة : ادعى لى ابني فيشمهما ويضمهما إليه ، كذلك يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال في الحسن والحسين : « لهما إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وعن زيد بن أرقم : « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده ، فمرت الزهراء خارجة من بيتها إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها الحسن والحسين عليهما السلام ، ثم تبعهما على ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ، فقال : « من أحب هؤلاء فقد أحسني ، ومن أبغض هؤلاء فقد أبغضني » .

وأخيراً بلغ من مزيد حبه وإشفاقه على سبطيه أنه كان يعوذهما خوفاً عنهما من الحسد . فقد روى أبو نعيم بسنده عن عبد الله ، قال : كنا جلوساً

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مر الحسن والحسين وهما صبيان ، فقال :
 « هات ابني أعوذهما بما عوذ به إبراهيم ابنيه إسماعيل وإسحاق فقال :
 أعينكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ، ومن كل شيطان وهامة »
 وليس في سجل المودة الإنسانية أجمل من هذا الحنان .

ما روى عن الإمام الحسن :

١ - وروت عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ حسناً فيضمه إليه . ثم يقول : « اللهم إن هذا ابني ، وأنا أخيه ، فأحبه وأحب من يحبه » .

٢ - وروى عبد الله بن عبد الرحمن بن الزبير قال : « أشبه أهل النبي صلى الله عليه وسلم وأحبهم إليه الحسن ، رأيت يحمي وهو ساجد فيركب رقبته أو قال : ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ، ولقد رأيت وهو راكع فيفرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر » .

٣ - وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إحدى صلاتي العشاء ، فسجد سجدة أطال فيها السجود ، فلما سلم قال له الناس في ذلك . فقال :
 « إن ابني هذا يعني الحسن ارتحلني فكرهت أن أعجله » .

٤ - وقال صلى الله عليه وسلم : « من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلي نظر إلى الحسن » ، وقأن صلى الله عليه وسلم : « الحسن ريحاني من الدنيا » .

هـ وروى أنس بن مالك ، قال دخل الحسن على النبي صلى الله عليه وسلم فأردت أن أميطه عنه . فقال صلى الله عليه وسلم : ويحك يا أنس دع ابني وثمرة فؤادي فإن من أدى هذا فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله .

خصائصه ومناقبه :

تحدث الرواة عن نبوغ الإمام الحسن الباكر ، فقد مكث بمقتضى ميراثه من الذكاء وسمو الإدراك ما لا يملكه غيره ، فكان لا يمر عليه شيء إلا حفظه ، وكان يحضر مجلس حده صلى الله عليه وسلم فيحفظ لوحى فينطلق إلى أمه فيلقيه عليها فتحدث به الإمام علياً فيتعجب ويقول : من أين لك هذا ؟ فتقول : من ولدك الحسن .

الزهراء والحسن

السيدة العظيمة فاطمة الزهراء التي لم تتجاوز أواسط العقد الثاني من عمرها إن نسبت فإلى أسمى عنصر وإن انحدرت فمن أطهر صلب ، تعيش في أكرم بيت بعيد عن الأرجاس تشملها عناية رجل يهبها من وقته ما يكفل تربيتها كما يريد لها لا كما تريد البينة الضالة ، إنها قرّة عين الرسول صلى الله عليه وسلم وبضعته تتطلع إلى ما يحتاج الجزيرة بحذر وتلاحظ ما يدور حول رسالة أبيها وما يعترضها من مصاعب يقطّعة ، فترى تمرد المتمردين وتغت المتعنتين ثم تختزن ذلك كله في حشّى متأثر يتسع للإحساس ، على حين تكون نفسها ثملة بنشوة الدين الجديد أو متألمة لما يلقاه حماته بسيله مسلمة إلى الله ، تختار هي هذه المراحل فتترسب آثارها في أعماقها وتستقر متبلورة في حشاها الذي يحتفظ بالحسن جيناً . فتحمل في قرارة نفسها توأمين اثنين : الجين والأحاسيس اللذين يتفاعلان بحكم الطبيعة ويصهران في بوتقة واحدة ، فيتأثر الجين كما تتأثر الزجاجية في آلة التصوير ، ويبدو مكشأً على نفسه إلى أن يخرج إلى هذه الدنيا بعد وقعة بدر ، وفي نفسه كل ما في نفس أمه الجائشة لما يلقاه أبوها وبعلمها والأنصار من ألوان التعت وويلات الحرب الدائمة ، فهو إذن يفعل بحكم طفولته ومرونة عقله ولين طباعه بصورة مستمرة .

فقد كان يكتشف حياة الزهراء التأمل العميق لأنها في تماس دائم مع حوادث تغير توجيهاها من اللامبالاة والبشر إلى التفكير والكمد ، ومن لحظة والاشراح إلى التسلل وتسليم ، فتضع وليدها على هذا الشكل وفي هذا الجو فإذا هو لا يقل عنها اتزاناً لما مارج تكوينه من حياة أمه ، فجاء مؤمناً وادعاً طلقاً قلقلاً تتردد حالاته بين طرفي هذه الأصداد وفي مداها دون ان يتجاوز احدها .

وتبدأ بعرض التعاليم في نفسه لتحعلها صافية وتنصرفه بكلية إلى لسماء ، فيشأ مجولاً على طياتها فضلاً عما أوتيته من شبه في الحق ، لأهم كما روى صورة عن التي ناطقة القسمات والملاحم فيبدو مقصوراً على ما نسجته أمه وظروفه ومحيطه في نفسه . فقد أخذت لأم بتلايته ولم تفر عن رعايته وتوجيهه توجيهاً دينياً خلقياً ، بل أعطته حل وقتها وهو الولد الأول وعملت على ترقية عقله وتقوية جميع جهاته المعنوية والفكرية (١)

ومن المعروف أن تربية الاجتماعية لحقة تبدأ في عهد لأمومة حيث يمارس الولد المحبة والطاعة والمحافظة على الواجبات والمقوق ، ويعلم تدوت الدرجات بين أفراد الجنس ويعتدى بالمبادئ الأولية للعقيدة ، لذ كانت الزهراء تعني بولدها كثيراً لأنها تخاف عليه من مستقل جائر يصفه حده وحده لا ينطق عن الهوى ، وكانت تتعلق به وبأخيه إلى حد تضطرب معه إذا فارقاها أو انصرفا عن البيت إلى غير جددها أو أبيهما ، فهي تلازمهما لتشتي فيهما المعرفة والآداب ولتحليهما بالعادات لحسة

وكانت وفاة الزهراء فاجعة ثقيلة على الحسن والحسين ، لأن عهدهما معها كان فترة من الزمن قصيرة ولكم بالرغم من قصر لمدة تمكنت أن تجعل الحسن كما جعلت أحاده طفلاً مهذباً متمرساً بفكرة الله ولدين ، كيف لا وقد ربي ونشأ في ظل رجلين وامرأة هم أعظم من أظلت السماء . يقول الحسن في إحدى المناسبات (رأيت أمي فاطمة في محراب راحة تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها شيء فقلت لها يا امه ألا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟)

فقالت : يا بني الجار ثم الدر فعلى مثل هذا الشهيد كادت تفتح عينا لطفل للنور .

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزهراء مرة فقالت له : يا أبا إن لنا ثلاثاً ما طعمنا طعاماً وإن الحسن والحسين قد اضطربا على من شدة الجوع ثم رقدا كأنهما فرخان ، فأيقظتهما النبي صلى الله عليه وسلم وأجلسهما على فخذه وجعل أمهما بين يديه وعلياً بجانبهما واعتنقهم جميعاً ورفع رأسه نحو السماء وقال : (هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . .) فطابت النفوس لهذا الدعاء وأحست ببرده وسلامه . وانحدرت دموع التسليم على الوجوه النضيرة - ولاست بركة الجد الولدين فأحسا بلطف خفي يروض نفسيهما ويروح قلبيهما . فنظرا إلى ثلاثة من حولهما قد عمر قلوبهم الإيمان فانطلق من وجوههم نور شكل هالة متألثة فارتعشا للمنظر المدهش واهترا له - ثم قرأ وسكنا - وخيمت عليهم جميعاً الرحمة فوجموا

وحوم تهيب والمهلع من رب عظيم يحاطيه نبي كريم ، ونظر الحسن بعين بصيرته فرى نفوساً نقية من كل ترك مظهرة من كل دنس . ففرق كما فرقت وهذا كما هدت واسم ونابع حده وعاهد لله على ذلك في تلك لحنة الرنة .

ورح هذا المشهد مع من راح وبقى لحسن يميزه من جميع مصارقاته لأنه وإن فرق لحد والام وهو في ثمانية من عمره قد كان في مرتبة من لتعقل والتفهم لا يشاركه فيها كثيرون من أساء هذه نس يد اكتملت فيه جميع عناصر الاستعداد الصحيح ومقومات تفكر لراحح .

حرج لحسن مرة وعاد فوجد أمه قد فارقت الحياة فوقع عيباً يقصدها ويكي وشيع أبيل وأشرف أم وعاد يتيماً من جده العظيم وأمه محروماً إلا من رحمة الله وأبيه رجع ليستظل ببيت ليس فيه جد رحيم ولا أم رءوم وليتطوى على نفسه ، ولكن أباه لم يجعل للباس إلى قلبه سبيلاً بل انتشله من دل لمصيبة واليتم وجمعه في كف ورف وظل ظليل

الحسن مع الإمام علي

كان الحسن يدعو جده رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا نبي) ويقولون لأبيه الإمام علي يا أبا الحسين . وكان الإمام ينصح لحسن إذا حضر ويكتب له إذا غاب فيحقر له الدنيا ويعظم له الآخرة ، ويتعهد في نفسه العقيدة دون أن ينسى مرافقة نمو مداركه وتقوية ملكة التبصر فيه ليجعله صمداً مبيعاً إلى أن يحدث معاني لسمو تكتمل في العلام . وتلاقت في نفسه أنواع للإرشادات فاحتمرت وقذفت به نحو المصباح شوط بعيداً . فصار له أثر في الشخصي ونقوة الذبابة .

وأصبح (١) يدعو والده إلى التعمود عن الحرب أو يحفره إذا ما قعد عنها ، وهو في هذا ودك فذله اجتهد صائب عليه برهان ودليل . فمن ذلك أنه رافق أباه إلى الحمل ، وإداهما في الرعدة اعتمدت في نفسه فكر مختلفة فصار بها وورثها ثم استنح وقال لأبيه في أثناء حثام الحذل : (ستقتل بمضيعة لا ناصر لك) ، فأجابه والده بشيء من الأناسة والرفق : (إنك لا تزال تحن عليّ حين الجارية وما لدى رأيته واستصوبته ؟) فيندفع الحسن إلى تفنيد رأي تبناه ويقول : (لقد رأيت لك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ، ثم رأيت لك يوم قتله ألا تنابع

(١) الحسن بن علي (كامل سلمان)

حتى تأتيك وفود العرب وبيعة أهل كل مصر فإيهم لن يقطعوا أمرٌ دونك
فايت على ، ورأيت لك حين خرجت السيدة عائشة وهذان الرجلان أن
تجلس في بيتك حتى يصطليحوا ، فإن كان الفساد كان على يد غيرك فلم
تقتنع مني بذلك كله .

وضاق صدر الولد وقال لابنه : أي بُني - أما قولك لو خرجت من
المدينة حين أحيط بعمان فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به - وأما قولك
لا تباع حتى يبايع أهل الأمصار فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن
يضيع هذا الأمر . ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرى أحد أحق
بهذا الأمر مني فبايع الناس أنا بكر فبايعته ، ثم توفي وبايع الناس عمر فبايعته ،
وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني ، فجعلني سهماً من ستة أسهم ، وبايع
الناس عثمان فبايعته - ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير
مكرهين . وأما قولك أن أجلس في بيتي حين خرج طلحة والزبير فكيف لي
بما قد لزمني .

وقد قال الحسن لأبيه يوم النهروان : يا أمير المؤمنين - أكان رسول الله
تقدم إليك في أمر هؤلاء بشيء ؟ فأجابه : إن رسول الله أمرني بكل حق ،
ومن الحق أن أقاتل المالكين ونقاسطين والمارقين .

وكان الإمام بوصى الإمام الحسن دائماً ويطلعه على ما طوى صدره من
العلم الثرار في ذلك قوله له : (يا بني احفظ عني أربعاً وأربعاً لا يضرك
ما عملت معهن : إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحق ، وأوحش

لوحشة العجب ، وأكرم الحسب حسن الخلق . يا بني إياك ومصادقة
الأحمق فإنه يريد أن ينفك فيضرك ، وإياك ومصادقة لبخيل فإنه يتعد
عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالكاف ،
وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عنك البعيد ويبعد عنك
القريب) .

ومن هذا نرى أن الإمام رضى الله عنه دائم السهر على ولده يشرح له
مصاحته المعهودة ويزوده من معارفه .

وفى واقعة الحمل كان الإمام الحسن فى ميمنة الخيش وأخوه فى الميسرة
والراية بيد لأخ الثالث محمد بن الحنفية وكان نواله يقذف بمحمد ويكف
الحسن ولحسن فليل لمحمد : (لم يفرر بك أبوك فى الحرب ولا يعرر
بأخويك ؟ فأجاب : إيهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عييه بيمينه)
فالحسن عند أبيه ساعد قوى والإمام على يزحف وأولاده من حوله
يشدون أزره ويستدون طهره - وقال الإمام لابنه الحسن فى هذه الواقعة :
(يا بني - ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً) ويرد الإمام الحسن :
(يا أبت لقد كنت أكره هذا) .

وبعث الإمام على رضى الله عنه بعثه إلى العراق وعلى رأسه الإمام
الحسن وكان يحمل كتاب والده الذى رسم فيه قصة مقتل عثمان ودور كل
من دعاة الانتقام فيه ونقل به إلى أذهانهم صورة حقيقة لأمر الحليفة
المقتول جعلت السامع كالمعين فهدأت عند تلاوته خواطرهم . وجاء فى هذا

لكتاب : (إني خرجت مخرجي هذا إما ظالماً أو مظلوماً وإما باعياً وإما
مبتغياً على فأشهد الله رجلاً بلغه كتابي هذا إلا نقر إلى فإن كنت مظلوماً
أعاني وإن كنت ظالماً استعيني . . .)

وإذا وصلت لبعثة وكان من أعضائها عبد الله بن عباس ، وعمار بن ياسر ،
وقيس بن سعد ، خرج إليهم أبو موسى - فقال له الحسن : (لم تشط الناس
عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء) .
فيجيب أبو موسى : (صدقت بأني أنت وأمي ، ولكن المستشار مؤتمن ،
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنها ستكون فتنة لقاعد فيها خير
من القائم ، وأتقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الزاكب ، وقد جعلت
الله إخواناً وحرم علينا دماءنا وأموالنا . . .)

وقد رد عليه عمار متجهاً إلى جمع غفير من الناس وقال : (أيها الناس
إنما قال له وحده أنت فيها قاعداً خيراً منك قائماً) . ثم قام الحسن وقال :
(أيها الناس إنا حشاً ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله ، وإلى أفقه
من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون ، وأفضل من تمضون وأوفى من
تأيعون ، من لم يعمه لقرآن ولم تحمله السنة ، ولم تقعد به السانقة إلى من
قربه الله تعالى ورسوله قربتين ، قرابة لدين وقرابة لرحم . إني من سبط الناس
إلى كل مأثرة ، إني كن من كفى الله به رسوله ولناست متخاذلون ، فقرب
منه وهم متساعدون ، وصلى معه وهم مشركون ، وقتل معه وهم مهزومون .
وذرر معه وهم مححسون ، وصدقه وهم يكذبون ، إني من لم ترد له شهادة

ولا تكافأ له سابقة . وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحق ويأمركم بالمسير إليه ، لتؤارروه وتنصروه على قوم نكثوا راية بيعته ، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ، ومثلوا بعماله ، واتهبوا بيت ما له ، فأشخصوا إليه رحمكم الله فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر واحضروا بما يحضره الصالحون) .

وفي مناسبة ثانية قام في الناس يدعوهم إلى نصرة الحق فقال : (أيها الناس إنه قد كان من مسير أمير المؤمنين ما قد بلغكم ، وقد أتيناكم مستغفرين لأنكم جهة الأنصار وروس العرب ، وإيم الله لو لم ينصره أحد منكم لرحوت أن يكون في من أقبل معه من المهاجرين والأنصار كخاية ، فأجيبو دعوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لئن يله أولو النوى أمثل في العاجل والآجل وخير في العافية ، فأعيبوا على ما ابتلياه واتليتم . وإن أمير المؤمنين يقول : قد خرجت معرجي هذا ظالماً أو مظلوماً فاذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا نفر ، فإن كنت مظلوماً أعانني ، وإن كنت ظالماً أخذ مني . . . والله إن طلحة والزبير لأول من نابعي وأن من غدر . . . فهل استأثرت أو بدلت حكماً . . . ؟) .

وفي مناسبة أخرى قال : (إن مما عظم الله عليكم من حقه ، وأسبغ عليكم من نعمه ، ما لا يحصى ذكره ولا يؤدي شكره ، ولا يبلغه قول ولا صفة . ونحن إنما غضبنا الله ولكم ، ولم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عقدهم فاحتشدوا في قتال عدوكم وجنوده ولا تعاذلوا . فإن لخذلان بقطع بياط لقلوب ، وإن الإقدام على الأسنة نحوه وعصمة .

ولم يتمتع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة وكفاهم حوائج الدلة ، وهداهم إلى معالم الملة . . .) .

على أن بعض المفرضين يتوهمون أن الحسن شاب حين إلى حد اللين لا يستجيب لظروف والده ، وإذا تراءت إيجابية فإلى قسط بسيط يشبه السلبية ، والحقيقة أن تصرفاته قد بلغت حيز ما يرجى فمره على طول ناع ، إذ رافق القضية وراعى تطورها بعقل رصين حصيف .

فها هو ذا^(١) في النخلة - قبل صفين بأيام - يشهد تبادل التحارير بين أبيه وخصمه ويراقب المتألمين ويتعرف إلى المخلصين ويمشى الأحداث بيقظة ليتسرب إليه قليل أو كثير عن القادة أو عن حالة أى إنسان لأن المصطرع هائل والأفق مرید ينذر بيوم يحمل وبلا وصغار ، وإنه لما استشم ريح الكوص من أبى موسى قبل ذلك بأيام وإذا تحقق ذلك بنفسه قال له بكبرياء : (اعتزلنا لا أم لك ودع مبرنا) . ثم تحاه .

وكان الحسن يلجئ أباه إلى عز الولاية وتعيينهم . بإشارته الرشيدة ، بل كان قبله أنظار الناس يقصدونه فيحيرهم عند والده ، ويعتدرون له فيقبل أعذارهم ، ويحاول لم شمل أصحاب أبيه . فمن ذلك أن الإمام عاتب سليمان ابن صرد الخزاعي وابنه على تخلفه عنه في وقعة الجمل فحمل هذا في نفسه شيئاً من الغيظ فاستلم الحسن إياه القضية لما قال له سليمان : (ألا أعجبت من أمر أمير المؤمنين ما لقيت من التوبيخ والتكيت) فأجابه الحسن :

(١) الحسن بن علي [للأستاذ كامل سليمان]

(إنما نعاتب من نرحو مودته ونُصححه) .

وقد كان الحسن يدفع بأبيه إلى السيوف دون أن ينسى موعظة نفسه ودون أن يدرأ عنها الخطر به ، إذ كان مع أخيه يبذلان النفس رخيصةً بين يدي المبدأ عندما رأيا المكروه يُحذَقُ بأبيهما . فراحا يستأذنانه ويرتحيان في المهالك غضباً لله وذمّاً عن الإمام وحزبه ، إلى أن أُلجّاه أن يقول لأصحابه : (املكوا عني هذين الغلامين فأبى أنفسهما عن القتل ، والله إلى لسحي بنفسي عن الدنيا طيب النفس بالموت ، ولقد هممت بالإقدام على القوم فنظرت إلى هذين قد ابتدأوا - يعني الحسن والحسين - ونظرت إلى هذين قد استقدما - يعني عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي - فعلمت أن هذين إن هلكا انقطع نسل رسول الله من هذه الأمة ، وكرهت ذا وأشفقت على هذين أن يهلكا)

وإذ احتار أبوه المستير من عمره أوصاه وصية تعطينا صورة جلية عن مكان الحسن من قلب أبيه فقال :

من الولد بقاني إلى المؤود المؤمل .

إن ما تبينت من إدبار الدنيا ما يزغني عن ذكر سوى ، غير أني وجدتكَ بعضي بل وجدتكَ كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابي ، فعناني من أمرك ما يعينني من أمر نفسي .

أوصيك بتقوى الله ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله ، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به ، أحى قلبك

بالمواظعة وقوة نيّيق ، ونوره بالحكمة ، وأعرض عليه أخضر الماصين ،
 وذكره بما أصاب من كان قبله من الأوثين ، وسر في ديارهم وآثارهم فأنصر
 في ما فعلوا وعما انقلبوا وأين حلوا ونزلوا ، ولا تبع آخرتك بدنياك وأمر بالمعروف
 تنكس من أهله ، وأنكر المنكر بيدك ولسانك ، وجاهد في الله حق جهاده .
 ويقول الإمام على لانه الحسن : رأيت أن يكون ذلك وأنت في مقتبل
 العمر ذو نية سليمة ونفس صافية وأن أبدأك بتعليم كتاب الله وعلم
 يا بني أنه لو كان لربك شريك لأنتك رسله ولرئت آثار منكه وسبعته
 ولعرفت فعله وصفاته .

ويقول الإمام : يا بني اجعل نفسك ميراناً فيما بينك وبين غيرك ،
 فحسب غيرك ما تحب لنفسك وأكره ما تكره له ، ولا تظلم كما لا تحب
 أن تُظلم واحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقمح ما تستقبح من
 غيرك وارضى من الناس عما ترضاه لهم من نفسك . إن أمانك طريقه
 مسافة بعيدة ومشقة شديدة ، المخفّ فيها أحسن حالا من المثلث والبطيء عليها
 أقبح حالا عن المسرع وإن مهبطك بها لا محالة إما على حجة وإما على نار .
 واستمر لإمام على في نصيحته لانه فلم يترك قاعدة فيها صلاح لقرد
 أو إصلاح المجموع إلا تبسط فيها لانه ليجعل منه رجلاً مطبوعاً على الخير
 لخالص ، يفكر بالآخرة دون أن ينسى نصيبه من الدنيا .
 واستفاد الإمام الحسن من هذه النصيحة وأصبحت دستوراً له دستور حق
 واسع الشمول واضح المعالم .

مع الشيخين

يظفر الحسن عليه السلام عقب وفاة جده صلى الله عليه وسلم إلى الحزن لبيهم الذي حل بآمه برءوم فيتصدع قلبه ويلدرف من ندموع ما ساعدته الجثثون ، أى حزن هذا لدى حل بآية لرسول صلى الله عليه وسلم وريحاته ، حتى ضربوا بها المثل في الحزن وعدوها من الكاثرين الخمسة الذين مثلوا لحزن والأسى في عالم الوجود . وبلغ من حرها ان أسس من مالمك استأذن عليها ليعزيها بمصائبها الجليل فقدمت له سؤالاً مقروناً بالتفجع :

كيف طابت نفوسكم أن تحثو التراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعادتها أمهات المؤمنين مع بعض النسوة يسألنها عن حالها ويعزيها بمصائبها فالتفت لمن يقربها مكثوم قائلة : (أجدني كارهة لدينا كن مسرورة بفراقكن . أتق الله ورسوله بحسرات منكن ، فما حفظ في الحق . ولا رعيت مني الذمة . ولا قبلت الوصية ، ولا عرفت الحرمة) . وهكذا بقيت الزهراء بعد أبيها صلى الله عليه وسلم . وقد أصابها الحزن وهدها مصاب وداب قلبها أسى جحد المقوم حقها وسد بهم ترثها .

وبقي الحسن عليه السلام معها في تلك الفترة مصدوع الجسم خائر القوى . قد ذبلت نصارة صباه ، لا يعرف في بهارده إلا بيت الأحرار ، حيث يمضي مع أمه ليساعدها ويخفف عنها اللوعة والحسرة ويستمر معها

طيلة النهار ، فإذا أوشكت الشمس أن تغرب تقدمها مع أبيه وأخيه قافلين إلى الدار فيجد الوحشة والغم قد خيما عليها .

وفي اليوم الأخير من حياة الزهراء غسلت لولديها وأمرتهما بالخروج إلى زيارة قبر جدهما ، فحرجا عليهما السلام وهما يفكران في الأمر هل أهلك لعلهما ؟ ولم يلبثا كثيراً في المسجد فرجعا قافلين إلى الدار ، فلما وصلا إليها قالوا لأسماء - (أين أمنا ؟) فأجابتهما والارتباك والذهول بدد عليها وهي تذرف الدموع ! يا سيدى إن أمكما قد انتقلت إلى حظيرة القدس فأجبرا أباكما بذلك فقد قلبهما بهذا البأ المريع ورجعا إلى المسجد فاستقبلهما الناس قائلين لهما : ما يبكيكما يا بنى رسول الله لا أبكى الله لكما عيناً ، لعلكما نظرتما إلى موقف جدكما صلى الله عليه وسلم فبكيكما شوقاً إليه . فأجابا : أو ليس قد ماتت أمنا فاطمة . وسلبا شعور الناس وتركوا الألم والندم يحز قلوبهم لأنهم فقدوا بضعة نبيهم وأعز أبنائه وبناته عنده .

ثم بصغى الحسن إلى مناجاة أبيه وهو يقول : يا سلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك ، قل يا رسول الله عن صفيتك صبرى ، ورق عنها بجلدى ، إلا أن تلى في التأسى بعظيم فرقك وفادح مصيبتك موضع تعز ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدرى نفسك . إنا لله وإنا إليه راجعون ، فلقد استرحجت الوديعه وأخذت الرهية . أم حزنى فسرمد ، وأما ليل فمسهد ، (الليل المسهد الذى ينقضى بالسهرة) إلى أن يختار الله لى دارك التى أنت بها مقيم ، وستنبئك

استثك بتصاهر أمتك على هضمها فأحفظها السؤال ، (الإحفاء بالسؤال
 الاستقصاء فيه) واستخبرها الحال ، هذا ولم يطل العهد ولم يحل منه
 الذكر ، والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا ستم ، فإن أنصرف فلا عن
 ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين .

يسمع الحسن هذه المأجاة الحريئة من أبيه فتلم به آلام مبرحة ، ويحف
 به حزن مرهق ، فقد رأى أعز ما في الحياة عنده أمه الرؤوم تحمل على الآلة
 الحدباء فتوارى في الثرى في غلس الليل البهيم .

وفي هذا يقول الأستاذ الفاضل كامل سليمان : (فإذا نظرنا إلى الحسن في
 الفترة بحده بعد أن فقد جده وأمه تبدو على حركاته الصعّة والكلفة ، إذ
 يحس وهو بين ظهراني هذا المجتمع الحديد أنه في عالم غير العالم الذي ألفه
 فلا يجد نفسه في المحل الذي عرّفه إليه جده فيتطلع إلى أفق أبعد . . يفكر
 كثيراً ويقدر كثيراً لأنه يرى أوضاعاً متقلبة وحروباً دائمة ، وإعداداً وتجهيزاً
 وأمة خاصة مخصومة ، ويرى وسطاً لا عهد له به فيه إجلاب ما تعود سماعه ،
 فيجمع إحساساته المشتتة وتحرك في نفسه نقطة تختلف عن لا ملالة لصفوة
 الهادئة ، وبدأ بتفتيح عينيه مشرقاً ومغرباً شأن كل ناشئ تستم مواهبه
 نموها ، فيفعل للمشاهد وتطفح نفسه بالمؤثرات التي تفيض عنها الحقيقة ،
 ها إنه ينظر فيكفهر الكون في وجهه وتكتنفه وحشة بعيسة وجوع غير محجب .
 إنه لا يرى جده الذي أفاض تعاليمه على الدنيا ثم لا يرى أمه التي كان
 يركن إلى عطفها وإيناسها ، وإذ ذاك يتقلب بين قبر هذه في القيع وحدث

ذاك في المسجد ليكي قليلاً أو كثيراً ولبسرى عن نفسه ويخفف من غلوائه .
فما حلت به أزمة من هذا النوع إلا كان يقصد التقيع أو المسجد وفي
حسابه أن شحى محمد وفاطمة هما كل ما في الكون .

وقد بينت بالتفصيل في الجزء الثاني من كتاب أهل البيت كيف أن
الإمام علياً كان يرشح نفسه للخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وما لا شك فيه أن ما استقر في نفس الإمام علي من الاستياء على أحد حقه
قد استقر في نفس الحسن عليه السلام ، فجعله يؤنب ويستقد من احتل
مركز أبيه . فقد دخل الحسن المسجد وكان الصديق يخطب على المنبر
فقال له :

انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك .

فأجابه أبو بكر - صدقت والله إنه لمنبر أبيك لا منبر أبي .^(١)

على أن الإمام علياً لم يدخر وسعاً في إبداء الرأي كلما احتاج إليه
الخليفة ، وإذا حث مشكلة لا يتمكن من حلها رجعو إلى الإمام علي
ليكشف لهم استار عنها ، وكان يتولى أجوبة ذلك تارة بنفسه وأخرى بسند
لحل إلى ولده الحسن ، فمن ذلك أن أعرابياً سأل الخليفة أنا بكر فقال :
إني أصبت ببض عدم فشويته وأكلته وأنا محرم فما يجب علي ؟ فتحير الخليفة
ولم ينطق جواباً ، وأحال الجواب إلى عمر فتحير كما تحير صاحبه ، وأحال

(١) شرح السج لاس في لحد - وجه في الإصابة أن هذه الكلمة للحسين مع عمر بن الخطاب
وفي الصواعق ص ١٠٥ أن الحسن قال لأبي بكر هذه الكلمة - ووقع التحير ذلك أيضاً مع
عمر بن الخطاب .

الجواب إلى عبد الرحمن فعجز أيضاً وفرغوا إلى الإمام ، فوجه الأعراى إليه السؤال السالف فالتفت إليه الإمام على قائلا : سل أى العلامين شئت وأشار إلى الحسن والحسين ، فتوجه الأعراى إلى الحسن فسأله عن مسأله فقال له :

ألك إبل ؟

الأعراى : نعم

فقال له الإمام الحسن : فاعمد إلى ما أكلت من البيض نوقاً فاضرسه في الفحول فما يتج منها اهده إلى بيت الله العتيق الذى حججت إليه ، فينتفض إليه الإمام على قائلا : (إن من النوق السلوب وما يرتق)^(١) فأجابه الحسن : إن يكن من النوق السلوب وما يرتق فإن من لبيض ما يمرق (مرقت البيضة أى فسدت) .

واستحسن الإمام على جواب وليده فالتفت إلى حصار مجلسه مشيداً بمواهب ولده ومعرباً عن غزارة علمه وفصله قائلا : معاشر الناس إن الذى فهم هذا الكلام هو لدى فهمه سليمان بن داود .

على انه يمكن القول أن الخليفة الأول رضى الله عنه كان على يقين من فضل الحسن ، يعرف منزلته ويحذب عليه ويقلد جده في التحسين إليه ، حتى إنه كان يخطب للناس ويحضهم على احترامه وحترام ذويه ويقول : أيها الناس رقبو محمد في أهل بيته ، واحفظوه فيهم فلا تؤذوهم

(١) اسلوب ساقه لى مات ولده أو أخته بعد تمام ونزوى ساقه لى تلقى ولده بعد تمام .

مكانة الإمام الحسن عند أمير المؤمنين عمر

فرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للحسن والحسين عليهما السلام مثل فريضة أهل بدر وقدمهما على كثير من المهاجرين والأنصار تقديرًا لهما ولقرايتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يلحق معهما برجال بدر فمن لم يشهد الواقعة إلا سمان الفارسي وأنا ذر .

وقال أمير المؤمنين عمر لقومه من بني عدى : (والله ما أدركنا تفصيل في الدنيا إلا بمحمد ، ولا نرجو ما نرجو من الآخرة وتوابها إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهو شرفنا وقومه أشرف العرب ثم الأقرب فالأقرب) . وعندما كسا أمير المؤمنين أصحاب النبي فلم يرتض في الكسوة ما يستصلحه هما ، فعث أن ليمس فأتى لهما بحلل فخره ثم ما أطمأن بآله ولا طابت نفسه إلا حين لبسا وحظرا امامه .

وكيف لا يمتلئ صدره غبطة ولا يتيه جدلا وهما ابنا رسول الله وهو يجلس لتوزيع بين قبره ومبره ، في حين أن لنا حفص يعرف عليهما وعن سابقة هاشميين مالا يسع الخاهل أن يردد أو ينكره . فم تمر سائحة إلا وصرح فيها بمعتقده ، ولا سحت فرصة إلا وجهر فيها بما يكنه في نفسه نحوهم : فإنه عدم لزودة سنة سبع عشرة للهجرة عندما كرر ساس الاستسقاء وفشلوا قال لهم : لاستسقين عدا بمن يسقى الله به ، ولما أصبح عد عبد العباس وقال له : خرجت حتى يستسقى بك ، فقال العباس يا عمر أقعد في بيتي ثم

أرسل إلى بنى هاشم أن يتطهروا ويلبسوا من صالح ثيابهم فأتوه ، فأخرج طيباً فطيبهم ثم خرج العباس وعلى أمامه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره ودعا العباس الله فسقى بهم .

فإن في اعتزاز عمر بهم وفي تسليمه بفضلهم إنصاف واطمئنان وثقة عالية ، بل إنه الحق يذعن إليه ابن الخطاب قانعاً راضياً - وكأني به ساعثد قد عرف خطرهم عند الله فشى خلفهم موقناً لا يحتمل النشل ، أمام معجزة استدراك الغيث لأنه واثق كل الثقة بنجاح المعجزة وبساطع برهانهم وعظيم قدرهم^(١) وليس هذا آخر ما عنده من التلميح والتصريح ، فقد استأذن الحسن عليه مرة فلم يؤذن له ثم استأذن عبد الله ابنه فلم يؤذن له ، ومضى الحسن ومضى ابن عمر . . ولكن شيئاً داخل خاطر الحسن فاقتصد في الكلام لمورده !

واستدعاه الخليفة فقال الحسن : لقد قلت يا أمير المؤمنين . إن لم يؤذن لعبد الله فلا يؤذن لي . . . وأنصت لكلمة الفصل تدور على لسان أبي حفص لدى قال : أنت أحق بالإذن منه ! وهل أنبت الشعر في الرأس بعد الله إلا أنتم ؟ لقد كان أمير المؤمنين يؤثر الحسن ويأنس بحديثه إذا حضر ، وكان يستطلع أخباره إذا فارقه أو جافاه ، لأن مرتبة أبي محمد في الأمة لم تعد خافية على أحد من سائر الناس فكيف بابن الخطاب الذي كان يقربه ويدنيه ويختصه من دون ولده ؟

لقد قسم السهمان يوماً فأعطاه وأعطى أخاه كل واحد منهما عشرة آلاف

(١) الحسن بن علي (درسة وتحليل) للأستاذ كامل سليمان

وَعُطِيَ وَلَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَحَقَّقَ عَبْدُ اللَّهِ وَعَاتَبَ أَبُوهُ قَائِلًا : (قَدْ عَمِمْتَ سَبْقِي فِي الْإِسْلَامِ وَهَجَرْتَنِي فَكَيْفَ تَفْضُلُ عَلَيَّ هَذَيْنِ لِعَلَامِينَ) .

وَأَعْتَقَدَ أَنَّهُ أَقْبَعَ أَبُوهُ وَجَاءَ بِحُجَّةٍ لَا يَدْحَضُهَا عَدْلُ أَبِيهِ وَصَلَاتُهُ بَلْ لَعَنَهُ آمَنَ بِأَنَّهُ قَدْ سَتَوَى عَلَى مَشَاعِرِهِ وَحَرَّكَ نَاحِيَةَ نَافِطَةِ الْوَحْشَانِيَةِ فِيهِ ، وَنَسِيَ بَيَانَ لَابِئِنْدَى قَدْ يَغْضَبُ !! وَيَحُثُّ يَا عَبْدُ اللَّهِ ! انْتَهَى حَدَّ مِثْلِ حَدِّهِمَا وَبِ مِثْلِ أَيْبِهِمَا وَأَمَّ مِثْلَ مَهْمَا ، وَحَدَّةٌ مِثْلَ حَدِّتِهِمَا وَحَدٌّ مِثْلَ خَالِطَتِهِمَا وَخَالَةٌ مِثْلَ خَالَاتِهِمَا ، وَعَمَّ مِثْلَ عَمَّهُمَا وَعَمَّةٌ مِثْلَ عَمَّتِهِمَا . فَجَدَّهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَوْمَهُمَا عَلِيٌّ وَمَهْمَا فَاطِمَةُ وَحَدَّتَهُمَا حَدِيثُهَا وَحَدَّتَهُمَا إِبْرَاهِيمُ وَخَالَاتُهُمَا رَيْسُ وَرَقِيَّةٌ وَأُمُّ كَلْثُومٍ ، وَعَمَّهُمَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي صَالِبٍ وَعَمَّتُهُمَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ نَسَبَهُمَا وَانْسَبَ فِي سَاوِي وَحَدِّ بُوْحَدٍ ، وَاقْبَعَ وَلَدُهُ بِسَاطِطَةٍ وَمَنْطِقُ سَيَّاحٍ ، وَعَرَفَهُ بِدَيْنِثَ لِعَلَامِينَ فَصَافًا عَبْدُ اللَّهِ أَهْمًا دَعَا لِنَحْقٍ وَحَرَمًا لِمَقَالَةِ لَوْلَدٍ ، وَصَبَحَ بَعْدَهُ وَبِفَضْلِهِا

يُعْتَرَفُ بِحَقِّهِمَا وَيَذَبُّ عَنْهُمَا حَتَّى تَهْمُ بِمَعْلَانَةٍ فِي كُذْمَيْنِ حَمِيْعٍ . وَكَيْفَ لَا يَكُونُ عَبْدُ اللَّهِ كَذَلِكَ وَقَدْ أَعْطَاهُ أَبُوهُ الْأَمْثِيلَ فِي كُلِّ قَوْلٍ قَالَهُ بَعْلَى أَوْ كُلِّ حَكْمٍ حَكَمَهُ عَلَى رَأْيٍ عَلَى وَكُلِّ مَشُورَةٍ اسْتَشَارَهَا عَيْنًا !

وَلَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِلْدَرُهُ فِي إِثَارِ نَحْسٍ لِأَنَّهُ مَضَافٌ إِلَى مَا سَمِعَ يَنْتَضِعُ فِيمَنْ هَمَّ حَوْلَهُ فَلَا تَقَعُ عَيْنُهُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - - وَحَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ - أَوْ قَالَ فَلَانُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، مُوصِيًا بِالنَّحْسِ وَأَخِيهِ وَمَعْلَنًا تَنْصِيهِمَا سَيِّدَيْنِ مُحَاطَيْنِ بِالنَّحْوَةِ وَالْإِكْرَامِ ، وَإِمَامَيْنِ قَامَا بِالْأَمْرِ وَقَعَدَا عَنْهُ .

الحسن والخليفة الثالث

لحسن في عهد عثمان شاب عمره ينيف على عشرين عاماً ، وهو دور يسمح لصاحبه ان يخصص معتزك الحباة ، ومعنى آخر شاب يقض تجلبه نورية الإيمان بما هذب منه لرسول صلى الله عليه وسلم ، وصقل منه الإمام على رضى الله عنه وارهفت منه فاصمة . وبأن قد صار إنساناً باراً يندفع فى سبيل الله ، فدخل حسن فى دور هذا ميدان الجهاد ، فانضم إلى المجاهدين حيث انجذبت الويتهم الفاتحة إلى احتلال أفريقيا ، فانخرط فى الجيش ويسير إلى المغرب فيدخل مع لقاتحين له ما هم وعليه ما عليهم . وبعد أن وضعت الحرب أوزارها اتجه الحسن إلى عاصمة حده صلى الله عليه وسلم ونصر حليفه وقتله مقعماً بالسرور والأرتياح لتوسع النفوذ الإسلامى وتنتشر دين حده عظيم .

على أن ما يعينى ان أبرزه هو الخلاف على موقف الحسن رضى الله عنه فى لحظة اتى اجتارها الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه واتى نتهت بقتله ، يقول عميد الأدب العربى يعقوب له الدكتور طه حسين : (وكان لحسن رجل صدق قد كره الفرقة وآثر اجتماع الكلمة وحاض غمرات الفتنة على كرهه فى أكبر الظن ، قاوم فتنة ما وسعته مقاومتها أيام عثمان فلم يخلص فيها خاص الناس فيه من حديثها . ولم يشارك المعارضة حين عظم الشر ،

وكان من الذين أسرعوا إلى دار عثمان فقاموا دون الحليفة يريدون حمايته ،
ولكن الحليفة قتل على الرغم من ذلك لأن خصمه تسورو عليه الدار ولم
يكن الحسن يرى أن يشترك أبوه في شيء من أمر الفتنة من قرب أو من
بعد ، وإنما أشار عليه أن يعتزل الناس وأن يترك المدينة فيقيم في ماله يسبح ،
فلم يسمع على له وإنما رأى أن مكانه في المدينة حيث يستطيع أن يأمر
بمعروف أو ينهى عن منكر أو يصلح بين الناس ، فلما قتل عثمان لم ير الحسن
لأبيه أن يقيم في المدينة ولا أن يتعرض للبيعة ولا أن يقبلها وإن عُرِضت
عليه ولو استطاع الحسن لاعتزل الفتنة اعتزالها كما فعلت تلك المعتزلة
من أصحاب النبي ولكنه عرف لأبيه حقه عليه فأقام معه وشهد مشاهد كلها
على غير حُب لذلك أو رغبة منه فيه ، ثم لم يكن الحسن يرى لأبيه أن
يترك مهاجره في المدينة وأن يرحل إلى العراق للقاء طححة والزبير وعائشة ،
وإنما كان يؤثر له أن يبقى في مهاجره مجاوراً للنبي ويكره له أن يذهب
إلى دار غربة ويتعرض للموت بمضيق ، وكان أبوه يعصيه في كل ما كان
يشير عليه من ذلك حتى بكى الحسن ذات يوم حين رأى ركاب يبه
تؤم العراق فقال له أبوه (إنك لتحن حين الحارية) .

ولم يفارق الحسن حزنه على عثمان فكان عثمانياً بالمعنى الدقيق هذه
الكلمة إلا أنه لم يسأل سيقاً لثأر عثمان لأنه لم يرد ذلك حقاً له ، وربما على
في عثمانيته حتى قال لأبيه ذات يوم مالا يحب . فقد روى الرواة أن علياً
مر بابنه الحسن وهو يتوضأ فقال له : (أسمع الوصوء) فأحبه الحسن بهذه

الكلمة المُرّة : (لقد قتلتكم بالأمس رجلاً كان يُسبغ الوضوء) ، فلم يزد على أن قال : (لقد أطال الله حزنك على عثمان) .

أما الشيعة فيخالفون الدكّور طه حسين الرأى فيما قال (إن الحسن كان عثمانياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة) ، ويرون أن الحسن كان من جملة الناقدين والناقمين على عثمان ، فقد رأى ما لاقاه حزب أبيه من التحطيم والتعذيب والإرهاب والاعتقال ويضربون بما لاقاه وما تعرض له أمثال عمار ابن ياسر وأبي ذر - فقد ضرب عمار بن ياسر وغشي عليه ، ومن رأى الشيعة أن الخليفة الثالث لم يبرح حتى عمار وهو في طليعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في إيمانه بالله وحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب الرقم القياسى للعقيدة والإيمان . ويقولون إن الصحابى أبا ذر اندفع إلى نكران سياسة عثمان فأمر الخليفة الناس أن لا يجالسوا أبا ذر ولا يكلموه ، وقال له أبو ذر : (ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت أبا بكر وعمر هل رأيت هذا هديهم ؟ إنك لتبطش في بطش الجبارين) فقال له عثمان : (اخرج عنا من بلادنا) ، فقال له أبو ذر : ما أبغض جوارك إلى فإلى أين أخرج ؟ - قال حيث شئت ، قال فأخرج إلى الشام أرض الجهاد قال له : إنما جلبتك من الشام لأنك أفسدتها فكيف أردك إليها قال فأخرج إلى العراق ، قال لا ، وأخيراً أمره بالخروج إلى الربذة (بالقرب من المدينة) . وكان في توديع أبي ذر الإمام على وعقيل وعبد الله ابن جعفر والحسن والحسين ، وألقى الحسن رضى الله عنه كلمة توديع قال

فيها : (يا عماء لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت وللمشييع أن يتصرف لقصر الكلام وإن طال الأسف ، وقد أتى من القوم إليك ما ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكر فراعها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها ، واصبر حتى تنق نبيك وهو عنك راض) . ورد عليه أبو ذر قائلاً : « رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة - إذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم ، إني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقنت على معاوية بالشام وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين ^(١) ، ففسد الناس عليهما فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله ، والله ما أريد إلا الله صاحباً وما أحشى مع الله وحشة .

ويسوق الشيعة الكثير ليدلوا على ما لاقاه بعض الصحابة من العنت من جانب الخليفة الثالث وأن هذا لا يتفق مع قول عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين إن الإمام الحسن كان عثمانياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . ويقولون إن لإمام الحسن كان من حملة الناقدين للخليفة لأنه رأى ما لاقاه حرب أبيه من التعظيم والتعديب والإرهاب والاعتقال وشاهد ما لاقاه يوه لإمام علي من الاستهانة بحقه .

ومرة أخرى لا يوافق الشيعة على ما رواه المسعودي من أنه بدعت بيران ثورة عزم الثائرون على قتل الخليفة بعد ما حاصروه مد أعير يسير .

(١) نصريين لمصر وكان في مصر عبد الله بن عمر ووالى مصر عبد الله بن سعد بن

والذى رواه المسعودى كما جاء فى مروج الذهب أن الإمام عليّ بعث الحسن ولحسن للدفاع عن عثمان لما بلغه أن القوم قد عزموا على قتله . ويؤيد الدكتور طه حسين رواية المسعودى فيقول : (وقد اجتمع القادرون على لقتال من بنى أمية وانضم إليهم شباب من أبناء المهاجرين فدخلوا الدار وقاموا يحمونها ويحمون عثمان من الثائرين وكان فيهم عبد الله بن عمر وعند الله بن الزبير والحسن والحسين ابنا علي ومحمد بن طلحة . . .) .

ويدل الشيعه على أن رواية المسعودى غير صحيحة إلى استبعاد انفصال الحسن وبنيه الإمام عن البقية الصالحة من المهاجرين والأنصار ، فإن التاريخ فى رأيهم لم يحدث أنهم ثاروا لعثمان أو دخلوا الثائرين عنه ، مع العلم أن مدة حصار على رواية المسعودى تسعة وأربعين يوماً ، ولم تظهر من الصحابة طيلة تلك المدة بادرة من بوادر المساعدة والمؤيرة ولو كانوا غير راضين بالأمر لما تمكن ثائرون من فعل أى شئ فإن عددهم لم يث خطيرا حتى لا يتمكنوا من القضاء عليهم . ويرى الشيعة أنهم كانوا يريدون الثائرين حماسا ويمجدون نهضتهم ولا يختص ذلك بطائفة دون أخرى ، ويصون فى نهاية إلى أن موقف لحسن للدفاع عن عثمان محل شك وريبة .

على أن الدكتور محمد لصادق فى كتابه (على ونحاكمون) يقول تحت عنوان (مقتل عثمان) : فلما جاءت وفود لأمصا تشكو إليه عماه واستبدادهم وركوبهم الأهواء راجين أن يصفهم بعض الإنصاف لذى كان

بعهد الأولين فوعدهم خيراً في ظاهر الأمر وبطن لهم حيلة انقضاء على قادة الوفود ، فلما كانوا في بعض الطريق إلى ديارهم ضبطوا كتاباً من مروان ابن الحكم يأمر به العمال بقتل زعماء الوفود ساعة يصلون ، فارتدوا حينذاك إلى المدينة وطلبوا من عثمان مشيره الأول هذا الكذاب الأشمر ، طلبوا إليه أن يسلمهم مروان - فأبى وأصرروا - وأصر ألا يجيب لهم طلباً ، واشتد سحقهم وزادت بهم النقمة حتى اضطر الخليفة إلى ملازمة داره أربعين يوماً ، وعلى بن أبى طالب يسعى طيلة هذه الأيام أن يحسم مادة الخلاف بطريقة صالحة بقرها المنطق الصحيح ، فقال له : (إن الناس ورائي) ذلك النصيح البالغ السالف فلم ينفعه إلا عناداً وإصراراً .

ثم قوى جانب الوفود الانقلابيين حتى انضم إليهم خلق كثير من العاصمة وغيرها ، وحاصروا قصر الخلافة بكل ضراوة وشراسة ، فلما تعاظم الخطر على من في الدار تخلى عن الخليفة حتى أباء عائلته الامويين الذي كانوا هم السب الرئيسي فيما صار إليه أمره وأمر المسلمين ، فآثروا أن يهربوا حصية إلى الشام حيث ينتظرهم نسيبهم معاوية عامل الخليفة عليها ، وبقي الحسان على رأس اقوم الذين يلازمون أبواب دار الخلافة لعلهم يمنعون عن الخليفة الأذى وسوء المصير حتى يخرج من مظالم الناس . .

وقد قيل إنه لما طال حصار الثوار لدار عثمان وساءت معاملتهم له فنعوه من الخروج والصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وحالوا دون وصول الماء إليه ، أرسل عثمان إلى بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأمهات

المؤمنين يطلب إليهم أن يمدوه بحاجته من الماء ، فسارع الإمام على إلى تلبية رغبته وأقبل على الثور . وقيل إنه قال لهم : (إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين ، لا تقطعوا عن هذا الرجل المادة فإن لروم وفارس لتأسر فتقطعهم وتسقي وما تعرض لكم هذا لرجل فم تستحلون حصره وقتله) .

وقيل إنه لما مات الخليفة لم يسمح ثوار في بادئ الأمر بدفنه فظل ثلاثة أيام دون دفن ، وطلب بعض القرشيين من الإمام على أن يتوسط لدى الثور ليسمحوا بموارة جثمانه التراب فأذنوا بدفنه ، ولم يشهد جنازته سوى مرون بن الحكمه وحجير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حديشة لعدي بن نيار بن مكرم وزوجتي عثمان .

وحدثوا لدهاء قذف جنازة عثمان بالحجارة فبهزمهم الإمام على .

وحفظ الإمام الحسن رضي الله عنه وعمره أربع سنين الشيء الكثير مما سمعه من حده وما قاله :

١ عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنمت أقولاً في الثور : اللهم اهله فيمن هديت وعاف في فيمن عافيت ، وتولي فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت وقى شر ما قضيت ، فإنك تقضى ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت .

٢ وروى عمير بن مامون قال : سمعت الحسن بن علي يقول : من

صلى صلاة الغداة فجلس في مصلاه حتى تطلع الشمس كان له حجاب من النار أو قال : ستر من نار .

٣ وسئل رضى الله عنه عما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سمعته يقول لرجل دج ما يريك إلى مالا يريك فإن الشر رية والخير طمانية .

٤ وقال له بعض أصحابه : ما تذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام : أخذت تمر من تمر الصدقة ، فتركها في فمي فزعها نعاها ، فقيل يا رسول الله ، ما كان عليك من هذه التمرة ، قال إن آل محمد لا تحل لنا الصدقة .

٥ وعن خلق حده رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الإمام الحسن : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سأله أحد حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول .

٦ - عندما غضب سيدنا عثمان رضى الله عنه على أبى در ، ورأى إبعاده ، فأخرجه من المدينة ، وبادر الإمام الحسن إلى توديعه قائلا : « يا عمه لولا أنه ينبغي للمودع أن يسكت ، وللمستمع أن ينصرف لقصر الكلام ، وإن طال الأسف وقد أتى انقوم إليك ما ترى فضع عنك لدنيا بتذكر فرغها وشدة ما اشتد فيها برجاء ما بعدها ، واصر حتى تلقى نبيك وهو عليك راض .

وقد رد أبو ذر فقال : « رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة إذا رأيتمكم

ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مالى بالمدينة سكن ولا شجن
غيركم إني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام وكره
أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين فأفسد الناس عليهما فيروني إلى بلد ليس
لى به ناصر ولا دافع إلا الله ، والله ما أريد إلا الله صاحباً وما أخشى مع الله
وحشة .

زوجاته

عرف الإمام الحسن رضى الله عنه بحسن عشرته لأزواجه فكان يمسكهن
بمعروف ويسرحهن بإحسان وكان الناس يرغبون في مصاهرته . وروى أبو الفرج
في الأغاني بسنده عن عوف بن خارجة قال : « والله إني لعند عمر بن الخطاب
رضى الله عنه في خلافته إذ أقبل رجل يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي
عمر فحيه بتحية لخلافة .

فقال له عمر : من أنت ؟ قال : أنا امرؤ نصراني ، أنا امرؤ نقيس
ابن عدى الكلبي . قال : فما تريد ؟ قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه
عمر رضى الله عنه ، فقبله ثم دعا له برمح ففقد له على من أسلم بالشام من
قضاة فأدبر الشيخ والنوء يهتز على رأسه .

قال عوف فوالله ما رأيت رجلاً لم يصل لله ركعة قط أمر على جماعة
المسلمين قبله وهض على من أتى طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه
إبنه الحسن والحسين عليهما السلام حتى أدركه فأخذ بشيابه .

فقال له : « يا عم أنا على بن أبي طالب ، بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ، وهذان ابناي الحسن والحسين من ابنته ، وقد رغبت في صهرك فأنكحنا فقال : قد أنكحتك يا علي المحيية بنت امرئ القيس ، وأنكحتك يا حسين لرباب بنت امرئ القيس (أم السيدة سكينة) » .

وقال هشام الكلبي : كانت الرباب من حيار النساء وأفضلهن . وسرى في الفصل القادم أنها خطبت بعد قتل الإمام الحسين ، فقالت : « ما كنت لأتخذ حملاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد تزوج خولة بنت مطور لفرارية ، وجعدة بنت الأشعث ، وأم كلثوم بنت الفضل بن العباس ، وأم إسحاق بنت طلحة ، وولدت منه ولداً سماه ضحكة ، وأم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري ولدت منه زيدا ، وهد بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، وحفصة ابنة عبد الرحمن ابن أبي بكر ، وغيرهن ومجموع ما تزوجه لم يتجاوز خمسة عشر . وهو رقم لا يمت إلى الكثرة لمزومة بصلة ، ولا يمت إلى ما زعمه بعض المستشرقين من أن عدد زوجاته وصل إلى مائة ، ويعيب بعض قصار الإدراك كثرة زواجه وطلاقه مع أبي - كما يبتعد عن عدد مرات زواجه عادياً مثل الذي كان يحدث في زمانه ، ونستأدري من أين جاءت هذه لكثرة التي يتحدث عنها رجال لتاريخ والمستشرقون كما سرى بعد قليل وينسى هؤلاء جميعاً أن الزوج في زمانهم كان يربط العصبيات ويزيد في قوة

القبائل ، وكان تعدد الزواج أمراً مألوفاً بل مستحباً وهو في بيت النبوة أكثر استحباباً ، وليس مع الحلال تهمة ، وما أحوج المجتمع لأئمة الهدى الذين يمشون بين الناس بنور الإيمان الذي يرقونه من عرقهم لظاهر المطهر ، وينمونه في بيثهم النقية الصالحة .

وصدق الإمام على كرم الله وجهه حينما قال في السادة آل البيت الأطهار :
 « أين الدين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا ، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطي الهدى ويستحلي العمى » .

وصدق الفرزدق حين قال :

إن عد أهل النبي كانوا أئمتهم

أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

ويشتهر (لامنس) هذه الفرصة ليتحدى الإسلام ليصق به التهم ويطلع في رجاله ، وقد كتب في بحثه عن أرواح الإمام : « ولما تجاوز (يعني الإمام الحسن رضي الله عنه) الشباب وقد أنفق خير سبي شبابه في زواج والطلاق فأحصى له حوالي المائة زوجة وألصقت به هذه الاحلاق السائبة لقب المطلق ، وأوقعت علياً في خصومات عيفة وأثبت الحسن كذلك أنه مبذر كثير لسرف ، وقد خصص لكل من زوجاته مسكناً ذا خدم وحشم ، وهكذا نرى كيف يعثر لماك أيام خلافة عليّ التي شتد فيها لفقر . . »

وقد اعتمد لامنس في قوله : « إن الإمام كان كثير الزواج والطلاق » على

أقوال المدائني وأمثاله من المؤرخين الذين تابعوا السلطة الحاكمة فكتبوا لها لا للتاريخ .

وقد استقى المستشرقون الذين كادوا للإسلام في بحوثهم من مهمل المؤرخين الذين ساندوا تلك الدول الجائرة التي ناهضت أهل البيت وعملت على تشويه وأقبحهم ولحظ من كرامتهم ، وقد راد عليه لامنس فذكر من الأكاذيب ما لم يقل به أحد غيره فقد قال :

١ إنه ألقى أنه بسبب كثرة زواجه وطلاقه في خصومات عنيفة ولم يشر أحد من ترحم الإمام إلى تلك الخصومات العنيفة التي زعمها لامنس .

٢ وذكر أن الإمام خصص لكل من زواجه مسكناً ذا خدم وحشم . وأن جميع مؤرخين لم ينفوا ذلك ، وهو من الكذب السافر والاقتراء لمخص . لقد كان زواج الإمام الحسن ليس الزواج الذي يختص به الرجل لمشاركة حياته ، وإنما كانت حوادث استدعتها ظروف شرعية محضة ، من شأنها أن يكثر فيها زواج ونفلاق معاً ، وذلك هو دليل سمتها لخاصة .

ونعود إلى زواجه ، فاما ، حولة بنت مطور القرارية « فهي من سيدات النساء في وفور عقلها وكمال ترويضها كما سألين فيما بعد ، فقيل إنه لينة اقترنه بها ذات معها على سطح النذر فشددت حماتها برجله وشدت لظرف الآخر بمخاضها فمما استيقظ وحده ذلك فسألها عنه فقالت له معرفة عن إخلاصها وحرصها على حياته . خشيت أن تقوم من وسر نوم فتسقط فأكون شام سحنة على العرب ، فلما رأى منها ذلك أحبها وقام عندها

سبعة أيام ، وقد بقيت عنده حولا لم تتزين ولم تكتحل حتى رزقت منه السيد (الحسن) فزينت فدخل عليها الإمام فراها مترينة فقال لها « ما هذا » فقالت له : « خفت أن أترين وأتصع فتقول النساء تحملت هم تر عنده شيئا فأما وقد رزقت ولداً فلا أبالي » .

وبقيت عنده إلى أن توفي فجزعت عليه جزعاً شديداً ، فقال لها أبوها مسلماً :

نسبت حولة أمس قد جزعت من أن تنوب نوائب للدهر
لا تجزعى يا حول واصطبرى إن الكرم بوا على الصبر

وذكرت السيدة زينب بنت عليّ العامية في ترجمة حولة ما حصله أنها لما بلغت مبالغ النساء خطبها جملة من وجهاء قريش وأشرافهم ، فامتنع أبوها من إجابتهم لأنهم ليسوا بأكفاء لها ، ثم إنه طلق أمها (مبيكة بنت خارجة) فزوجها من بعده طلحة بن عبيد الله ، وتزوج به محمد حولة فولدت له إبراهيم وداود وأم القاسم ، وقتل زوجها محمد في وقعة الحمل فخطبها جماعة من الناس فجعلت أمرها بيد الحسن فزوجها .

ويروى أنه لما نزع الإمام إلى يثرب حملها معه ، فبلغ أبوها ذلك فأقبل إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده راية فركرها في المسجد ، فلم يبق قبسى إلا وانضم تحتها وهو يهتف بقومه ويستنجد بهم على أخذ بنته من الإمام ، فلما بدعه رضى الله عنه ذلك خلى سراجه فأحذه وخرج ، فجعلت حولة تتوسل به على إرجاعها وتندد بعمله وتذكر له فضل الإمام ، فندم

على فعله وقال لها : « انثى ها هنا فإن كان للرجل بك من حاجة سيلحق بك » ،
فلحقه الإمام مع أخيه الحسين وعبد الله بن عباس ، فلما انتهوا إليه قبلهم
محصورة وأرجعها إلى الإمام . وهذه لقصة مشكوك في صحتها .

أما « جمدة بنت الأشعث » فقد اختلف المؤرخون في اسمها ، ف قيل
سكينة ، وقيل شعناء ، وقيل عائشة ، والأصح أنها جمدة حسب ما ذكره
أكثر المؤرخين وكما جاء في مقاتل الطالبين .

أما « عائشة الخثعمية » وقد تزوجها الإمام الحسن في حياة والده ولما قتل
على أقبلت إلى الإمام الحسن فأظهرت الشامة بوقاة أبيه .
فقالت له : « لتبلك الخلافة » .

ولما علم عليه السلام شامتها قال لها : « أقتل على تطهيرين لشامة » ،
أدبها فأنت طالق « فتلفعت بشاها وقعدت حتى نقضت عذتها ، فعث لها
بقية صداقها وعشرة آلاف درهم صدقة لتستعين بها على أمورها ، فما وصلت
إليها ، قالت : « متاع قليل من حبيب مفارق ولم يذكر لتاريخ »
الإمام طلق زوجة سوى هذه وأم كلثوم وامرأة من بني شيان .

أما بقية زوجاته فقليل هم : أم كلثوم بنت الفضل بن عباس ، و
الاستيعاب أن الإمام الحسن تزوجها ، ثم فارقها فزوجها من بعده أبو موسى
الأشعري . ثم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التميمي وقد ولدت له
ولدا أسماه طلحة ، وأم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري وولدها ريد ، وهذه
بنت عبد الرحمن بن أبي بكر وامرأة من بنات عمرو بن أمية لهقري .

وامرأة من ثقيف وولدها عمر ، وامرأة من بات رارة ، وامرأة من بني شيان من آل همام بن مرة فقبل له إنها ترى رأى الخوارج فطلقها وقال : «إني أكره أن أضم إلى نحري حمرة من جمر جهنم»^(١) وأم عبد الله ، وهي بنت الشليل بن عبد الله أختى حرير السجلى ، وأم القاسم .

وبذلك يكون مجموع ما تروجه الإمام الحسن هذا العدد الذى ذكرناه وهو لا يمت إلى الكثرة المزعومة بصفة ، ولنا أن نسأل أين كثرة زواج والطلاق التى طلل لها بعض المؤرخين .

وإذا كان هناك تعدد لرواحه فيجب الحكم على ذلك فى ظل الظروف التى كان يعيش فيها ، فإذا كان قد تزوج أكثر من مرة فإنه يقصد بهذا التعدد الإصهار إلى كثير من القبائل لأن الحاكم على حد تعبير ابن خلدون يستند إلى عصبية ، ولما كان سوامية لم يتصوروا ويتمكنوا فى الأرض إلا بما توافر لديهم من عصبية فقد أدرك الحسن بما قد يتعرض له دووه وذريته من اضطهاد وتقتيل لا يحفظ منه سلاله الرسول من الابدثار والانقراض إلا بتعدد الزواج وكثرة النسل^(٢) .

أولاده

اختلف المؤرخون فى عدد أولاده اختلافاً كثيراً ، فقد روى أنهم اثنا عشر

(١) شرح بن أبى الحديد .

(٢) نظرية الإمامة للدكتور أحمد محمود صبحي

« ثمانية ذكور وأربع ناث » وقبل ستة عشر الذكور أحد عشر والإناث خمس . وقبل غير ذلك وقد اتفق المؤرخون أنه لم يعقب أحد من ولاده سوى لحسن ورید .
 هم أعلام أولاده فهم :

١ تقاسم : وقد استشهد مع عمه سيد لشهداء في واقعة كربلاء .
 ٢ أبو بكر : واسمه عبد الله ، أمه ام ولد ويقال لها رمنة ، سر يوم الطف يخامى عن دين الله ويدب عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشهد في تلك الواقعة .

٣ عبد الله : استشهد مع عمه في كارثة كربلاء ، وله من العمر إحدى عشرة سنة ، نظر إلى عمه الحسين وقد أحاطت به جيوش الأمويين ، فقبل يشد لدفاع عمه . وسارع فخرج من كعب بالسيف ليضرب الإمام الحسين ، فصاح به الغلام : « ويلك يا ابن الخيثة أتضرب عمي » وتقى الغلام الضربة بيد ، ثم رمده حاملة من كاهل بسهم فذبحه .

٤ - ريد : وقد كان كريم الطبع جليل القدر كثير الإحسان قصده الناس من جميع الآفاق لطلب بره ومعروفه ، وكان يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ولي سليمان بن عبد الملك عزله منها . وبنا هلك واستخلف عمر بن عبد العزيز أرجعها إليه .

وقد مدحه محمد بن بشير الخارجي بقوله :

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلة نبي حنينا واخضر بالبيت عودها

وزيد ربيع الناس في كل شتوة إذ احلفت أنوؤها ورعودها
 حمول لأشدت المديات كأنه سرج دحى قد فارقت سعوها
 وكان يركب فيأني سوق (لظهر) فيقف به فتزحم الناس على النظر إليه
 ويعجبون من خلقه ، ويقولون يشبه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى
 وله من العمر تسعون سنة ورثاه جماعة من الشعراء منهم قدمه بن موسى
 الحجبي بقوله :

فإن يك زيد عالت الأرض شخصه فقد بات معروف هناك وجود
 وإن يك أمي رهن رمس فقد ثوى به وهو محمود لفعال فقيد
 سبيح إلى المضطر يعلم أنه سيطلبه المعروف ثم يعود
 وليس نقول وقد حظ رحله للتمس المعروف أين تريد
 إذا قصر لوعده الذي قد عمى به إلى المجد آباء له وجود
 مناديل للمولى محاشيد للقرى وفي الروع عند السات أسود
 إذا مات منهم سيد قام سيد كريم فينبى مجدهم ويشيد
 ٥ الحسن : وقد حضر مع عمه الحسين عليه السلام في وقعة كربلاء
 فقاتل معه حتى سقط جريحاً ثم أنقذ ورجع إلى المدينة وتزوج بابنة عمه
 (فاطمة بنت الحسين) .

وقيل توفى وعمره خمس وثلاثون سنة مسموماً وقد سقاه السم الوليد
 بن عبد الملك .

اخلاقه

كان النبي صلى الله عليه وسلم في عظم أخلاقه مثالا للرحمة الإلهية تأتي تملأ لقلوب الشائسة الحريفة رجاء ورحمة ، وكان يزور ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم ويحجب دعوة من دعاه ولا يرد دعوة ممنوك ولا فقير ، ومن حاله صابره حتى يكون جليسه هو المنصرف وما أخذ أحد بيده فحدها منه حتى يكون الاخذ هو الذي يرسلها ، وكان حريصاً على تطيب النفوس واجتناب الإساءة لأي إنسان .

وكل هذه الأخلاق الرفيعة قد تمثلت في الإمام الحسن بحكم ميراثه من جده لعظيم صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر رجال التاريخ توادد كثيرة من مكارم أخلاقه منها :

(أ) أنه مر على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز كانوا قد نكسوها من الطريق ، وهم يابسون منها فدعوه إلى مشاركتهم فجاءهم إلى ذلك وهو يقول : « إن الله لا يحب المتكبرين » ، ولما فرغ من تناول الطعام دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم واعدق عليهم نعمه وإحسانه .

وصفة التواضع هذه تدل على كمال النفس وسموها وشرفها ، وفي الحديث « إن التواضع لا يزيد العبد إلا روعة فتواضعوا يرحمكم الله » .

(ب) ومن آيات أخلاقه أنه مر على صبية يتناولون الطعام فدعوه

لمشاركتهم فأجابهم إلى ذلك ثم حملهم إلى منزله فنتجهم ببرد ومعرفة ،
وقال : (اليد لهم لأنهم لم يحدوا غير ما أطعموني ونحن نجد ما أعطيناهم) .

(ج) ومن مكارم أخلاقه أنه كان يقابل الإساءة بالإحسان فقد كان
عنده شاة فوجدها يوماً قد كسرت رجلها فقال عليه السلام لعلامة :

من فعل هذا بها ؟

أنا

لم ذلك ؟

لأجلب لك اللحم والنعم .

فتبسم عليه السلام وقال له : لأسرك ، فأعتقه وأجر له في العطاء .

(د) ومن عظيم أخلاقه أنه كان جالساً في مكان فأراد الانصراف منه
فجاءه فقير فرحب به ولاطفه وقال له :

- إنك جلست على حين قيام منا أفأذن لي بالانصراف .

نعم يا ابن رسول الله .

وبدل ذلك على أن مراعاة حق المجلس من الآداب الاجتماعية التي
توجب المحبة والألفة وتوحد التعاون والترابط بين الناس ، فلذلك أمر الإسلام
بها وحث عليها .

(هـ) واجتاز على الإمام شخص من أهل الشام ممن عذاهم معاوية
بأنكراهية والحقد على آل البيت ، فجعل يكيل للإمام السب ولشتم والإمام
ساكت لم يرد عليه شيئاً من مقالته ، وبعد فراغه ثفت الإمام فخطبه بنعم

انقول وقابله بسمات فياضة بالبشر قائلا :

« أيها الشيخ : أظنك غريباً ، لو سألتنا أعطيناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا حملناك ، وإن كنت جائعاً أطعمناك ، وإن كنت محتاجاً أعينناك وإن كنت طريداً آويناك » .

وما زال عليه السلام يلاطف هذا الشامي ليقطع روح العداء ولشمر من نفسه حتى ذهل ، ولم يطق رد الكلام وبقي حائراً خجلاً كيف يعتذر للإمام ، وكيف يمحو الذنب عنه ، وظفّق يقول : « الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء » .

وهكذا كان الإمام الحسن رضي الله عنه مثالا للإنسانية للكرامة ورمزاً للخلق العظيم ، لا يثيره الغضب ولا يزعجه المكروه ، قد وضع نصب عينيه قوله تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) .

وقد قابل جميع ما لاقاه من سوء أو أدى أو مكروه من الحاقدين عليه بالصبر والصفح الجميل ، حتى اعترف ألد خصومه مروان بن الحكم بسمو حلمه وعظيم حقيقته ، وذلك حينما انتقل الإمام إلى الرفيق الأعلى ، فبادر مروان إلى حمل جثمانه .

فقال له سيد الشهداء : « تحمل اليوم سريره وقد كنت «لأمس تجرعه الغيظ » .

فقال : « إني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال » .

لقد كان الإمام كجده الرسول في سعة حلمه وعظيم أخلاقه وصفحه
عن أساء إليه .

وقد روى التاريخ نواذر كثيرة من أخلاقه دلت على أنه في طليعة
الأخلاقين والمساهمين في بناء الأخلاق والآداب في دنيا العرب والمسلمين .

جرائته

كان الإمام الحسن رضي الله عنه مع مسألمته يصون كرامته في موقف
الجد .

روى ابن أبي حديد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
دخل الحسن بن عليّ على معاوية بعد عام الجماعة وهو جالس في
مجلس ضيق فجلس عند رجله ، فتحدث معاوية ما شاء أن يتحدث ، ثم
قال : عجباً لعائشة تزعم أنّي في غير ما أنا أهله ، وأنّ الذي أصبحت فيه
ليس لي بحق ، وما لها ولهذا ، يغفر الله لها ، إنما كان ينارعي في هذا الأمر
أبو هذا الجالس ، وقد استأثر الله به .

فقال الحسن : أو عجب ذلك يا معاوية .

قال : أي والله .

قال : أفلا أخبرك بما هو أعجب من هذا ؟

قال : ما هو ؟

قال : جلوسك في صدر المجلس وأنا عند رجلك .

فصحك معاوية وقال : يا ابن أخي بلغني أن عليك ديناً .

قال : إن لعلّ ديناً .

قال : كم هو ؟

قال : مائة ألف .

قال : قد أمرت لك بثلاثمائة ألف ، مائة منها لديك ، ومائة تقسمها في

أهل بيتك ، ومائة لخاصة نفسك ، فقم مكرماً واقبض صلتك .

فلما خرج الحسن عليه السلام ، قال يزيد بن معاوية : تالله ما رأيت رجلاً استقبلت بما استقبلك به ثم أمرت له بثلاثمائة ألف .

قال : يا بني إن الحق حقهم ، فمن أتاك منهم فاحث له .

وكذلك جابه معاوية بأشد مما تقدم ، حين قام معاوية خطيباً على

الممر ، فتهكم على أمير المؤمنين الإمام علي ، وقال : من على ؟

فقال الإمام الحسن : إن الله لم يعث نبياً إلا جعل له عدواً من

الماضين ، قال تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) ، وأنا

ابن علي وأنت ابن صخر ، وأمتك هند وأمي فاطمة ، وحدثت قتيبة وحدثني

خديجة ، وحدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثك عتبة بن ربيعة ففعل

الله ألامنا حسباً وأخملنا ذكر وأقدمنا كفراً وأشدنا نقافاً .

فصاح أهل المسجد (آمين) .

قال الفضل : قال يحيى بن معين : (وأنا أقول آمين) .

فقطعت معاوية كلامه وفر إلى منزله .

وإظهار أن جرأة الإمام الحسن هي صفة لازمة منذ الصغر فقد دخل المسجد لسوى في طفولته ولم يكن قد بلغ يومئذ الثامنة من عمره ، فرأى أب بكر الصديق رضى الله عنه يحطّ على المنبر ، فهتف به : « ليس هذا منبر أبيك ، أنزل عن منبر أبى » .

وتسم الصديق رضى الله عنه ، وقال في حبان : « يا ابن بنت رسول الله ، صدقت والله ، ما كان لأبى منبر ، وبینه لمنبر أبيك » .

كرمه وسخاؤه

عن لرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خنقان يحبهما الله وهما حسن الخلق وسخاء » . وقال عليه الصلاة والسلام : « السخاء من الإيمان » .
ولسخاء يتم عن طيب القلب ، ويكشف عن الفضائل النفسية ، ويحكي عن رحمة لإنسان ورافته ، ومن الطبيعي أنه إنما يكون كذلك فيما إذا كان بذله بداعى الخير والمعروف لا بداعى السمعة والمديح والثناء ، وغير ذلك من الدواعى التي لا تمت إلى الإحسان بصلة . وقد حدث لتاريخ عن أناس كانوا يهون الألوف للوافدين ، ويدلون القرى للأضياف ، ولكن سرعان ما انكشف أنه تصنع لا اتصال له بحقيقة الكرم والمعروف ، إن السخاء الحقيقي هو بذل الخير بداعى الخير ، وبذل الإحسان بداعى الإحسان ، وقد تجلت هذه الصفة الرفيعة بأجلى مظاهرها وأسمى معانيها في الإمام أبي وقد تجلت هذه الصفة الرفيعة بأجلى مظاهرها وأسمى معانيها في الإمام أبي محمد عليه السلام ، حتى لقب بكريم أهل البيت .

وقد وصفه نوه «نكرم والمسألة» ، فقد روى أبو جعفر محمد بن حبيب
عن المسيب القرري قال :

«سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أن أحدثكم عني وعن أهل
بיתי ، أما عبد الله بن أحى (أى ابن جعفر زوج السيدة زينب) فصاحب
لحو وسماح .

وأما الحسن فصاحب حفة وخوان ، فتي من فتيان قريش ، ولو انتقت
حققت لظلال^(١) لم يعن عنكم شيئا في الحرب . وأما أنا وحسين فنحن منكم
وأنتم من .

وقد تنقّى لإمام الحسن رضى الله عنه هذه المكرمة من سلفه لخصه ندى
عرف بالسخاء والمعروف ونحلة الضعيف والإحسان إلى كل مقطع ومحروم .
وفي حده الأعلى يقول المقاتل :

عمرو لندى هشم اتريد لقومه ورجال مكة مستنون عحاف
وكان لحسن لا يعرف للمال قيمة ولا يرى له أهمية سوى ما يرد به
جوع جائع ، أو يكسوه عاريا ، أو يغيب به منهوفاً ، أو يبى به دين عزم ،
ومن كان ندى لكف مبسوط اليدين بالعطاء متمسكاً بأهداف السخاء بعيد
عن الخل وضروبه ، فأعظم به من خير عميم . قد كان السخاء عنصراً من
عناصر ذات الحسن ومقوماً من مقومات مزاجه ، وقد أثر عنه أنه ما قال لسائل
لا قط ، وقيل له :

(١) مثل يضرب للأمر إذا اشتد أو جاور الحد .

لأى شيء لا ترك ترد سائلا ؟

فأجاب : إني لله سائل ، وفيه راعب ، وأنا أستحي أن أكون سائلا
وردد سائلا ، وإن الله عودى عادة أن يفيض نعمه على ، وعودته أن أفيض
نعمه على الناس ، فأخشى أن قطعت عادة أن يمنعني لعادة ، ونشأ يقول :

إذا ما أتاني سائل قلت مرحبا عن فضله فرض على معجل
ومن فضله فصل على كل فصل وأفضل أيام العي حين يسأل
ويقول في الجود والسخاء :

إن السخاء على العباد فريضة لله يقرأ في كتاب محكم
وعد لعباد الأسخياء جنة وأعد للبحلاء نار جهنم
من كان لا تدى يده سائل للرابعين فليس ذلك بمسهم
وله أيضا :

خلقت الخلائق من قدرة فهم سخي ومهم نحيل
فأما لسخي في راحة وما الحيل فحزن طويل

وكانت الوفود من المرتقة ومحتاجين تزدحم عليه ، فيعلق عليهم يده
وإحسانه ويحزل لهم لمزيد من لطفه ، وقد ذكر التاريخ نوادر كثيرة من
كرمه وجوده ، منها :

١ - جاءه أعربى سائلا ، فقال : أعطوه ما في الخزانة ، وكان فيها
عشرة آلاف درهم .

فقال له الأعرابي : يا سيدي هلا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي ؟

فأجابه الإمام :

نحن أناس نوالنا خضل يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا خوفاً من ماء وجهه من يسأل
لو علم لبحر فضل نائلنا لفاض من بعد فيضه خجل

٢ واجتاز عليه السلام على غلام أسود بين يديه رغيف يأكل منه لقمة
ويدفع لكلب كان عنده لقمة أخرى .

فقال له الإمام : ما حملك على ذلك ؟
إني لأستحي أن آكل ولا أطعمه .

رأى الإمام فيه حصيلة من أحب الخصال عنده ، فأحب أن يجاريه
على صنعه ويقابل إحسانه بإحسان ، فقال له :
لا ترح من مكانك . ثم انطلق فاشترى من مولاه واشترى الحائض
(البستان) الذي هو فيه فأعتقه وملكه إياه .

٣ واجتاز يوماً في بعض أزقة المدينة فسمع رجلاً يسأل الله أن يرزقه
عشرة آلاف درهم ، فانطلق إلى بيته وأرسلها إليه بالوقت .
٤ وجاءه شخص يظهر العوز والحاجة فقال له :

ما هذا حق سؤالك ، يعظم لدى معرفتي بما يحب لك ويكره على وبيدي
تعجز عن نيلك بما أنت أهله ، والكثير في ذات الله قليل ، وما في منكى وفاء
لشكرك فإن قلت منا الميسور ، ورفعت عنا مؤنة الاحتفال والاهتمام فعت

فأجابته الرجل : يا بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقلل انقليل وأشكر العطية واعذر على المنع .

فأحضر رضى الله عنه وكيله وحاسبه وقال له : (هات فاضل) وكان الفاضل خمسين ألف درهم فدفعتها إليه ولم يكتف عليه السلام بذلك بل قال لوكيله : ما فعلت بالخمسمائة دينار التي عندك ؟ فقال له : هي عندي فأمره بإحضارها ثم دفعها إلى الرجل وهو يعتذر له .

إن قوله رضى الله عنه (الكثير في ذات الله قليل) يعم عن أن هذا العطاء إنما هو في سبيل الله تعالى لا يتبعى من أحد جزاء أو شكورا .

٥ - ومن ^(١) مكرمه أنه خرج مع سيد الشهداء الإمام الحسين وابن عمهما عبد الله بن جعفر وافدين إلى بيت الله الحرام ، وفي أثناء الطريق أصابهم جوع وعطش وقد سبقتهم أنقاعهم فانعطفوا على بيت قد ضرب أطنا به في وسط تلك البداء نقاحلة ، فلما وصلوا إلى البيت لم يروا فيه إلا عجور فطشوا منها شرباً وضغماً فأجابت بما طبعته عليه نفس لكريم قائلة : نعم . إيا النفس إذا جبلت على الحير وطبعته فيها الأريحية قدمت في سبيل العز والمجد كل ما تملك ، لم يث عند العجوز سوى شاة هي كل ما تملك مما أظنته الخضراء وأقلته الغبراء .

فتقدمت ويدها الشاة قائلة لهم :

(دونكم هذه لشاة فأحلبوها واشربوا لبنها) .

(١) حياة الإمام الحسن بن علي للأستاذ باقر شريف

فما فعلوا ذلك تقدمت إليهم مرة أخرى قائلة :

(أقسم عليكم إلا ما ذبحها أحدكم حتى أهني لكم الحطب لشيب)

فعلوا ذلك وهيأت العجوز الحطب ، وبعد الفراغ من تناول الطعام عرموا على الرحيل فتقدموا إليها وعرفوها بشخصياتهم ليجزوها على صنعها خيراً إن رجعوا إلى وطنهم قائلين :

(يا أمة الله إنا نفر من قريش نريد حج بيت الله الحرام فإذا رجعنا سالمين فهلئى إلينا لكافئك على هذا المصيع الجميل) .

ثم انصرفوا لشأنهم ، ثم أقبل رب البيت فاحترته العجوز بالقصة فاستولى عليه الغضب ذلك لأن الشاة هي مصدر القوت وإدراك الرزق عليهم فقال لها : (ويحك أتدبحين الشاة لأناس لا تعرفينهم ، ثم تقولين إنهم نفر من قريش) .

وسار الزمن فمضت سنة وأقبلت أخرى فصادت البادية أزمة شديدة لأن السماء قد منعتها قطرها حتى قلت موارد العيش وانعدمت أسباب القوت ، فرحلا عن البادية وزلا المدينة ولم يجدوا عملاً يحيطان به خيراً سوى التقاط لعر من الطرقات والشوارع ، فاتخذوا ذلك مهنة لهما ، وفي يوم من الأيام وهما على عملهما أرادت السعادة أن تحنو عليهما فلمح الحسن لعجوز ففرعها . وقد حل وفاء الدين ، والمعروف في ذمة الأحرار دين ، فأمر غلامه أن يأتيها إليه ، فلما مثلت بين يديه قال الإمام الحسن لها : أتعرفين يا أمة الله ؟

أنا أحد ضيوفك يوم كذااسة كذا.

لست أعرفك .

- إن لم تعرفني فأنا أعرفك .

ثم أمر غلامه فأشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطائها ألف دينار ،

ثم أمر غلامه أن يذهب بها إلى أخيه الحسين رضى الله عنه ويعرفه بها ،
فأخذها الغلام فلما دخلت عرفها سيد الشهداء فقال للغلام :

- كم أعطائها أخى ؟

فأخبره الغلام بعطائه فوصلها عليه السلام بمثل ذلك ، ثم بعث بها إلى

عبد الله بن جعفر فلما دحيت عليه عرفها ، فأمر لها بألفي شاة وألفي دينار ،
فأخذت ذلك جميعاً وانصرفت وقد تغير حالها من فقر مدقع إلى غناء وثروة
حسدها عليه كل من عرفها ، كل ذلك من بر الحسن وفضله .

٦ واشترى عليه السلام ستاناً من الأنصار بأربعمائة ألف . ثم

بلغه بعد ذلك أنهم قد احتاحوا إلى ما في أيدي الناس فرده إليهم ، وبذلك
أنقدهم من ذل السؤال وهذا فضل النواخ لسحاء .

٧ وحيته جارية بطاقة من ربحان فقال عليه السلام لها : (أنت حرة

لوجه الله) فلامه انس على ذلك : فأجابه أدباً الله تعالى فقال : (إذا حييت
بتحية فحيوا بأحسن منها) وكان أحسن منها يعتقها .

٨ وهناك قصة تروى عن مكارمه وتنحصى في أن مروان بن الحكم

قال : « إني لمشعوف بيلة الحسن بن علي فمن يأتيي بها ؟ »

فانبرى له ابن أبي عتيق قائلاً :

- أما آتيك بها لكن بشرط أن تقضى لي ثلاثين حاجة ؟

- ألتزم لك بذلك .

فقال ابن أبي عتيق لمروان : إذا اجتمع الناس عندك العشيّة فإني آخذ في مآثر قريش وأمسك عن الحسن فلمى على ذلك .

فلما اجتمع الناس أخذ ابن أبي عتيق في مآثر قريش وسكت عن ذكر فضائل الإمام الحسن .

فقال له مروان : ألا تذكر أولية أبي محمد وله في هذا ما ليس لأحد منا . فقال ابن أبي عتيق : إنما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر الأنبياء لذكرنا فضائل أبي محمد .

ولما خرج الإمام الحسن رضي الله عنه تبعه ابن أبي عتيق ، فلما نظر إليه الحسن عليه السلام تبسم وعرف العدة من مديحه فقال رضي الله عنه له : ألك حاجة ؟ فقال نعم ذكرت ليغلة ، فترى عليه السلام ودفعها إليه .

٩ وقصة أخرى تروى وملخصها أن فقيراً جاءه يشكو حاله ولم يكن عنده عليه السلام في ذلك اليوم شيء فعز عليه الأمر واستحى من رده فقال رضي الله عنه له : إني أدلك على شيء يحصل لك منه الخير ، فقال الفقير يا رسول الله ما هو ؟

قال رضي الله عنه : ذهب إلى لحيفة فإن ابتد قد توفيت ولتقطع عيها وما سمع من أحد تعزية بليغة فعز هذه الكلمات يحصل لك منه الخير .

قال : يا بن رسول الله حفظني أياها .

قال عليه السلام : قل له « الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها ولم يهتكها بجلوسها على قبرك » .

وحفظ الفقير هذه الكلمات وجاء إلى الخليفة فعزاه بها ، فذهب عنه حزنه وأمر له بجائزة .

وقال له : أكلامك هذا ؟

- لا ، وإنما كلام الإمام الحسن .

فقال الخليفة : صدقت فإن معدن الكلام الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى .

زهد

رفض الإمام جميع مباحج الحياة وزهد في ملاذها ونعيمها ، واتجه إلى الدار الآخرة التي أعدها الله للمتقين من عباده وقال عليه السلام : « من عرف الله أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، والمؤمن لا يلهو حتى يعطل إذا تفكر حزن ، وقد ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله » .

وقد تحدث رضى الله عنه عن عزوفه عن الدنيا واقتناعه بالقليل منها

بقوله :

لكسرة من خميس الخبز تشعنى وشربة من قراح الماء تكفينى
وطرة من دقيق الثوب تسترنى حياً وإن مت تكفينى لتكفينى

ويقول أيضاً :

قدم نفسك ما استطعت من التقى إن الميعة نازلة بك يا فتى
أصبحت ذا فرح كأنك لا ترى أحباب قلبك في المقابر وللى
وكان كثير ما يتمثل بهذا البيت :

يا أهل لدت لديب لا بقاء لها إن غترارا بفصل زل حلق
ويقول في دم المعرور في الدنيا ولمقتول بحب :

قل للمقيم بغير دار إقامة حان لرحيل فودع لأحباب
إن لدين نقيتهم وصحتهم صارو جميعا في قبور تراب

تقواه وورعه

كان لإمام نحس إذا دخل المسجد رفع صوته قائلا :

(يخي ضيفك بيديك يا محسن قد أتاك المنيء فتجاوز عن قبيح ما
عندي تخمين ما عندك يا كريم)

وإذا شرع في الصلاة بدا عليه الخوف والخصوع والخشوع حتى ترتعد
جميع فرائضه ، ومن مظاهر عبادته وخوفه من الله أنه إذا ذكر الجنة والنار
اضطرب اضطرب السليم ، فسأل الله الجنة وتعوذ من النار ، وإذا ذكر
الموت وما يعقبه من بعث ونشور بكى بكاء لخالقين وللمسيين . وإذا ذكر
العرض على الله شق شقة يغشى عليه منها ، وإذا حضر جنازة ظهرت عليه
السكينة أياماً ، وإذا مات في جواره ميت سمع منه لنحيب والبكاء كما

يسمع من دار الميت .

وأما تلاوته لتذكر الحكيم فكان يتلو آياته المحكمة بهمان وتدبر فكان لا يمر بآية تشتمل على نداء المؤمنين إلا قال : ليك اللهم ليك .
ومن مظاهر عبادته أنه كان يقرأ كل ليلة سورة الكهف وإذا فرغ من صلاة الفجر لا يتكلم إلا بذكر الله حتى تطلع الشمس .

وروى ابن قتيبة أن رجلا أتى الحسن بن علي يسأله فقال الحسن إن المسألة لا تصلح إلا في غرم فادح أو فقر مدقع أو حمالة مفضضة . فقال لرجل ما جئت إلا في إحداهن . فأمر له بمائة دينار ثم أتى الرجل لحسين بن علي فسأله فقال له مثل ما قاله أخوه فرد عليه كما رد على الحسن فقال كم عطاك - قال مائة دينار فقصه ديناراً كره أن يساوي أحده ، ثم أتى الرجل عبد الله بن عمر فسأله فأعطاه سبعة دنانير ولم يسأله عن شيء فقال له لرجل إني أتيت لحسن ولحسين واقتصص كلامهما عني وفعالهما به ، فقال عبد الله ويحك : وإني تجعلني مثلهما إيسر عني العلم خيراً المال .

ويذكر على عظيم زهده أنه رهد في الملك خوفاً من دماء المسلمين وظلماً لمُرصدة الله ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيناً قال : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين » ، كما سيأتي ذلك تفصيلاً بعد قليل ، وقد قال : والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني أن أرى أمّة محمد صلى الله عليه وسلم على أن يهراق في ذلك محجمة دم ، وذلك هو الزهد بعينه . قد بينت ذلك سابقاً .

هيئته ووقاره

الإمام الحسن سيد في حدائته وعظيم منذ صغره يلحق به أبو هريرة ويقول له : السلام عليك يا سيدي لأنه سيده رغم التفاوت بينهما في السن بدليل أنه يقسم دون أن يخاف مرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الحسن سيد . .

إن شخصية الحسن كانت تملأ العيون وتهيمن على النفوس لأنه قد التفت به عناصر الإمامة وتمثلت فيه هيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى لقد كان معاوية وهو سلفه يهابه ويحشاه . ولقد صار للحسن هيئة واحترام يضطر ابن عباس على جلاله وصحته أن يأخذ له الركاب إذا ركب ويرى ذلك فرصة سعيدة يتبرك بها هو وأرفع الصحابة كعباً وأدناهم من جده منزلة لأنه يتمتع منذ طفولته الرشيدة بقطنة حادة وحمية مهذبة متزنة تميزه أشياء لا تتوفر في غير ربيب النبي بل تفرض على محمد بن إسحاق أن يقول (ما تكلم عندى أحد كان أحب إليّ إذ تكلم ألا يسكت من الحسن بن علي وما سمعت منه كلمة فحش قط . .)

وقد بلغ من عظيم هيئته أنه كان يفرش له على باب البيت فإذا حرج وجلس انقطع الطريق ، لأنه لا يمر أحد إلا حلس إجلالاً وإكداراً له فإذا علم ذلك قام ودخل البيت .

ومن عظيم هيئته وهو مكنته في نفوس المسلمين أنه ما احتار مع أخيه

على ركب في حال سفرهما إلى بيت الله الحرام ماشيين إلا ترحل ذلك الركب تعظيماً وإكباراً لهما ، حتى ثقل المشي على جماهير الحجاج فكلّموا سعد بن أبي وقاص في ذلك فبادر إلى الإمام وقال له : « يا أبا محمد ، إن المشي قد ثقل على الحجاج لأنهم إذا رأوكما لم تعطب نفوسهم بالركوب فلوركبنا رحمة لهم » .

فأجبه الإمام بما يتم عن نفس قد عاهدت الله أن تبذل في مرضاته كل عمل ونفيس قاتلاً :

« لا نركب فقد عاهدنا الله أن نؤم بيته ماشين ، ولكن نتكسب الطريق كما جاء ذلك في المناقب .

وسار عليه السلام في بعض طرق يثرب ، وقد لبس حلة فاخرة وركب بعنة فاخرة ووجهه الشريف يشرق حساً وحمالاً ، وقد حفت به خدمه وحاشيته فرآه بعض اليهود فبادر إليه أحدهم وقال له :

يا بن رسول الله عندي سؤال ؟

ما هو ؟

إن جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » فأنت المؤمن وأنا الكافر وما الدنيا إلا جنة لك تنعم فيها وتستلذ بها وأنت مؤمن ، وما أراها إلا سجناً قد أهلكى حرها وأجهدنى فقرها ؟ لو نظرت إلى ما أعد الله لي وللمؤمنين في نادر الآخرة مما لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر لعلمت أني قبل تنقالي إليها وأنا في هذه

لحالة في سجن ، ولو نظرت إلى ما أعد الله لك ولكل كافر في دار الآخرة من سعير نار جهنم ، ونكال العذاب الأليم المقيم لرأيت قبل مصيرك إليه أنك في جنة واسعة ونعمة جامعة^(١) . وتركه الإمام واليهودي يتميز من العيظ ولحقده .

ورأى هيئة الإمام ووقاره بعض الأغبياء من لحاقدين عليه . فقال له :
« إن فيك عظمة » .

فأجاب الإمام : إن في عزة . ثم تلا قوله تعالى : (ولله العزة ورسوله
وللمؤمنين) . كما جاء في المناقب .

إن لحسن كان يحكي جده الرسول صلى الله عليه وسلم في هيئته
وسؤدده .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « ما الحسن في له
هيئتي وسؤددي ، وأما الحسين فإنه له جرأتى وجودى » .

وكل هذا يفسر ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما حين مات الإمام
لحسن : « أول من دخل على العرب موت الحسن عليه السلام وانت تدرك
من كلمة ابن عباس هذه أى مكانة كانت للإمام الحسن في المجتمع وإى
مراع كان يملؤه في الناس .

علمه وفصاحته وبلاغته :

أسلفت القول بأن الإمام الحسن رضي الله عنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث حفظها عنه ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب الإصابة لابن حجر ، وقد وعى حديث الرسول مع أنه كان دون الثامنة والحقيقة أن للبيئة التي نشأ فيها دخلاً عظيماً في تعليمه ، فبعد جده ثوبى الإمام على كرم الله وجهه تربيته وثقافته العلمية .

وقد نشأ على بن أبي طالب في الإسلام منذ طفولته وترى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرف علمه من بحر النبوة الأصلى حتى استلأ وصار كما قال الإمام الحسن النصرى رباني هذه الأمة .

وكان يتحدث بعمق ربه فيقول : « أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما من آية في كتاب الله عز وجل إلا وأنا أعلم أبيل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل » لذلك كان علم الإمام الحسن موروثاً بحق ومعروفاً من لمنع الأصلى فكان عبداً خالصاً ، حرص عليه ونفع به . وقدره قدره حتى روى عنه أنه كان يقول لسيه وبنى أخيه الإمام الحسين : « تعلموا العلم فإن لم تستطيعوا حفظه فكتبوه وضعوه في بيوتكم » . وفى تفسير كتاب الله تعالى سئل ذات يوم عن تفسير قوله تعالى في سورة (البروج) (وشاهد ومشهود) فأجاب بقوله أما أشاهد فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله تعالى : (يا أيها لى إنا أرسلناك شاهداً ومشرراً ونديراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً

منيراً) . وأما (المشهد) فهو يوم القيامة وذلك في قوله تعالى : (ذلك يوم
مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وما إن سمع منه السائل هذا التفسير
المؤيد بكتاب الله حتى احتضنه واثني عليه قائلاً : أشهد أنك من بيت النبوة .
أما بلاعته : فقد كان من أروع البلغاء في إصابته للمناسبات ، ومن
أقدرهم على الإيجاز والإعجاز والإبداع في الكلام ، فقد سئل عن مكارم
لأخلاق فقال : مكارم الأخلاق عشرة : صدق اللسان ، وتلذم^(١)
على الحار ، وصدق الناس . وإعطاء السائل ، وحسن الخلق ، وإكفاة
الصانع ، وصلة الرحم ، ومعرفة الحق للصاحب ، وقرى الصيف وراسين
الحياء .

وقال في فضل القرآن :

إن هذا القرآن فيه مصابيح النور ، وشفاء الصدور فليحل حل بصوته
ويلجم المصفة قلبه فإن التفكير حياة القلب البصير كما يمشي المستير في
الظلمات بالنور

وقال في الدعاء :

ما فتح الله عز وجل على أحد باب مسألة فخر^(٢) عنه باب لإجابة ،
ولا فتح على رجل باب عمل فخر عنه باب القبول ، ولا فتح بعد باب شكر
فخر عنه باب المزيد .

(١) تلذم : مأخوذ من أذمه أي جره وأخله تحت حماته

(٢) خرن : غلق وصد .

وقال في السياسة :

هي أن نرعى حقوق الله وحقوق الأحياء وحقوق الأموات ، فأما حقوق الله ، فأداء ما طلب والاجتناب عما نهى ، وأما حقوق الأحياء فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك ولا تتأخر عن خدمة امتك ، وأن تخلص لولي الأمر ما اخلص لأمنه ، وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا ما حاد عن الطريق السوى ، وأما حقوق الأموات فهي أن تذكر خيراتهم وتغاضي عن مساوئهم فإن لهم رباً يحاسبهم .

وقال له معاوية : ما يجب لنا في سلطاننا ؟

الإمام : ما قال سليمان بن داود .

معدوية : وما قال سليمان ؟

الإمام : إنه قال لبعض أصحابه : أتدري ما يجب على الملك في ملكه وما لا يضره إذا أدى الذي عليه منه ، إذا خاف الله في السر والعلانية وعادل في لعبه ولرضاه وقصد في الفقر والغنى ، ولم يأخذ الأموال عصباً ، ولم يأكدها إسرفاً وتبذيراً ، ولم يضره ما تمتع به من دنياه إذا كان من حلقته .

وقال في الصديق والصاحب :

ألا أخبركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان يظنه فلا يتشبه ما لا يحل ، ولا يكرر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يد إلا على ثقة لمنفعة ، كان لا يتشكى ولا يتبرم ، كان أكثر دهره

صامت فإذا قال بد (أى تفوق وغلب) القائلين ، كان ضعيفا مستضعفا ،
وإذا جاء أحد فهو اليث عديا ، كان إذا جامع لعلماء على أن يسمع
أحرص منه على أن يقول ، كان إذا غلب على الكلام لم يغيب على السكوت ،
كان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول ، كان إذا عرض له أمران لا يدري
أيهما أقرب إلى الحق نظر أقربهما من هواه فخالقه ، كان لا ينوم حد
على ما قد يقع لعذر في مثله ، كان لا يقول حتى يرى قصباً عدلاً وشهود
عدولاً .

المروءة والكرم والسجدة والكرم

التفت معوية يوماً إلى الإمام الحسن ، وقال له : يا أبا محمد أربع خصال
لم أجد من يجيئني عنها :

- ما هي ؟

- المروءة والكرم والسجدة والحزم .

أما المروءة فإصلاح لرجل أمر دينه وحسن قيامه على ماله وإفشاء
لسلام والتحبب إلى الناس . وقال أيضاً : المروءة شح لرجل على دينه
وإصلاحه ماله وقيامه بالحقوق .

لكرم : العطفية قبل السؤال ، والتبرع بالمعروف والإطعام في المحل .

- السجدة : الذب عن الخار والصبر عند الشدائد .

لحزم : طول الأداة والاحتراص من جميع الناس .

الكثرة والحرص والحسد :

قال الإمام الحسن عليه السلام :
 هلاك لئاس في ثلاث : لكبر وحرص وحسد .
 ولكبر به هلاك الدين وبه لعن إبليس .
 والحرص عدو لنفس وبه أخرج آدم من الجنة .
 والحسد رائد السوء وبه قتل هابيل قابيل^(١) .

التحريض على طلب العلم :

قال الإمام الحسن عليه السلام : تعلموا العلم فإنكم صغار القوم اليوم وكبارهم غداً ، ومن لم يحفظ منكم فليكتب .
 وقال : علم الناس وتعلم علم غيرك ، فتكون قد أتقيت علمك وعممت ما لم تعلم .
 وقال : حسن السؤال نصف العلم^(٢) .

فضل القرآن الكريم :

يقول الإمام الحسن : إن القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور فيحل حال بضوئه وليدعم لصفته قلبه ، فإن لتفكير حياة القلب لصير كما يمشي المستجير في الظلمات بالنور^(٣) .

السَّخَاءُ وَالْمَعْرُوفُ :

وكان عليه السلام يطوف في بيت الله الحرام ، فسأله رجل عن معنى الجواد ؟

فقال له : إن لكلامك وجهين ، فإن كنت تسأل عن المخلوق فإن الجواد الذي يؤدي ما افترض عليه ، والبخیل الذي يبخل بما افترض عليه ، وإن كنت تسأل عن الخالق فهو الجواد إن أعطى وهو الجواد إن منع لأنه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له ، وإن منع منع ما ليس له .
وقال عليه السلام : المعروف ما لم يتقدمه مطل ولا يتبعه من ، والإعطاء قبل السؤال من أكبر السؤدد .

في القضاء والقدر :

وكتب الحسن البصري إلى الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما ، يسأله عن القضاء والقدر ، فكتب الإمام الحسن بن علي يقول :
« من لم يؤمن بقضاء الله وقدره ، حيره وشره ، فقد كفر ، ومن حمل ذنبه ربه فقد فجر وإن الله تعالى لا يطاع استكراهاً ولا يعصى بغية ، لأنه تعالى مالك لما ملكهم ، وقادر على ما أقدرهم ، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا ، فإن لم يفعلوا فليس هو الذي أجبرهم على ذلك ، ولو أجبر الخلق على الطاعة لأسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم فإن ذلك عجز

فى القدرة ، ولكن الله له فىهم المشيئة التى غيبتها عنهم ، فإن عملوا بالطاعة
فله المنة عليهم ، وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم .

تقوى الله :

قال عليه السلام : « إن الله لم يخلقكم عبثاً وليس بتارككم سدى ،
كسب آجالكم وقسم بينكم معاشكم ليعرف كل ذى منزلة منزلته وأن ما قدر له
أصابه ، وما صرف عنه فلن يصيبه ، قد كفاكم مؤنة الدنيا وفرغكم لعبادته
وحثكم على الشكر واقترض عليكم وأوصاكم بالتقوى ، وجعل التقوى منى
رضاه والتقوى باب كل توبة ورأس كل حكمة ، وشرف كل عمل بالتقوى ،
فاز من فاز من المتقين ، قال الله تبارك وتعالى : (إن للمتقين مفازاً) . وقال :
(ويُنجي الله الذين اتقوا بمفارتهم لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون) . فاتقوا الله
عباد الله واعلموا أن من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفسق ، ويسدده فى أمره
ويهيئ له رشده ويفلجه بحجته ، ويبيض وجهه ويعطيه رغبته مع الدين أنعم
الله عليهم من النبين ولصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .
وقال عليه السلام :

يا ابن آدم عفا عن محارم الله تكن عادلاً ، وارض بما قسم الله تكن
غنياً ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً ، وصاحب الناس بمثل ما تحب
أن يصاحبوك به تكن عادلاً ، إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيراً ويننون
مشيداً ويأملون بعيداً ، أصبح جمعهم بوراً وعملهم عروراً ومساكنهم قبوراً ،

يا ابن آدم إنك لم تنزل في هدم عمرك مد سقطت من بطن أمك ، فجد بما في يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع ، وكان يتلو عقب كلامه هذا قوله تعالى : (وترودوا فإن خير الراد التقوى)

ومر عليه السلام على قوم يلعبون ويضحكون في يوم عيد انظر فوقك عليه السلام ونفت إليهم قائلاً :

إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرصاته فسبق قوم ففقدوا ، وقصر آخرون فخابوا ، فلعجب كل لعجب من صاحب لأعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ويحسر فيه المبتطلون ، ويتم الله نواصيتهم ليعطاء أن المحسن مشغول بحسنة والمسيء مشغول بساءته ثم تركهم عليه السلام ونصرف .

وفي المساجد يقول عليه السلام من ادام لاحتلاف إلى المسجد اصحاب تدين خصلاً .

آية محكمة ، وحام مستعدا ، وعلماء مستظرفا ، ورحمة منتظرة ، وكلمة تدل على هدى او تردعه عن ردى ، وترك لذنوب حياء او خشية .

الآداب الاجتماعية :

وجه لإمام على بن الحسن ستة هي برنامج تصحيح للأخلاق وخصائص وحاب حسن تد هو عنوان الخاضر فكان الخوف آية من آيات سلامة والانحاز .

- الإمام على : يا بني ما السداد - الحسن : يا أبت السدد دفع المنكر بالمعروف .
- » : ما الشرف ؟ - » : اصطناع العشرة وحمل الحريرة .
- » : ما المروءة ؟ - » : العفاف وإصلاح المرء ماله .
- » : ما الدنيئة ؟ - » : النظر في اليسير ومع الحقير .
- » : ما اللزوم ؟ - » : احتراز المرء نفسه وبذله عرشه .
- » : ما السباحة ؟ - » : البذل في العسر واليسر .
- » : ما الشح ؟ - » : أن ترى ما في يديك شرفاً وما أنفقته تلعماً .
- » : ما الإخاء ؟ - » : الوفاء في الشدة والرخاء .
- » : ما الجبن ؟ - » : الجرأة على الصديق والنكول عن العدو .
- » : ما الغنيمة ؟ - » : الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا .
- » : ما الحلم ؟ - » : كظم الغيظ وملك النفس .
- » : ما الغنى ؟ - » : رضى النفس بما قسم الله وإن قل .
- فإنما الغنى غنى النفس
- » : ما لفقر ؟ - » : شره النفس في كل شيء .
- » : ما المنعة ؟ - » : شدة بأس ومقارعة أشد الناس .
- » : ما الذل ؟ - » : انفرع عند المصدوقية .
- » : ما الجرأة ؟ - » : موافقة الأقران .

- الإمام علي : ما الكلفة ؟ الحسن : كلامك فيما لا يعينك .
- » : ما المجد ؟ » : أن تعطى في الغرم وأن تغفو عن الجرم .
- » : ما العقل ؟ » : حفظ القلب كل ما استرعته .
- » : ما الحزق ؟ » : معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك .
- » : ما الثناء ؟ » : إتيان الجميل وترك القبيح .
- » : ما الحزم ؟ » : طول الأناة والرفق بالولاة والاحتراس من الناس بسوء الظن هو الحزم .
- » : ما الشرف ؟ » : موافقه الإخوان .
- » : ما السفه ؟ » : اتباع الدناة ومصاحبة الغواة
- » : ما الغفلة ؟ » : تركك المسجد وطاعتك المفسد .
- » : ما الحرمان ؟ » : تركك حظك وقد عرض عليك .
- » : ما السيد ؟ » : الأحمق في ماله المتهاون في عرضه ، يشتم فلا يجيب ، المتحزن بأمر العشيرة هو السيد .
- » : ما الزهد ؟ » : الرغبة في التقوى والزهادة في الدنيا .

الإمام على : ما العي ؟ الحسن : العيث باللحية وكثرة التثنج عند المطلق .

» : ما الرأفة ؟ - : النظر فى اليسير ومع الحقير .

ومن حكمه عليه السلام :

أيها الناس إنه من نصح لله وأخذ قوله دليلاً هدى للتى هى أقوم ووفته الله للرشاد وسدده للحسى ، فإن جار الله آمن محفوظ وعدوه خائف مخذول فاحترسوا من الله بكثرة الذكر . واحشوا الله بالتقوى ، وتقربوا إلى الله بالطاعة فإنه قريب مجيب .

قال الله تبارك وتعالى : (وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) فاستجيبوا لله وآمنوا به فإنه لا يبنى لمن عرف عظمة الله أن يتعظم ، فإن رفعة الدين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا ، و [عز] الذين يعرفون ما جلال الله أن يتدللوا [له] ، وسلامة الدين يعلمون ما قدره الله أن يستلموا له ، ولا ينكروا أنفسهم بعد المعرفة ولا يضلوا بعد الهدى . واعلموا علماً يقيناً أنكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى ، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نبذه ، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذى حرّفه ، فإذا عرقت ذلك عرقت البدع والتكلف ورأيتم القرية على الله والتحريف ، ورأيتم كيف يهوى من

يهوى ولا يجهنكم لدين لا يعصمون . واتمسو ذلك عند اخيه فإيه خاصة
نور يستضاء به وأئمة يقتدى به ، به عيش لعلم وموت الخهل وهم الدين
احركم حلمهم عن جهنهم وحكم منطقهم عن صمتهم ، وظاهرهم عن
باطنهم ، لا يخافون الحق ولا يختلفون فيه ، وقد حلت لهم من الله سنة ومضى
فيهم من الله حكم إن في ذلك لذكرى للذاكرين ، واعقلوه إذ ستموه
عقل رعايته ولا تعقوه عقل روايته ، فإن رواية نكتب كثير ورعايته قليل
ولله المستعان .

جوابه في مسائل سئل عنها

بعث معوية رجلا متكررا يسأل الإمام علياً رضي الله عنه عن مسائل
سأله عنها ميث لروم ، فمما دخل الكوفة وحاضب أمير المؤمنين نكره فقرره
فاعترف له بالحال ، فقال الإمام علي قاتل الله ابن آكلة الأكباد ما أصله
وأصل من معه ، قاتله الله لقد أعتق جارية ما أحسن أن يتزوجها حكم الله
بيني وبين هذه الأمة قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي وأصاعوا يدي على
الحسن وحسين ومحمد فدعوا فقال عليه السلام يا أبا أهل الشام هذان
ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ابني فاسألا أيهم أحسن .

فقال لثامي : سأل هذا يعني لحسن عليه السلام ثم قال :

كم بين الحق والباطل وكم بين سماء والأرض وكم بين المشرق والمغرب ؟
وعن هذا المحو الذي في القمر ، وعن قوس قزح وعن هذه المجرة وعن

أول شيء انتصح على وجه الأرض وعن أول شيء هتر عيها وعن العين
التي تأوى إليها أرواح المؤمنين والمشركون وعن الموث وعن عشرة أشياء
بعضها تند من بعض ؟

فقال لحسن عليه السلام : يا اخا نشاء بين لحق ولباطل أصابع
ما ريت بعينك فهو لحق . وقد تسمع بأذنيك بأصلا كثيرا . وبين السماء
والأرض دعوة المظلوم ومد البصر فمن قال غير هذا فكذبه .

وبين المشرق والمغرب يوم مطر للشمس تنصر إلى الشمس حين تطلع
وتنظر إليهم حين تغرب من قال غير هذا فكذبه . وأما هذه المجرة فهي إشراج
السماء مهبط الماء المنهمر على نوح عليه السلام . وأما قوس قزح فلا تقل :
قزح فإن قزح شيطان ولكنها قوس الله وأمان من القرق . وأما المحو لذي في
لقمر فإن ضوء القمر كان مثل ضوء الشمس فحمد الله . وقال في كتابه :
فحون آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) .

وأما أول شيء انتصح على وجه الأرض فهو ودي دلس . وأما أول
شيء اهتر على وجه الأرض فهي النخلة . وأما العين التي تأوى إليها أرواح
المؤمنين فهي عين يقال لها سلمى . وأما العين التي تأوى إليها أرواح الكافرين
فهي عين يقال لها برهوت ^(١) . وأما الموث فبسن لا يدرى امرأة هو أم
رجل فيستظر به الحلم فإن كانت امرأة بانث ثديها ، وإن كان رجلا خرحت

(١) برهوت : ود باليمن أو بر بحضرموت وقيل هو سم للبدى لدى فيه لشر رثحت
منته قطعة جسد .

نحيته . وإلا قيل له يقول على الحائط فإن أصاب الحائط بوله فهو رجلٌ وإن
كص كما ينكص بول البعير فهي امرأة .

وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض فأشد شيء خلق الله الحجر وأشد
من الحجر الحديد ، وأشد من الحديد النار ، وأشد من النار الماء ، وأشد من
الماء السحاب ، وأشد من السحاب الريح ، وأشد من الريح الملك ، وأشد
من الملك ملك الموت ، وأشد من ملك الموت الموت ، وأشد من الموت
أمر الله .

قال الشامي : أشهد أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كلامه في الاستطاعة :

كتب الحسن بن أبي الحسن البصري إلى أبي محمد الحسن بن علي
عليهما السلام :

« أما بعد فإنكم معشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة ولأعلام
ليرة الشاهرة ، أو كسفينة نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون ونجا فيها
المسلمون ، كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر وحيرتنا في
لاستطاعة وأحزنا بالذي عييه رأيك ورأى آثائك عليه لسلام ، فإن من علم
الله علمكم واتم شهد على السس والله الشاهد عليكم ، ذرية بعضها من
بعض والله مميع علم .

فأجابه الحسن : بسم الله الرحمن الرحيم وصل إلى كتابك ولولا ما

ذكرته من حيرتك وحيرة من مضى قبلك إداً ما أخبرتكَ . أما بعد فن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أن الله يعلمه فقد كفر ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر .

إن الله لم يطلع مكرهاً ولم يعص مغلوباً ولم يهمل العباد سدى من المملكة بل هو المالك لما ملكهم والقادر على ما عليه أقدرهم ، بل أمرهم تخيراً ونهاهم تحذيراً ، فإن ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاذاً ، وإن انتهبوا إلى معصية فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل ، وإن لم يفعل فليس هو الذى حملهم عليها جبراً ولا ألزموها كرهاً ، بل منّ عليهم بأن بصّروهم وعرفهم وحذّروهم وأمرهم ونهاهم ، لا جلاً لهم على ما أمرهم به فيكون كالملائكة ، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه ، والله الحجة البالغة فلو شاء لحداكم أجمعين والسلام على من اتبع الهدى .

وحينما قال له معاوية بعد الصلح : (ادكر فضلنا) حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي وآله ثم قال : (من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن ابن رسول الله ، أنا ابن البشير النذير ، أنا ابن المصطفى بالرسالة ، أنا ابن من صلت عليه الملائكة ، أنا ابن من شرفت به الأمة ، أنا ابن من كان جبريل لسفير من الله إليه ، أنا ابن من بُعث رحمة للعالمين) . وهنا قال له معاوية : (يا حسن عليك بالرّطب فانعته لنا) .

قال : نعم يا معاوية الريح تلقحه ، والشمس تُنفخه والقمر يلونه ، والحر ينضجه ، والليل يبرده .

ثم أقبل على منطقته فقال : أنا ابن المستجاب الدعوة ، أنا ابن من كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن الشفيح المطاع ، أنا ابن مكة ومي أنا ابن من خضعت له قريش رغباً ، أنا ابن من سعد تابعه وشقي خاذله ، أنا ابن من جعلت الأرض له ظهوراً ومسجداً ، أنا ابن من كانت أخصر السماء له تترى أنا ابن من أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

فقال معاوية : أظن نفسك يا حسن تنازعك إلى الخلافة ؟

فقال : وبلك يامعاوية إنما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعة الله ، ولعمري إنا لأعلام الهدى ، ومنار التقي ولكم يامعاوية ممن أبار السنن ، وأحيا البدع واتخذ عباد الله خولاً ودين الله لعباً ، فكان قد أحمل ما أنت فيه فعشت يسيراً وبقيت عبدك تبعاته .

وروى عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني :

قال : ما تشاور قوم إلا هُتدوا إلى رشدهم .

وقال : اللّوم ألا تشكر النعمة .

وقال لبعض ولده : يا بُني لا تَوَاحَ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره ، فإذا استطببت الخبرة ورضيت العثرة فأخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة .

وقال : لا تجاهد الطلب جهاد الغالب ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم ، فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال في الطلب من العفة وليست العفة بدافعة رزقاً ولا الحرص بمجالب فضلاً ، فإن الرزق مقسومٌ واستعمال الحرص استعمال لمآثم .

وقال عليه السلام : القريب من قرَّبه المودة وإن بعد نسيه ، والبعيد من باعدته المودة وإن قرب نسيه . لا شيء أقرب من يد إلى جسد . وإن اليد تعل فتقطع وتحسم .

وقال عليه السلام : الحير لدى لا شرفه : الشكر مع النعمة والصبر على السرة .

وقال لرجل أبل من علة : إن الله قد ذكرك فاذكره وأقالك فاشكره .
وقال : العار أهون من الدار .

وقال عند صحة معاوية : إنا والله ما ثنا عن أهل الشام بالسلامة ونصير فسلبت السلامة بالعداوة - والصبر بالجدع ، وكنتم في مبدئكم إلى حين وديكم أمام دنياكم وقد أصبحتم اليوم ودياكم أمام دينكم .

وقال : ما أعرف أحد إلا وهو أحق فيما بينه وبين ربه .

وقيل له : فيك عضة فقال : بل في عزة . قال الله

(والله نُعْزِزْهُ وَرُسُولَهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)

ويقول عليه السلام : من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان آية محكمة وأخا مستفاداً وعلماً مستطرفاً ورحمة متظرة وكلمة تدله على الهدى أو تردّه عن ردى وترك الذنوب حياءً أو خشية .

ورزق علاعاً فأنته قريش تهته فقالوا : يهنيك القارس فقال عليه

السلام هذا القول ؟ ولعله يكون راجلاً فقال له جابر : كيف نقول يا ابن رسول الله ؟ فقال عليه السلام : إذا ولد لأحدكم غلامٌ فأنيتموه فقولوا له :

شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ، بلغ الله به أشدّه وورقك به .
 وقال عليه السلام : إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير مذهبه وأسمع
 الأسماع ما وعى التذكير وانتفع به . أسلم القلوب ما طهر من الشبهات .
 وسأله رجل أن يخيله - قال عليه السلام : إياك أن تمدحني فأنا أعلم
 بنفسى منك ، أو تكذبنى فإنه لا رأى لكذوب ، أو تغتاب عندى أحداً
 فقال له الرجل : أتأذن لي في الانصراف فقال : نعم إذا شئت .
 وقال عليه السلام : إن من طلب العبادة تركى لها . إذا أضرت النوافل
 بالفريضة فافرضوها . اليقين معاد للسلامة . من تذكر بعد السفر اعتد .
 ولا يغش العاقل من استصحه بيسكم وبين الموعظة حجاب الغرّة . قطع
 العلم عذر المتعلمين . كلّ معاجل يسأل الطرة وكل مؤجل يتعلل بالتسويق .
 وقال : اتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب ونجاة الحرب ، وبادروا
 العمل قبل مقطعات القمات ، وهدم الذات ، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها
 ولا تؤمن فجيئها ولا تنوق في مساويها - غرور حائل وسناد مائل فتعطوا
 عباد الله بالعبر ، واعتبروا بالأثر ، وازدجروا بالنعيم واتمّعوا بالمواعظ ،
 فكفى بالله معصماً ونصيراً وكفى بالكتاب حجيجاً وخصماً ، وكفى بالجنة ثوباً
 وكفى بالنار عقاباً وبالألم .

بيعة الإمام الحسن

بينت في الكتاب الثاني من أهل البيت (على بن أبي طالب) ما قدر

الله سبحانه وتعالى من اغتيال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه غدرًا بيد أحد الحوارج وهو (عبد الرحمن بن ملجم) فأتى الإمام شهيداً راضياً مرضياً .

وقد ضربه ابن ملجم في جبينه بسيف مسموم وهو خارج للصلاة الفجر ، ولم ينس الإمام على رضى الله عنه وهو في هذه المحنة القاسية أن يوصي أهله بالألا يمثلوا بقائه ، وقال لهم : (يا بني عبد المطلب لا أطلبكم تحضرون دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ، ألا لا يقتلن أحد إلا قاتلي ، انظروا يا حسن إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثل بالرجل فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور » . وكان مما قاله أمير المؤمنين مخاطباً ابنه الإمام الحسن في شأن ابن منجم : (يا بني نحن أهل بيت الرحمة والمغفرة ، طعمه مما تأكل واسقه مما تشرب ، فإن أنا مت فاقصص منه بأن تقتله ولا تمثل بالرجل ، وإن أنا عشت فأنا أعلم ما أفعل به ، وأنا أولى بالعفو ، فنحن أهل بيت لا تزداد على الذنب إلينا إلا عفواً وكرماً) .

وفي الساعة الأخيرة أوصى الإمام بنيه الحسن والحسين بوصية ، ثم نظر إلى أحبيهما لأبيهما محمد بن الحنفية رضى الله عنه وقال له :

(هل حفظت ما أوصيت به أخويك ، قال نعم : قال فإنى أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك ، العظيم حقهما عليك ، وترين أمرهما ولا تقطع أمراً دونهما) .

ثم قال لهما : وصيتكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما ، وقد علمتما أن

أنا كما كان يحبه فأحياه .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نأه بما وقع له .

فقد قال له يوماً : أتعلم من أشقى الأولين ؟

قال : نعم عاقر الناقة ، فقال ألا نعم من أشقى الآخرين ؟ قال لدى

يضر بك على هذه فيخصب هذه .

وفي رواية أنه لما أقبلت ليلة الثامنة عشرة من شهر رمضان اضطرب

لإمام أشد الاضطراب فجعل يمشي في صحن الدار وهو محزون لنفس

خائر تقوى ، ينظر إلى الكواكب ويتأمل فيها فيزداد همه وحزنه وهو يقول

متناً عن وقوع لحدث وقال : (ما كذبت ولا كذبت ، أنا ليلة نتي

وعدت بها) كما جاء في الصواعق .

ما مبايع الإمام الحسن فهناك خلاف بين الشيعة وسنة في مرها .

فيكاد يجمع الشيعة على إمامة هؤلاء الثلاثة على ونحس ونحسين

أما أهل السنة فلا ينكرون إمامة الحسن أيام خلافته حتى سمى الأمر

للمعاوية - ويرى الشيعة عكس ذلك فإمامته متصلة منذ مقتل الإمام على

إلى أن فرق الدنيا .

وفي هذا يذكر الشيعة أن عبد الله دفع إليه سلاحه وسائر تراث الأنبياء

والأوصياء وسلمه الاسم الأعظم ^(١) وأن عبد الله جمع أولاده بعد طعنه وكانوا ثني

عشر ذكراً فقال لهم : (يا بني إن الله عز وجل قد أبقى إلا أن يجعل في سنة

(١) لسعودي - إثبات نصية ونظرية لإمامة لدى الشيعة لاني عشرية

يعقوب إذا دعا ولده وكانوا اثني عشر ذكراً فأخبرهم بصاحبهم ، ألا وإني
أحرمكم بصاحبكم ، ألا إن هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشار
إلى الحسن والحسين فاسمعوا لهم وأطيعوا وذودوا عنهم فإني أئتمنتهما على ما
أئتمنى رسول الله مما أئتمنه الله عليه من خلقه .

أما أهل السنة فيذكرون عن علي أنه قال عكس ذلك إذا سئل ألا
تستخلف عبي ؟ قال : ما استخلف رسول الله فاستخلف ، ولكن إن يرد
الله للناس خيراً فسيجمعهم بعدى على حيرهم ، وأنه سئل هل يستخلف
الحسن ؟ فقال : لا آمركم ولا أباهم .

وفي معرض الخلاف بين الشيعة والسنة يذكر الدكتور أحمد صبحي (١)
أن علياً قد غادر الدنيا وهو ينصح شيعة ويلج عليهم بمواصلة الحرب ضد
معاوية ، لانه طلب الباطل فأصابه . وكان على يعلم أن ابنه الحسن لم يكن
يوافقه تماماً على حروبه ، ولم يكن متحمساً لها ، وربما لم يرغب عن بال على
أيضا أن لو آل الأمر إلى الحسن لسل الخليفة لمعاوية . وقد وصف علي ابنه
بقوله : (أما الحسن فصاحب حنة وخوان قتي من فتيان قریش ، ولو قد
التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم شيئا في الحرب . ثم يقول وأما أنا وحسين
فنحن منكم وأنتم منا) (٢) .

ونصل في النهاية إلى أن إمامة الحسن من وجهة نظر الشيعة واجبة

(١) نظرية الإمامة للدكتور أحمد صبحي .

(٢) ابن أبي الحديد (شرح النهج)

لا محيص عنها من حيث إنه السبط الأكبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأول الأئمة من ذرية الرسول ، فهو إذاً همزة الوصل بين الرسول وبين أى إمام منتسب إلى آل البيت .

ويؤيد المرحوم المذكور طه حسين الاختلاف الذى حدث بين المسلمين فالمؤرخون والمحدثون من أهل السنة يقولون إن علياً أى أن يستخلف حين طبع ذلك بعد أن أصيب . يقول قدم : إن الناس طلبوا إليه أن يستخلف الحسن فقال : لا آمركم ولا أنهاكم . ويقول قوم آخرون إن الناس طلبوا إليه أن يستخلف فأبى وقال : أترككم كما ترككم رسول الله .

والإمام الحسن بدون شك هو الحليفة الطيعي لوالده أمير المؤمنين فهو ربحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيد شباب أهل الجنة وهو إمام إن قام أو قعد وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « الحسن والحسين إمامان إن قاما أو قعدا » ، وقد هداه الله عن كل نقص ورحس ، كما دلت على ذلك آية التطهير ، بالإضافة إلى توافر جميع ما تتطلبه لخلافة من الصفات الربعية في شخصيته كالعلم ، التقوى والحزم والحدرة .

فرع المسلمون بعد موت الإمام وأجمعوا أمرهم على مبايعة الإمام الحسن فاجتمعوا في جامع الكوفة سنة أربعين من الهجرة في صباح ٢١ من شهر رمضان المبارك وقدمه للخلافة وبايعه قيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن العباس أما الأول فهو أعظم قواد على الذين بقوا على قيد الحياة بعد وفاة

عمار ، والاشتر وهو زعيم الأنصار فكانت بيعته بيعة الأنصار وأما الثاني فقد كانت بيعته بيعة بنى هاشم وآل الرسول صلى الله عليه وسلم وأقبل الإمام الحسن ، فاعتلى^(١) منصة الخطابة فابتدأ ، بعد حمد الله والثناء عليه بتأيين فقيد العدالة الكبرى الإمام أمير المؤمنين ، وتعداد بعض فضائله ومواهبه فقال : « لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل ، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقية نفسه ، ولقد كان يوجهه برايته فيكثفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ، ولقد توفى في هذه الليلة التي عرج فيها يعيسى بن مريم ، ولقد توفى فيها يوشع بن نون - وصى موسى - وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه ، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله . »

وتثلت صورة الإمام أمامه فخففته العبرة وأرسل ما في عينيه من دموع ، وكذلك بكى جميع من حضر في جنات الحفل ، وساد الحزن وعم الأسى . ثم استأنف الإمام خطابه ، فأعرب للناس عن سمو مكانته وما يتمتع به من الشرف والمجد قائلاً :

« أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي ، وأنا ابن النبي ، وأنا ابن البشير النذير ، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم

(١) وقد جرى ذلك أبر المرح بسنده في مقاتل الطالبيين ومؤيده ما جاء في نظري وبن الأثير

تطهيراً ، وأنا من أهل بيت افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى
 لسيه صلى الله عليه وسلم : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن
 يقترف حسنة نزد له فيها حسناً) فاقترااف الحسنة مودتنا أهل البيت .

وبذلك تضمن خطابه دعوة الناس إلى مابيعته ، وقد كانت دعواه رائعة
 بكل ما للروعة من معنى ، فلقد عرّف نفسه إلى الجماهير بأنه ابن الداعي
 إلى الله وابن السراج المير ، وأنه ممن أذهب الله عنهم الرجس والأناطيل ،
 وهل هناك أحد أحق بالحلاقة من شخص التقت به هذه الكمالات واجتمعت
 فيه هذه الفضائل .

ولما أسى عليه السلام خطابه الذى لم يرد اثاريخ إلا جزء يسير منه انبرى
 عبد الله بن العباس فحفز المسلمين إلى المبادرة لمابيعته قائلاً : « معاشر المسلمين
 هذا ابن نبيكم ووصى إمامكم فابيعوه » وتمت البيعة وهم (يمد يديعون الله ورسوله
 ثم يستعرض فى خطابه مزايا أهل البيت وحقهم الصريح فى الأمر
 فيقول : (نحن حزب الله الغالبون وعتره رسول الله الأقربون ، وأهل بيته
 الطيبون الطاهرون وأحد الثقلين اللذين حلفهما رسول الله فى أمته) إلى أن
 قال : فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة ،
 قال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر
 منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) . ثم يقول : (واحذركم
 الإصغاء لحفاف الشيطان ، فإنه لكم عدو مبين فتكونون كأوليائه الذين قال
 لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص

على عقبيه وقال إني برىء منكم إني أرى مالا ترون ، فستلقون للرماح ورداً
وللسيوف جزراً وللعمد حطماً ، ولنسبهم غرضاً ثم لا يرفع نفسه إيمانها لم تكن
أمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

ويجمع جمهور المؤرخين على أن الشيعة تمت في صبيحة ليلة التي وارى
فيها جثمان أبيه ، وإن كان بعض المؤرخين قد وقع في أخطاء تاريخية ، فقد
ذكر العلامة المرحوم الأستاذ محمد فريد وحدي أن الإمام الحسن رضي الله
عنه قد بويج له بالخلافة قبل وفاة والده ، وبدا انتهت الشيعة توفي ولده ، وهذا
القول مخالف لإجماع المؤرخين .

وحاول معاوية أن يدفع عن نفسه فقال :

أما بعد فقد وصل كتيك وفهمت ما ذكرت فيه ، ولقد علمت بما
حدث فم أفرح ولم احزن ولم أشمت ولم آس ، وإن علياً أباك لكما قال
أعشى بن قيس بن ثعلبة :

فأنت الحود وأنت الذي	إذ ما القيوب ملان الصدورا
حدير يصعن بدم اللقا	يضرِبُ مِمَّ لُساءِ لَمُورا
وما مزيد من حبيح البحار	يعو الأكام ويعو الحسورا
يا حود منه بما عوده	فيعضي لألوف ويعصي ليدورا

وتلمس في هذه رسالة دهاء معاوية وحذره وخوفه من لإمام الحسن ،
وذلك مدحه وثأته عن لإمام علي وإنكاره ما صهره من بفرح بموته ، وبولا
ذلك ما سجن لحصمه هذا الشيء لعاضر .

هل تسرع الإمام الحسن في قبول الخلافة :

يقول بعض النقاد إن الإمام الحسن تسرع في قبول الخلافة في مثل الظروف الذي بايعه فيه الناس بما كان يؤذن به هذا الظرف من زعازع ونتائج بعضها ألم وبعضها خسران .

يسارع إلى الجواب عن هذا التساؤل الشيخ راضى آل ياسين .
أما أولاً فلما كان الواجب على الناس دنيا الانقياد إلى بيعة الإمام المصوص عليه كان الواجب على الإمام مع قيام الحجة بوجود الناصر قبول البيعة من الناس .

أما قيام الحجة - فيما نحن فيه - فقد كان من انشغال الناس طوعية إلى البيعة في مختلف بلاد الإسلام ما يكفي بظاهر الحال دليلاً عليه ، ولا مجال للتحلف عن الواجب مع وجود شرطه .

وأما ثانياً فإن مبعث هذا الانعكاس الدائى عن قضية لحسن عليه السلام هو النظر إليها من ناحيتها الدنيوية فحسب والأنسب بقضية (إمام) أن يستطفاها لمباحث من ناحيتها الدينية على الأكثر ، وكثير هو الفرق بين دنياء ولدين في نظر إمام - والقضية من هذه الناحية ظفر لا خسارة ، وهى وإن تكن معرض آلام ولكنها آلام في سبيل الإسلام ، ومن أولى من الحسن بالإسلام وتحمل آلامه وإنما هو ست يته .

وأما ثالثاً فلم يكن الحسن في رفعة مكانته من زعماء المسلمين وفي نسه

الممتاز ومركزه من العلم بالذى يستطيع الفراغ وإن أرادته عن عمد ولا بالذى يتركه الناس وإن أراد هو أن يتركهم ، وكان لا بد للرجات العقيمة في المجتمع الإسلامى أن تندفع إليه تستدعيه للثوب إخفاقاً للحق وإنكاراً للمنكر ، كما وقع لأخيه الحسين عليه السلام في ظرفه .

وأيضاً فلو ترك الناس ونجافى عن بيعتهم أو تركه الناس وأعفوه خلاقهم فلن يتركه المتعلبون على الناس ، وإنهم لينظرون إليه - دائماً كشبح مخيف بما يدور حوله من الدعوة إلى الإصلاح أو النعمة الصارخة على الوضع التى كان يتطوع لها مختلف الطبقات من الساخطين والمعارضين والدعاة لله ، ولن يجد هؤلاء يومئذ ملجأً يفيثون إليه خيراً من ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام المحبوب . وهل كانت الوفود التى عرضت عليه استعدادها للمأواة الحكام الأمويين وإعادة الكرة^(١) لاسترجاع الحق المغصوب إلا ظاهرة هذه النعمة الصارخة التى كان يعج بها المجتمع الإسلامى يوم ذاك ، وأنى لسلطان المتعلبين أن يستقر ما دام هذا النار قائماً بقاءً إلى الناس .

ولتذكر أنه قتل مسموماً - ولماذا يقتلونه وقد صالحهم وترك لهم الدنيا برمتها لولا أنهم خافوه على سلطانهم ورأوا من وجوده حاجزاً يمنعهم من النفوذ إلى قلوب الناس . وهل ذلك إلا دليل انقياد الناس - في عقيدتهم - إليه دؤبهم .

وهذا كله بعد الصلح وبعد ظهور جماعات من شيعته وغير شيعته

ينكرون عليه موقفه من الصبح - كما سرى فيما بعد .

ترى فكيف كانت قوته في الناس لو أنه اتى الخلافة من أول الأمر وبقي
شعف المسلمين إلى بيعته على حدته فهل كان من المحتمل أن يظل محور
الأمل ومفرغ لدمعين والمعارضين ثم تمام عنه لعيون الحذرة على دنياه فلا
تعالج بما خست به حياته المقدسة أخيرا ؟ وهل كان إلا طعنة لاعتبارات
لكاهرة في سته الأولى بعد أبيه على أعقب النظر ؟

فأى منطق هذا الذي يرى من قبول الحسن للخلافة تسرعا ؟ !
والخلافة في أصلها مقام أبيه وميراثه وميراث أخيه على حد تعبير الإمام
على بن موسى بن جعفر عليهم السلام .

وأما الزعراع التي لُوح بها هذا النقد ، فما كانت إلا خطط الماويين
في تكويف وليس شيء منها بالذي يضير لحسن إبان نشاط للناس معه كما
هو في إبان بيعته . وأي حنيفة أو زعيم ليس له ماوثون ؟ فم لا يكون قبول
البيعة هو لأرحح على مختلف الوجوه ؟ بل هو الوجوب لضرورة الوقت
وللمصلحة العامة ولا يخفى الحق^(١)

الكوفة وبيعة الإمام الحسن

الكوفة^(١) هي قبة الإسلام وذرورة الكلام ومضان ذرى الإعلام إلا أن بها أجلافاً^(٢) تجمع دوى الأمر لطاعة وتخرجه عن الجماعة وتلك أخلاق دوى أهبة ولقناعة »

مصرها تسمون في السنة السابعة عشر للهجرة بعد فتح العراق مباشرة ، وقد زاد عمران الكوفة زيادة مصالحة حين هاجر إليها أمير المؤمنين علي بن ابي طالب فاتخذها مقراً له بعد وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ وكان دخوله إليها في ثاني عشر من شهر رجب .

ولما كانت الكوفة هي عاصمة الخلافة فقد تقاطر عليها كبار المسلمين من مختلف الآفاق وسكنها قبائل العربية من اليمن والحجاز ونجاليات الفارسية من المدائن وإيران وعمرت فيها الأسواق لتجارية وزهت فيها لدراسات العلمية .

وكان من لطيفي أن يغلب على الكوفة التشيع للإمام علي وأولاده عليهم السلام وكان لوجود الحسن عليه السلام في الكوفة وإقامته فيها ما جعله قلة الانظار فانتهت لبيعة له على خير ما كان يرجى لها من نقوة ولنشاط لولا أن

(١) وصف الكوفة (صعصعة بن صرحان عدلي)

(٢) الخلف هو تعليد الخلق .

للقدر أحكاماً لا تجرى على أقيسة العقول ولا تسير على رغائب الأنفس ، فكان الجو السياسى فى العاصمة التى تحتفل لأول مرة فى تاريخها بتصيب خليفة لا يزال راكداً مثلثداً مشوباً بشيء كثير من التبلل المرىب وذلك هو ما ورثته الكوفة من مخلفات الحروب الطاحنة التى كانت على مقربة منها فى البصرة والنهروان وصفين ، وقد كان فى الكوفة فى هذا الوقت أنصار كثيرون لشهداء هذه الحروب وضحاياها من الفريقين يشاركونهم الرى ويتمنون لو يسر لهم أخذ الثأر ويعملون ما وسعهم العمل لتفيد أعراضهم .

أما الحسن رضى الله عنه وهو فى مستهل خلافته فقد كانت القنوب كنهى معه لأنه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن من شرط الإيمان مودته ومن شرط البيعة طاعته^(١) .

وكما يقول ابن كثير (وأحبه أشد من حبه لأبيه)^(٢) .

إلا أن انتقال الخلافة الإسلامية إلى الحاضرة الجديدة فى العراق بما تحمله معها من الصراحة فى الحكم والصرامة فى العدل جعل فريقاً من التابعين يفكرون فى إقامة جسر بين الكوفة والشام ، وكان هذا الفريق من التابعين أقساماً ، فالحزب الأموى وعلى رأسه عمرو بن حريث وعمار بن الوليد بن عقبة وحجر بن عمرو وعمر بن سعد بن أبى وقاص وأبو بردة بن أبى موسى الأشعرى وإسماعيل وإسحق ابنا طلحة بن عبد الله وضراهم فكتبوا إلى معاوية بالسمع والطاعة فى السر واستحثوه على المسير نحوهم وضموا له تسليم

- (١) الشيخ رضى آل يمين

(٢) السيرة النبوية

الحسن إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به^(١)، وفيما يحدثنا المسعودي في تاريخه (أن أكثرهم أخذوا يكتبون معاوية سرًا ويتبرعون له بالمواعيد ويتخذون عنده الأيادي).

«ودس معاوية إلى عمرو بن حريث والأشعث بن قيس وحجار بن أحر وشيث بن ربيع دسيمة، وأثر كل واحد منهم بعين من عيونه أنك إذا قتلت لحسن فلك مائة ألف درهم، وجد من أجناد الشام وبنت من بناتي، فبلغ الحسن عليه السلام ذلك فاستلأم (ليس الأئمة) وليس درعاً وكفرها وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم إلا كذلك فرماد أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من الأئمة^(٢)».

وكان هؤلاء قادة السخط وأعوان الثورة وتبعهم الخوارج^(٣) لهم أعداء الإمام على رضي الله عنه منذ حادثة التحكيم وأقطابهم في الكوفة عبد الله بن وهب النرسي وشيث بن ربيع وعبد الله بن الكواء والأشعث بن قيس وشمر بن ذي الخوشت.

وكان الخوارج أكثر أهل الكوفة الحاجة على الحرب منذ يوم البيعة وهم الذين شرطوا على الحسن عند بيعتهم له حرب الحائسين الصالحين أهل

(١) تنفيذ في الإرشاد (٢) على الشريعة

(٣) خوارج هم قوم من الإسلاميين يرون في سيرة لحبطين عثمان وعلى رضي الله عنهما ومن بعدهم من أمراء المؤمنين وولاة أمورهم ما لا يرى عامة المسلمين ويرغمون أن محاجة للدين، فيخرجون من جماعة ويأبسون عندهم فيصطرونوا لأمرين قتاهم خشية اضطرب الأمن وتشتت عسده ومن ذلك أطلق عليهم اسم (خوارج)

الشام - فقبض الحسن يده عن بيعتهم على الشرط وأزادها (على السمع والطاعة وعلى أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم) ، فأتوا الحسين أخاه وقالوا له : « أبسط يدك لنا بيعك على ما نبيعنا عليه أبالك يوم نبيعناه وعلى حرب الحاكين الضالين أهل الشام » . فقال للحسين : « معاذ الله أن أبايعكم ما دام الحسن حياً » ، فانصرفوا إلى الحسن ولم يجدوا بداً من بيعته على شرطه ^(١) .

ومهم أيضاً الشكاكين وسبب تسميتهم بالشكاكين ترجع إلى تأثرهم بدعوة الخوارج من دون أن يكونوا منهم فهم المذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

ومهم (الحمراء) وهم عشرون ألفاً من مسدحة الكوفة - كما يحصيهم الطبري في تاريخه - إلى جانب هؤلاء كانت الأعلى الكبرى التي تناصر الحسن رضى الله عنه ، ومنهم جمهرة من بقايا المهاجرين ولأنصار لحقوا علياً بالكوفة وكان لهم من صحبتهم الرسول صلى الله عليه وسلم ما يفرص لهم المكانة الرفيعة بين الناس ، وقد برهن أنصار الإمام الحسن على إخلاصهم لأهل البيت منذ نودي الحسن للخلافة ، ومنذ نادى بعد خلافته بالجهاد وفي سائر ما استقبله من مراحل ، ولقد قدر لهم أن يكونوا يومئذ بمنحاة من دسائس المواطنين الآخرين ، وكان منهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وحجر بن عدى الكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وسعيد بن قيس الحمداني ، وحبيب بن مظاهر الأسدي ، وعدى بن حاتم الغنائي والمسيب بن نجيعة وزباد بن صعصعة وغيرهم .

(١) لإمامه وبياته

سياسة الحسن قبل الحرب

١ وضع الحسن رضي الله عنه لبيعته صيغة خاصة وقبض يده عما أريد معها من قيود ، وأرادها هو على السمع والطاعة والحرب لمن حارب والسلام لمن سالم فكان عند ظن المعجيين ببلاغته الإدارية بما ذكر من الحرب ولوح بالسلام فأرضى الفريقين من أحزاب الكوفة دعاء الحرب والمعارضين ، وكان لديه من الوضع النعم في الكوفة ما يكفيه تدبرا لاتحاد مثل هذه البيئة الحكيمة لوقت ما .

٢ زاد الحسن رضي الله عنه المقاتلة مائة مائة ، وكان ذلك أول شيء أحدثه حين الاستخلاف فتبعه الخلفاء من بعده عليه^(١)
٣ وقد أمر الحسن بقتل رجلين كانا يتجسسان لعدوه عليه وهدد بتنفيذ هذا لحكم روح الشعب التي كان يستجيب له عناصر كثيرة في الكوفة والبصرة .

قل نفيد رحمه الله : (١) بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين وبيعة الناس إليه الحسن دس رجلا من حمير إلى الكوفة ورجلا من بني النخع إلى البصرة ليكتنا إليه نالأحار ويفسدا على الحسن الأمور ، فعرف بذلك لحسن فأمر

(١) شرح صحيح لسان الحميد .

باستخراج الحميرى من عند لحام بالكوفة فأخرج وضرب عنقه^(١) .

ويؤيد أبو الفرج الأصفهاني ما ذكره المفيد ، ثم قال : (وكتب الحسن إلى معاوية : أما بعد فإنك دسست إلى الرجال كأنك تحب اللقاء لا أشك في ذلك فتوقعه إن شاء الله ، وبلغني أنك شمت بما لم يشمت به ذرو الحجي (يشير إلى ما تظاهر به معاوية من الفرح بوفاة أمير المؤمنين عليه السلام) ، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول :

فأباً ومن قد مات ما لكالذى يروح ويمسى في البيت ليغتدى
فقل للذى يبغى الخلاف الذى مضى تجهز لأخرى مثلها فكان قد
٤ - تمهله عن الحرب برغم إلحاح الاكثرين ممن حوله على البدار إليها
منذ تسلمه الحكم في الكوفة

٥ - استدراجه معاوية عن طريق التبادل بالرسائل إلى نسيان موقفه المتأرجح الذى لم تقو على دعمه الدعاوى الفارعة الكثيرة ، فإذا بإضامة من الغلطات هي أجوبة معاوية للحسن وهي التي كشفت للناس معاوية المجهول ومهدت للحسن معدنه تجاه رأى العام في حربه لمعاوية ، وإذا بمعاوية العريق المغلوب في منطق العقلاء وإن يكن الغالب بعد ذلك في منطق القوة .
وستنكر عامل الإمام على البصرة عبد الله بن عباس إرسال معاوية بعثة العيون والحواسيس إلى البصرة ، وأرسل له رسالة كما أرسل أخرى إلى الإمام الحسن يشجعه على مقاومة معاوية ، وقد جاء في هذه^(٢) الرسالة : « أما بعد

(٢) شرح بن أبي الحديد

(١) كشف الغمة - ولبحر - والإرشاد

فإن المسلمين ولوك أمرهم بعد على عليه السلام ، فشمّر للحرب وجاهد عدوك وقارب أصحابك واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك ديباه ، وولّ أهل البيوت والشرف تستصلح به عشائهم حتى يكون الناس جماعة ، فإن بعض ما يكره الناس ما لم يتعد الحق ، وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل وعز الدين خير من كثير مما يحبه الناس إذ كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور وذلل المؤمنين وعز القاجرين ، واقتد بما جاء عن أئمة العدل فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب إلا في حرب أو إصلاح بين الناس ، فإن الحرب خدعة ولك في ذلك سعة إذ كنت محارباً ما لم تبطل حقاً . . .

واعلم أن علياً أبأك إنما رغب الناس عنه إلى معاوية أنه آسى بينهم في النوى وسوى بينهم في العطاء فنقل عليهم ، واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام حتى ظهر أمر الله ؛ فلما وحد الرب ومحق الشرك وعز الدين أظهروا الإيمان وقرءوا القرآن مستهزئين بآياته ، وقاموا إلى الصلاة وهم كسائي وأدوا الفرائض وهم لها كارهون ، فلما رأوا أنه لا يعز في الدين إلا الأتقياء الأبرار توسعوا بيسيى الصالحين ليظن المسلمون بهم خيراً ، فما زالوا بذلك حتى شركوهم في أماناتهم وقالوا حسابهم على الله ، فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين ، وقد منيت بأولئك وبأبنائهم وأشباههم والله ما زادهم طول العمر إلا غيًّا ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلا مقتاً ، فجاهدهم ولا ترض دنية ولا تقبل خسفاً ، فإن علياً أبأك لم يجب إلى الكوفة حتى غلب على أمره فأجاب وإسهم يعلمون أنه

أولى بالامر إن حكموا بالعدل ، فلما حكموا بالظوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه حبه ، ولا تخرجن من حق أنت أئلى به حتى يحرق لموت دون ذلك ونسلام

واحتوت هذه الرسالة على أمور مهمة :

١ أن ابن عباس عرض على الإمام أن يولى الأشرف وذوى شتره ويشرى من الطين دينه يقضى بذلك على روح شتره ، ويكون الناس حسداً واحدة حتى يتمكن من مهاجرة معدوية ومقاومته ، وغفل ابن عباس أن ذلك يتنافى مع السياسة الرشيدة التى انتهجها أهل البيت فإنها بنيت على الحق الخالص

٢ واشتملت هذه الرسالة على أهم الأسباب الوثيقة التى أدت إلى خذلان الإمام فى دور خلافته ونجاح معاوية فى عهد حكمته . فإن الإمام قد انتهج سياسة العدل والمساواة فسوى بين المسلمين فى العطاء فلم يقدم أحد على أحد فى عطاء عملاً بما أمر به الإسلام ، ونصت عليه مبادئ العادلة التى محت التفاوت بين الأبيض والأسود وهدمت الحواجز بين الغنى وفقير وجعلت الناس سواسية كأسنان المشط كنههم من آدم وآدم من ترب ، لا ميزة لأحد على أحد إلا بالتقوى ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالعمل والكفاءة . سار الإمام على رضى الله عنه على هذه السياسة العادلة ومضى على هذه الخطة الواضحة حتى ضرب الرقم القياسى للمساواة والعدل ، فن يواذر

عدله أنه سائى بين سيدة قرشية وبين أمة في العطاء فعاظ انقرشية ذلك وأقبلت إليه وهي محقة معيضة تقول بحررة :

« أتساوى في العطاء بيني وبين هذه الأمة » .

فرمقها الإمام بطرفه وأخذ بيده قبضة من التراب وجعل يقلبه بيده وهو يقول : « لم يكن بعض هذا اترب أفضل من بعض » .

لقد ثقل على الناس هذه المساواة ، وشق عليهم هذا العدل لأنهم لا يتطبلون إلا مصالحهم الخاصة ، فلذا زهدوا في حكومته وخضعوا لحكومة معوية الذى لا هدف له إلا تحقيق رغباته .

٣ - وأعرب ابن عباس في رسالته عن دراسته الوثيقة لنفسيات الأمويين ومعرفته بما انطرت عليه قلوبهم ، فلقد بين أنهم مجموعة من الملحددين ، فإذا حاربهم الإمام فأما يحارب من حارب الله ورسوله حينما بزغ نور الإسلام ، فيه لما كتب الله النصر لدينه ، وقهر سلطان الإسلام العرب دخلت أمة فيه ، لكن لا إيماناً منهم بقصيته بل خوفاً من حر السيف ورهبة الموت ، فكانوا يتظاهرون باعتناق الإسلام فيقرؤون آيات الذكر الحكيم ، ولكن قراءة عن غير إيمان واعتقاداً بمبادئه ، وكانوا يقيمون الصلاة ولكنهم يؤدونها وهم كسالى ويقيمون فرائض الإسلام ولكن عن كره ، ولما رأوا أن خطتهم لا تضمن لهم النجاح ولا تكفل لهم السعادة إذ لا يعز في هذا الدين إلا الأبرار الصالحاء لقوله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أظهروا تدليساً ورياء ، الصلاح والتقى والإيمان ، وأضمروا في دخائل نفوسهم البشرك ولتفاق والحقق على

الإسلام ، وظلوا على هذه الحال يظهرن الطاعة لله والانقياد لأوامره وأحكامه حتى أشركهم المسلمون في أمورهم وشئونهم ، ولكن المسلمين مع ذلك كانوا مرتاين منهم شاكين في أمرهم على ريب من صدقهم .

٤ - واحتوت هذه الرسالة على حث الإمام وتحريضه لمحاربة هؤلاء المنافقين والمارقين من الدين ، ومواصلة حربهم حتى النفس الأخير لتستريح الأمة من شرهم ، وتسلم من مكرهم وغوائلهم ، ولا شك أن هذه الرسالة كان لها موقع حسن في نفس الإمام ، فقد حفزته إلى مناجزة معاوية ومقاومته وإعلان الحرب عليه^(١) .

رسالة الإمام إلى معاوية :

وأرسل الإمام رسالة أخرى إلى معاوية يدعوه إلى مبايعته وطاعته والدخول فيما دخل فيه المسلمون ، وقد أرسل الرسالة بيد شخصين من عيون المؤمنين وثقات الإسلام ، وهما الحارث بن سويد التميمي وجندب الأزدي ، وهذه نص الرسالة^(٢) :

« من الحسن بن علي أمير المؤمنين ، إلى معاوية بن أبي سفيان - سلام عليك ، فإن أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .
أما بعد : فإن الله جل جلاله بعث محمداً رحمة للعالمين ، ومنة

(١) حجة الإمام الحسن بن علي ، للأستاذ باقر شريف .

(٢) شرح بن أبي الحديد .

للمؤمنين ، وكافة للناس أجمعين (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) ، فبلغ رسالات الله ، وقام بأمر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا دان ، وبعد أن أظهر الله به الحق ومحق به الشرك ، وخص به قريشاً خاصة فقال له : « وإنه لذكر لك ولقومك » ، فلما توفى تنازعت سلطانه العرب ، فقالت قريش : نحن قبيلته وأمرته وأوليأؤه ولا يحل لكم أن تارعونا سلطان محمد وحقه ، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش ، وأن الحجة في ذلك لهم على من نارعههم أمر محمد فأبعمت لهم وسلمت إليهم ، ثم حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاججت به العرب فلم تنصفنا قريش إتصاف العرب لنا ، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإتصاف والاحتجاج ، فلما صرنا أهل بيت محمد وأوليأئه إلى محاحتهم وطلب النصف (الإنصاف) منهم باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ، ومراعمتنا ، والعتت منهم لنا ، فالوعد الله وهو الولي النصير .

ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا ، وسلطان بيتنا ، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام ، وأمسكنا عن منارعتهم مخافة على الدين أن يجحد المافقون والأحزاب في ذلك مغفراً يثلمونه به أن يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده ، فالיום فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله . لا يفضل في الدين معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكثاته ، والله حسيبك فسترد وتعلم

لمن عقبى الدار ، والله لتلقى عن قليل ربك ثم ليحزبك بما قدمت يداك ،
وما الله بظلام للعبيد ، إن علياً لما مضى لسبيله ، رحمة الله عليه يوم قبض ،
ويوم من الله عليه بالإسلام ، ويوم يبعث حياً ، ولأنى المسلمون بعده ،
فاسأل الله ألا يؤتينا فى الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من
كرامة

إلى أن قال : فدع التهادى فى الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من
يعنى قبلك تعلم أنى أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أبواب حفيظ ،
ومن له قلب منيب ، واتق الله ودع البغى ، واحقق دماء المسلمين ، فوالله
ما لك خير فى أن تلقى من دمائهم بأكثر مما أنت لاقية به ، وادخل فى السلم
والطاعة ، ولا تنارع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منك ، ليطوق الله اثارة
(لعداوة وانغضاء) بذلك ويجمع الكلمة ، ويصلح ذات الدين ، وإن أنت
أبيت إلا التهادى فى غيك سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله
بيننا ، وهو خير لحاكمين »

رد معاوية على الإمام الحسن :

« أما بعد ، فقد فهمت ما ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو
أحق الأولين والآخريين بالفضل كله ، وذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده
فصرحت بنهية أبى بكر لصديق وعمر ، ولنى عبيدة لأمين ، وصحابة
المهاجرين فكرهت لك ذلك إن لأمة لما تنازعت لأمر بينها ، رأت قريشاً

أخلقها به ، فرأت قريش والأنصار ، وذوو الفضل ولدين من المسلمين أن يولوا من قريش أعلمها بالله ، وأخشاها له ، وأقواها على الأمر ، فاختاروا أبا بكر ولم يألوا (لم يقصروا) ولو علموا مكان رجل غير أبي بكر يقوم مقامه ، ويدب عن حرم الإسلام دبة ما عدلوا بالأمر إلى أبي بكر ، والحال اليوم بيني وبينك على ما كانوا عليه ، فلو علمت أنك أضبط لأمر الرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأكيد للعدو ، وأقوى على جمع النىء لسلمت لك الأمر بعد أبيك ، ولكن قد علمت أنى أطول منك ولاية وأقدم بهذه الأمة تجربة وأكبر منك سناً ، فأنت أحق أن تجيبنى إلى هذه المنزلة التى سألتنى ، فادخل فى طاعتى ، ولك الأمر من بعدى ، ولك ما فى بيت مال العراق من مال بالغاً ما بلغ تحمله إلى حيث أحببت ، ولك خراج من العراق شئت معونة لك على نفقتك بحبها أمينك ، ويحملها لك فى كل سنة ، ولك ألا يستول عليك بالإساءة ، ولا تقضى دواك الأمور ، ولا تعصى فى أمر أردت به طاعة الله ، أعاننا الله وإياك على طاعته ، إنه سميع مجيب الدعاء ، والسلام » .

وكما يقول الدكتور أحمد رفاعى فى كتابه « عصر المأمون ، إن هذه الرسالة حوت بعض المعالطات ، فقد جاء فيها : « إن هذه الأمة لما اختلفت بينها ، لم تجهل فضلكم ، ولا سابتكم للإسلام ، ولا قرابتكم من نبيكم .. إلخ » ومن يتتبع الأحداث التى وقعت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عرف أن العثرة الظاهرة واجهت بعد النبي صلى الله عليه وسلم أشق المحن والخطوب فإن

الجرح لما يندمل والرسول عليه الصلاة والسلام لما يقبر استبد القوم بالأمر ، وعقدوا اجتماعهم في السقيفة ، وتعاقلوا عترة نبيهم ، وكان لهذا كله الأثر الذي ظهر بعد خمسين عاماً من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد تناهت عليهم الخطوب فإذا المسلمون في موكب جهير يحجب البداء من بلد إلى بلد وهم يحملون رعوس أبنائه على أطراف الرماح .

رسالة أخرى من معاوية للإمام :

وأرسل معاوية إلى الإمام رسالة يحذر فيها من الخلاف عليه ويمنيه بالخلافة من بعده إن تنازل له عن الأمر .
قال :

أما بعد ، فإن الله يفعل في عباده ما يشاء لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب ، فاحذر أن تكون منبتك على أبدى رعا من الناس وأيس من أن تجحد فينا غمزة ، وإن أنت أعرضت عما أنت فيه ، وبايعتني وفيت لك بما وعدت ، وأجريت لك ما شرطت ، وأكون في ذلك كما قال أعشى بن قيس ابن ثعلبة :

وإن أحد أسدى إليك أمانة فأوف بها تدعى إذا مت وافيًا
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تحفه إن كان في المال قانيًا
ثم الخلافة لك من بعدى فأنت أولى الناس بها والسلام .

ويقول بعض رجال التاريخ إن هذه الرسالة المشتملة على مثل هذا اللون

من التهديد والتوعيد إنما بعثها معاوية إلى الإمام الحسن بعدما اتصل اتصالاً وثيقاً برجال العراق وقادته وضمنوا له تنفيذ خطته فالغالب أنه لم يكتب ذلك إلا بعد الاتصال بزعماء العراق وانقطاع أمله من إجابة الحسن له .

آخر رسالة للإمام الحسن :

لم يكثر الإمام تهديد معاوية وأجابه بحجاب يلمس فيه الحزم :
 « أما بعد فقد وصل إلى كتابك تذكر فيه ما ذكرت وتركت جوابك حشية النقي عليك وبالله أعوذ من ذلك ، فاتبع الحق تعلم أني من أهله ، وعلى إثم أن أقول فأكذب والسلام . . »

وكانت هذه الرسالة هي آخر الرسائل التي دارت بين الإمام ومعاوية . وعلى أثرها علم معاوية أنه لا يحديه خداعه وأباطيله ، ولا تنفع مغالطاته السياسية وعرف أن الإمام مصمم على حربه فاتجه إلى هذا الطريق بل استعجل الحرب :
 لأنه اتصل اتصالاً وثيقاً بزعماء العراق ورؤساء القبائل ومنسأهم بالوظائف فأجابه سرّاً إلى تنفيذ أغراضه وبدل على ذلك المذكرة الآتية التي كتبها إلى عماله :

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان ابن فلان ، ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو - أما بعد - فالحمد لله الذي كفاكم مؤونة عدوكم وقتل خليفتمكم : إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فاغتاله فقتله فترك أصحابه متفرقين

مختلفين ، وقد جاءتنا كتب اشرفهم وقادتهم يلتبسون الأمان لانفسهم وعشائريهم ، فأقبلوا إلى حين يأتيكم كتابي هذا لجهادكم وخذكم وحسن عدتكم فقد أصبتم بحمد الله الصبر وبلغتم الأمل وأحل الله أهل نبي ولعدوان ولسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والذى يلفت النظر فى هذه الرسالة أن يسب معاوية نبي وعدوان للإمام على ، مع أن جنود معاوية هم التابعون . ولقد قتلوا الصحابي الجليل عمر بن ياسر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : (تقتلك الفئة لباغية) كما يلفت النظر شبانة معاوية فى الإمام على رضى الله عنه .

ولما وصلت هذه الرسالة إلى عماله وولائه قاموا بتحريض الناس وحشهم على الخروج والاستعداد لحرب ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطه ، ولما توفرت له نقوة الحائلة من الجند والعسكر وأصحاب المطامع الذين لا يقدرسون سوى المادة زحف بهم نحو العراق وتولى نفسه القيادة العامة للجيش . وناب عنه فى عاصمته الضحاك بن قيس الفهري وطوى معاوية البيداء بحيشه الحرار ، فلما انتهى إلى « جسر منبج »^(١) وعلم الإمام الحسن رضى الله عنه بذلك أمر بعض أصحابه أن يبادى فى العاصمة « الصلاة جامعة » ويقصد بذلك جمع الناس فى جامع لبلد فنودى بذلك واعتلى الإمام المنبر وقال :

« أما بعد . فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً ، ثم قال لأهل الجهاد : اصبروا إن الله مع الصابرين ، فليست أيها الناس نائلين ما تحبون

(١) حرم منبج ، بناء كبرى ، والمسافة بينه وبين حلب يومئذ

إلا بالصبر على ما تكرهون ، إنه بلغني أن معاوية بلغه أن كنا زعمنا على المسير إليه فتحرك لذلك ، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم في النخبة^(١) حتى ينظروا وتنظرون وترى وترى .

ولما أنهى عليه السلام خطابه وجم لحاضرون وأخرست ألسنتهم واصفرت ألوانهم ، كأنهم قد سيقوا إلى الموت ، فلم يحب الإمام أحد منهم كل ذلك لخوفهم من أهل الشام وجبههم للسلم وإيثارهم للعافية ، وكان هذا التخاذل في بداية الدعوة إلى جهاد العدو ينذر بالخطر ويدعو إلى التشاؤم وليأس . ولما رأى ذلك عدى بن حاتم الطائي وقف مكرماً سكوتهم ومخاضهم المفصوح قائلاً : « أنا عدى بن حاتم ، سبحان الله ما أقبح هذا المقام ألا تحييون إمامكم وابن بنت سيكم ، أين خطباء مضر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة ، فإذا جد الجدد راوغوا كالثعالب ، أما تخافون مقت الله . . . »

ثم التفت إلى الإمام مظهراً له الطاعة والامتنان قائلاً : « أصاب الله بك المرشد وجنبك المكاره ، ووفقك لما يحمد وردده وصدره ، قد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى أمرك وسمعنا لك وأطعنا فيما قلت ورأيت . »

ثم^(٢) أظهر إلى المجتمعين عزمه على الخروج لحرب معاوية فوراً قائلاً : « وهذا وجهي إلى معسكرنا ، فمن أحب أن يوافي فليواف » ثم خرج من المسجد

(١) نخبة موضع قريب من الكوفة وجاء في معجم البلدان أن معاوية قتل الحوارج به لما ورد إلى الكوفة ول ذلك يقول ابن الأثير رأياً .

في أدبين مما دأب لشراة به يوم النخلة عند الجوفى للحرب (٢) من أي الحديد .

وكانت دابته بالبواب فركبها وخرج وحده من دون أن يلتحق به أحد وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه فاتتهى إلى النخيلة فمسك بها وحده ، واضطرب غيظاً وموجدة كل من الرعيم قيس بن سعد بن عباد ، ومعتل بن قيس الرياحي ، وزيادة بن صعصعة التميمي ، لما رأوا عدم إجابة الجماهير فلاموهم على هذا التخادل وبعثوا فيهم الروح إلى حرب عدوهم ومناجزته ، ثم التفتوا إلى الإمام وكلموه بمثل كلام عدى في الانقياد والطاعة والامثال لأمره ، فشكرهم الإمام على موقفهم وأثنى على شعورهم قائلاً : « ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والنصيحة فجزاكم الله خيراً » .

وخرج الإمام عليه السلام فوراً لرد العدوان الأموي ، واستخلف في عاصمته المعيرة بن نوفل بن الحرث ، وأمره ببحث الناس على الجهاد وإشخاصهم إليه في النخيلة ، ثم إلى « دير عبد الرحمن » فأقام به ثلاثة أيام ليلتحق به المتخلفون من جنده ، ورأى أن يرسل مقدمة جيشه للاستطلاع على حال العدو واختار في مقدمة الجيش خلاصة أصحابه من الباسلين وكان عددهم اثني عشر ألفاً ، وأعطى القيادة العامة إلى ابن عمه عبيد الله بن العباس ، وقبل أن تتحرك هذه الفصيلة من الجيش دعا الإمام قائدها العام عبيد الله فروده بهذه الوصية .

« يا ابن العم إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء مصر ، الرجل منهم يزيد الكتيبة ، فسر بهم ، وألن لهم جانبك وبسط لهم وجهك ، وافرش لهم جناحك وأدبهم من مجلسك فإنهم بقية ثقات أمير

المؤمنين ، وسر بهم على شط الفرات ، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية ، فإن أنت لقيته فاحتبسه حتى آتيتك فإنى على أثرك وشيكاً وليكن خبرك عندى كل يوم ، وشاور هذين قيس بن سعد ، وسعيد بن قيس ، وإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك فإن فعل فقاتله وإن أصبت فقيس بن سعد على الناس ، فإن أصيب فمسعد بن قيس على الناس » .

وتدل هذه الرسالة على اطلاع الإمام الحسن الوافر فى تدبير شئون الدولة فإن لتوصية بالجيش بهذا اللون المشتمل على العطف والحنان والإطراء عليه بمثل هذا الثناء من أنهم بقية ثقات أمير المؤمنين خير دليل على ذلك .

وكان الإمام الحسن يقصد من ذلك تغذية معنوياتهم وإلهاب حماسهم والتأثير على عواطفهم ، ثم أوصاه بأن يلين لهم جانبه ويسط لهم وجهه ويفرش لهم جناحه ويدنهم من مجلسه ، وكان مقصد الإمام من ذلك إيتاء الثقة المتبادلة بين الجيش وقائده ، وهذه الثقة بدون شك ضرورية فى حرب تعوزها النظم العسكرية التى نعرفها اليوم .

على أن رجال التاريخ يتساءلون عن الحشبات التى آثر بها الإمام الحسن عليه السلام عبيد الله بن عباس للقيادة ، وفى الجيش معه أعلام من سراة الناس ومن ذوى السوابق والذكريات المجيدة الذين لا يهضمون الخلق المزهو ولا الخشونة الآمرة الناهية فى الفتى الهاشمى الذى لا يزيدهم كفاءة ولا يسبقهم جهاداً ولا يفضلهم تقوى ولا يكبرهم سناً ، فقد كان عبيد الله بن عباس يوم قيادته لهذا الجيش فى التاسعة والثلاثين من عمره .

ويقول رجال التاريخ أيضاً إنه كان في الجيش مثل « قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري » الرجل المعترف بكفاءته العسكرية وإخلاصه الصحيح لأهل البيت عليهم السلام وبأمانته .

ويجب المغفور له الشيخ راضي آل ياسين بقوله : إن الحسن حين أراد عييد الله للقيادة على المقدمة فرض عليه استشارة كل من قيس بن سعد وسعيد بن قيس ، كما هو صريح عهده إليه ، فخرج بذلك من الإيثار الذي يؤخذ عليه إذا كان هذا الإيثار تبعة يخاف منها على مصلحة الموقف وأصبحت القيادة على هذا الأسلوب شورى بين ثلاثة هم أليق رجاله لها ، أما تقديم قيس على صاحبيه وعلى غيرها من صحابة وزعماء وإيثاره بالقيادة وحده فقد كان في حينه مظنة لتنافس الأكفاء الآخرين الذين كان يلهمهم جناح هذا الجيش وفي هؤلاء الشخصيات المعروفة في قيادتها الميادين وفي إخلاصها وجهادها وسوابقها أمثال أبي أيوب الأنصاري وحجر بن عدي الكندي وعدى بن حاتم الطائي وأضرابهم ، لذلك كان تقديم ابن عم الإمام بل ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وتعيينه (اسماً) ثم الاستفادة من رأى قيس وصاحبه تخلصاً لبقاً لا ينبغي الخلاف فيه والتنافس عليه .

ثم إنه كان من الاحتياطات الرائعة للوضع العام يوم ذاك ألا يكون القائد في جبهة الحسن إلا هاشمياً ، وتفسير ذلك أن صورة لتخاذل التي دارت مع قضية الحسن في الكوفة كانت لا تزال نذيرة تشؤم كثير في حساب الحسن عليه السلام ، وكان عليه أن يتخذ من التدابير الممكنة كل

ما يدفع عنه ، في حاضره وفي مستقبله ، لوم الناس وتخطئهم ونقدهم ، ومن السهل على الناس أن يتسرعوا إلى التخطئة والنقد متى وجدوا موضعاً للضعف أو منفذاً إلى الفضل ولحرمان ، وكان من المتظر أن يقولوا فيها لو فشلت قضية الحسن في مسكن إنه لو كان القائد من أهله لكان أولى من غيره بالصبر على المكاره وتحمل العظام ، ولما آل الأمر إلى هذا المآل فكان الاستعداد لغوائل الوضع الراهن بتعيين القائد الهاشمي تديراً دقيق الملاحظة .

ثم إنه لن يكون إنسان آخر غير عبيد الله بن عباس ، لا قيس ولا ابن قيس ولا غيرهما ، أشد حنفاً ولا أعنف تألياً على معاوية منه كأب قتل ولده (الصبيان) صبراً فيما أملت فاجعة بسر بن أرطاة يوم غارته على اليمن ، فكان من الاستغلال المناسب جداً اختيار هذا القائد لقتال قاتل ولديه .

وأخيراً فإن جيش المقدمة الذي ولى قيادته عبيد الله هذا كان أكثره من بقايا الجيش الذي أعده أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة لحرب أجناد الشام ثم توفي عنه ، وكان قيس بن سعد بن عباد هو قائد ذلك الجيش في زمن أمير المؤمنين (١) .

ولهذه السوابق أثرها في توثيق الروابط الشخصية بين القائد والمقود ، وكان من السهل على القائد النافذ في جنوده أن يجتبح ، متى شاء إلى حرية التصرف التي لا تعبر عن اتصال إيجابي بالمركز الأعلى وهو ما كان يجب التحفظ منه كأهم عنصر في الموقف ، على أننا لا ننسى أن قيساً وقف بين صفوف الجيش

يوم رجعت له قيادته في مسكن بخيرهم بين الالتحاق بالإمام على الصلح وبين الاستمرار على حرب معاوية بلا إمام ، فأى احتياط كان أحسن من جعل القيادة في غير هذا الرجل وجعله مع ذلك المستشار لعسكري للاستفادة من كفاءته ودهائه وهو ما فعله الإمام الحسن . أما أمر الإمام الحسن ألا يعتدى عبيد الله على معاوية بالحرب لسد مراوغاته حتى لا يستطيع أن يدعى أنه ما جاء للحرب وإنما جاء للتداول في إصلاح أمر المسلمين ، كما نصت وصية الإمام على المشاورة .

وقد وقعت بعض أخطاء تاريخية يهمن أن نبرزها فقد قيل إن الإمام الحسن أسد قيادة مقدمة الجيش إلى ابن عمه عبد الله بن جعفر وضم إليه عشرة آلاف حندي ، وهذا يخالف ما أجمع عليه الرواة من أن قيادة المقدمة كانت لعبيد الله بن العباس بإشراف قيس بن سعد وسعيد بن قيس ، كما أن عدد المقدمة كان اثني عشر ألفاً ، وإن كان رجال التاريخ قد اختفوا في تحديد الجيش الذي نزع مع الإمام ، فابن أبي الحديد يقول : « وخرج الناس فمسكروا ونشطوا للخروج وخرج الحسن إلى المعسكر واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه فجعل يستحثهم ويخرجهم حتى يثتم المعسكر وسار الحسن في عسكر عظيم وعدة حسنة حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس ثم دعا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب فقال له : يا ابن عم إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء المصر . . »

وذكر الطبرى وغيره أربعين ألفاً ، وجاء في شرح النهج في صدد عتاب المسيب للإمام الحسن على صلحه كما سيأتى ذلك تفصيلاً : « فقال المسيب ابن نجبة للحسن عليه السلام : ما ينقضى عجبى منك صالحت معاوية ومعك أربعون ألفاً » ويقول ابن الأثير في الكامل : كان أمير المؤمنين على قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت لما ظهر ما كان يحجرهم به عن أهل الشام فيما هو يتجهز للمسير قتل عليه السلام وإذا أراد الله أمراً فلا مرد له . فلما قتل وباع الناس ولده الحسن بلغه مسير معاوية في أهل الشام إليه ، فتجهز هو والجيش الذين كانوا بايعوا علماً ، وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية . وكان قد نزل مسكن ، فوصل الحسن إلى المدائن ، وجعل قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى على مقدمته في اثني عشر ألفاً . . . » . ويؤيد هذا أيضاً ابن كثير . وكذلك روى ابن قتيبة أن سليمان بن صرد ذكر للإمام الحسن عند عتابه أيضاً على المصلح : « أما بعد ، فإن تعجبنا لا ينقضى من بيعتك معاوية ومعك مائة ألف مقاتل من أهل الفرق » وإن كان ابن قتيبة ينفرد دون غيره برواية المائة ألف عن سليمان بن صرد ، وهكذا اختلف رجال التاريخ في عدد الجيش ، والأقرب إلى الصحة أن عدد جيش المقدمة هو اثنا عشر ألفاً ، وعدد المتطوعين بعد ذلك في الكوفة أربعة آلاف ، ثم التفاصيل التي تواردت على الحسن في دير عبد الرحمن ، وهذه قرابة عشرين ألفاً .

على أن الاختلاف في عدد الجيش ليس لدى أهمية لأن الجيش مهما كان عدده كثيراً ، إذا كان مختلف الأهواء ، فلا بد أن يهزم ، ولا يجيء النصر

لا بالإخلاص والإيمان والعقيدة ووحدة الكلمة ، فكم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة بإذن الله بتضامنها وتعاونها .

كما قيل إن الإمام الحسن تجهز للحرب معاوية بعد ثمانية عشر يوماً من
وفاة أبيه . والمرجح أن الإمام لم يستعد للحرب إلا بعد ما فشلت جميع الوسائل
التي اتخذها لأجل السلم ، وتقدر هذه المدة بنحو شهرين على الأقل .

ويقول ابن كثير : إنه لم يكن في نية الحسن أن يحارب . وهذا
لأرحح غير صحيح لأنه لو لم يكن من رأيه الحرب لما بعث إلى معاوية تلك
الرسائل التي يتهدده فيها ويتوعده بإعلان الحرب إن لم يدخل في طاعته .

وبعد ما أسند الإمام القيادة العامة في مقدمة الجيش إلى عبيد الله بن
العباس انطلق عبيد الله يطوى البيداء مع الجيش حتى انتهى إلى (مسكن)
فاستقام فيها ، وقابل العدو وجهاً لوجه ، وهنا قام معاوية بدوره من نشر المخوف
والأرجيف ، وكانت باكرة تلك الدسائس نشر العيون ليديعوا لدعر
والإرهاب ، وكانت دعايتهم الأولى هي :

« إن الحسن يكتب معاوية على الصلح ، فلم تقتلون أنفسكم . »

وتمكن هذه الوسيلة من الاتصال بعبيد الله بن العباس وحذبه إليه ،
وقال له في رسالة بعث بها إليه : إن الحسن قد راسلني في الصلح ، وهو مسلم
لأمر إلى ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً وإلا دخلت وأنت تابع^(١)

(١) وذكر بن أبي الحديد رسالة معاوية ونصها (إن الحسن سيضطر إلى الصلح وخير لك أن

تكون تابعاً) .

ولئك إن أجتني الآن أن أعطيتك ألف ألف درهم أعجل لك في هذا الوقت نصفها وإذا دحيت الكوفة النصف الآخر .

وكان معاوية أحرص بشر على استغلال مآزق أعدائه ، وكان إيمان معاوية بالسفانة البشرية إيماناً لا حد له ، وهو إيمان يقوم على الاعتقاد بأن أقوم الناس حقاً ، وأشدهم عزمًا ، وأنقاهم فضيلة قد تستغويه الأطماع ويدله الحرص في ساعة من ساعات الضعف الذي يطرأ على النفوس ، وفترة من فترات الشك الذي لا ينفك عن مطاردة اناس ، ولا يسلم من غوائله أفاصل الناس وأعالي البشرية ^(١) .

وكان فيما حذر به أمير المؤمنين عليه السلام زياداً ، كما جاء في الكامل ، أن قال له : « وإن معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر » .

وهكذا صرح الشعور بالخيانة والاستسلام للطمع لفتى الأصيل ، فإذا هو أبشع صور الخيانة المفضوحة والضعف المخدول .

وفي غلس الليل ألهم تسلل عيد الله إلى معاوية ومعه بضعة آلاف من الجيش ، دخل دخول المهزوم المخدول الذي يعلم في نفسه أي إثم عظيم أتاه ، وفي تقديره أن في عنق عيد الله تقع المسؤولية الكبرى . فقد أدى تركه لجيش الإمام إلى زعزعته وتقليل وحداته واضطرابه ، وأصبحت البقية لباقية من الجيش تقتش عن قائدها ليصلي بها صلاة الصبح فلا تجده .

ولما رأى قيس بن سعد ما حدث من الفتنة السوداء ، قام فضلى بهم صلاة الصبح ، وبعد الفراغ منها قام خطيباً ، فهدأ روعهم وأثابهم إلى الصواب والرشاد وقال في خطابه :

« إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا يوم خيراً قط ، إن أباه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يقاتله بيد فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصارى ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين ، وإن أحاد ولاء على البصرة ، فسرق ماله ومال المسلمين فاشترى به الجوارى ، وزعم أن ذلك له حلال ، وإن هذا ولاء على اليمن فهرب من بشرين أوطاة ، وترك ولده حتى قتلوا ، وصنع الآن ما صنع » (١) . وكان قيس مؤثراً جداً ، وكان من تأثيره على سامعيه فيما ثلب به عبيد الله بن العباس أن « تنادى الناس : الحمد لله الذى أخرجه من بيتنا » .

ومما لا شك فيه أن خذلان عبيد الله بن العباس كان العامل الأساسى الذى سبب تفكك الجيش وتحاذله ، فقد طعن الجيش العراق وفتح باب الخيانة والعدو ، ومهد السبل للاتحاق بمعاوية . وقد وجد ذور النفوس الضعيفة مجالا واسعاً للعدو بخيانتهم للإمام ، فاتخذوا من غدر عبيد الله وسيلة لذلك فهو ابن عم الإمام ومن أقرب الناس إليه ، وقد يماً قد قيل :

إذا فاتك الأدنى الذى أنت حزبه فلا عجب إن أسلمت الأبعاد
وكان لعدو عبيد الله في نفس الإمام حزن بالغ وأسى مرير ، فإنه لم يزع

الدين ولا الوتر ولا الرحم الماسة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من قائده الأعلى ، ولا الميثاق الذى واثق الله عليه فى البيعة منذ كان أول من دعا الناس إلى بيعة الحسن فى مسجد الكوفة ، ولا الخوف من حديث الناس ونقمة التاريخ .

هل اكفى معاوية بخيانة عبيد الله بن عباس ؟ قطعاً لا . فقد تلون معاوية تلوناً مخيفاً ، فعمد إلى سلة أكاذيب يختار منها ما يشاء ، ثم يبعث بها إلى معسكرات الحسن . . . فكان يدس إلى عسكر الحسن فى المدائن من يتحدث : إن قيس بن سعد - وهو قائد مسكن بعد فرار عبيد الله بن عباس - قد صالح معاوية وصار معه ، ويوجه إلى عسكر قيس فى مسكن من يتحدث أن الحسن قد صالح معاوية وأجابه . ثم ينشر فى إشاعة أخرى على معسكر المدائن « ألا إن قيس بن سعد قد قتل فانفروا » . وهكذا بلغ معاوية بفتنته ما أراد .

وما منى الإسلام منذ ضرب بجرانه على جزيرة العرب بأفدح من هذه النكبة التى يترنح بها موقف الخلافة الإسلامية بين ثاقل الجنود ، ونحاذل الزعماء ، وخيانة القائد ، وفن العدو .

إنها الظروف القاهرة التى بدأت تنذر بأكداس من الخطوب والنكبات التى ستنجر حتماً إلى نهاية تاريخ قصير كان أنصع وأروع صفحات التاريخ الإسلامى وأبعدها ارتفاعاً فى المجد ، وأقربها أسباباً إلى الفخر ، إنها الكارثة التى تؤذن باللمحظة المشؤومة فى تاريخ الإسلام ، واللمحظة القائمة على عملية

الفصل بين العهدين : عهد الخلافة بمميزات ومثالياتها ، وعهد (الملك العضوض) وبلائه المقدر المفروض .

وكان الحسن عليه السلام أعرف الناس بقيم هذه المعنويات المهددة ، وأحرص المسلمين على حفظ الإسلام ، والرجل الحديدي الذي لا تزيده السكبات المحيطة به إلا لمعاناً في الإخلاص ، وانتقاداً في الرأي ، واستبسلاً في تلبية الواجب وتهادياً للممدأ .

ولم يكن لتساوره الحيرة على كثرة ما كان في موقفه من البواعث عليها ، ولا وجد في صدره حرجاً ولا تلوماً ولا ندماً ، ولكنه وقف ليختار الرأي ، ويرسم الخطة وليتخذ التدابير .

يقول ابن كثير : « وهو - يعنى الإمام الحسن - في ذلك الإمام البار الراشد الممدوح ، وليس يجد في صدره حرجاً ولا تلوماً ولا ندماً ، بل هو راض بذلك مستشربه » .

أَسْبَابُ الصَّلَاحِ

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في الإمام الحسن :

[إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به
بين فئتين من المسلمين عظيمتين] .

إن الحسن كان رجل صدق ، قد كره الفرقة وآثر اجتماع الكلمة ،
ونحاض غمرات الفتنة على كره منه ، قاوم الفتنة ما وسعته مقاومتها أيام عثمان
فلم يخلص فيما خلاص الناس فيه من حديثها ، ولم يشارك في المعارضة حين
عظم الشر .

ولو استطاع الحسن لاعتزل الفتنة اعتزالاً كما فعلت نذك المعتزلة مع
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من رأى الحسن ألا يرحل الإمام
على رضى الله عنه إلى العراق لقاء طلحة والزبير ولبيدة أم المؤمنين عائشة
رضى الله عنها ، وكان يكرهه أن يذهب إلى دار غربة ويتعرض للموت ولم
يوافقه الإمام إلا دأخنى بكى الحسن ذات يوم حين رأى ركاب أبيه تؤم العراق
فقال له أبوه : إنك لتحن حين الحاربية .

هذه مقدمة لا بد منها لأسباب تصلح تربية طبيعة الإمام الحسن رضى الله
عنه ، وبعد ذلك نستطيع أن نحمل لأسباب تبي أدت إلى صلاح الإمام

مع معاوية فيما يأتى :

أولاً : عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال فى الإمام الحسن : « إن أبى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين » .
 إن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الحسن وهو صبي فأجلسه إلى جانبه على المنبر ، وجعل ينظر إليه مرة ، وينظر إلى الناس مرة أخرى ، يفعل ذلك مراراً ثم قال : « إن أبى هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين » .

وقد وقع هذا الحديث من نفس الإمام الحسن أى موقع ، وقد ذكره حين ثارت الفتنة ، وقد اجتهد عندما حاول أن يشير على ولده أمير المؤمنين فى مواضع وظروف كثيرة أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين فيحقق سوية حده صلى الله عليه وسلم .

ومن وراء أفق الإمام الحزين رجع إلى الماضى ليرى صورة ممتعة^(١) من طفولته المباركة وصباه الباكر الكريم فتطلع منها إلى أيامه البيضاء الحافلة بالنور فى المدينة المنورة يوم كان يدرج فيها بموقعه الممتاز ومقامه المدلل المرموق بين أقرانه وأترابه ، ويوم كان يلعب ويمرح فيها ، ولكن بين سواعد أبيه العظيمين . وعلى صدر حده الأعظم أو على ظهره المقدس أو على أعواد مسره الشريف ، ويوم كان يتنقف الوحي منذ لحظاته الأولى ، ويتعلم كلمات الله من لسان نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ويتخرج بعلمه على مصدر العلم .

(١) صحاح الإمام الحسن شيخنا حسين

ويضع النقاط على الحروف ليستقبل سيادته على الناس وإمامته المفروضة في أعناق المسلمين ، وإنه ليستمع إلى جده حين كان يراود الناس في كل مناسبة على الاعتراف له ، بلسان أشبه بمباهاة ، كلما ذكر ابنه الحسن للسيادة والإمامة ، وظالما ذكره لهما في حديثه أو ذكرهما له .

كانت عهداً مفعمة بروح العظمة ، وبعظمة الروح جديرة بأن تهيب بالحسن فيتذكر منها أطيب الذكريات وأحفلها بالغبطة ونقوة والمكرمات ، وكانت هذه الذكرى مفتاح ذكريات من حقها أن تؤنس وأن تنسيه مزعجات لحظته الأخيرة ، ولعل أسطع فترة في حياة كل إنسان هي فترة طفولته البريئة بما يعمرها من الروابط المقدسة فيتذكر الحسن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وضعه على منكبه الأيمن ، ووضع أخاه الحسين على منكبه الأيسر فاستقبله أبو بكر فقال لهما : « نعم المركب ركبنا يا غلامان » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ونعم الراكبان هما ، إن هذين الغلامين ريحانتاي من الدنيا » .

وذكر يوم جثا جده وأركبه على ظهره وأركب معه أخاه الحسين وقال لهما : نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنما ، وذكر مرة أخرى يوم جاء ووحده ساجداً فركب رقبته وهو في صلاته ، ويوم جاء وحده راكع فأفرج له بين رجله حتى خرج من الجانب الآخر^(١) .

وذكر يوم قيل لجده : « يا رسول الله إنك تصنع بهذا - يعني الحسن -

شيئاً لم تصنعه بأحد » فقال : « إن هذا ربحاتي وإن ابني هذا سيد سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين » ، وذكر يوم كان طفلاً بين يدي أمه فاطمة عليهما السلام ودخل عليها أبوها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآه يلعب فقال لها : « إن الله تعالى سيصلح على يدي ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وفي الموقف الرهيب الذي واجهه الإمام تمثل أمامه ذلك الحديث الذي انطبع بلا شك في أعماق نفسه ، وفي دخائل ذاته منذ نعومة أظفاره وإنه ليطمئن إلى قول جده كما يطمئن إلى محكم التنزيل ، وما هو ذا جده العظيم يقول له ، وكأن صورته الشريف برن بعدوبته المحبة في أذنه ويقول لأمه الطاهرة البتول ويقول على منبره ، ويقول بين أصحابه : « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين » .

ويرجع الحسن إلى نفسه فيقول : ترى هل أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أصالح اليوم أهل الشام ؟ وهل أهل الشام البغاة فئة مسلمة يصح أن يعينها هذا الحديث ؟ وهل هذه هي الفتنة التي أرادني رسول الله صلى الله عليه وسلم لإصلاحها ؟ أو قد فقدنا الكفاية لقمعها من طريق القوة ؟ كل ذلك كان يراود الحسن فيثير في نفسه تفاعلاً عنيفاً يندر بانقلاب تاريخ وكل هذه الأسئلة كانت تنتظر الجواب من الحسن استعداداً للمصير الأخير .

وبعثت هذه الذكريات بما فيها التوجيه النبوي الذي استشعر منه الحسن حماية جده له في أخرج ساعاته فكرة الإنقاذ للموقف فيما لو أتيح لهذه الأسئلة أجوبتها المطابقة لمقتضى الحال .

نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك يقيناً دون شك ، وإن هذه الفتنة هي الفتنة التي عناها فيما لوح إليه في أحاديثه الشريفة ، ولا فتنة أعظم من فتنة تشق المسلمين انشقاقهم هذا قتلهم عما يُراد بهم من أعدائهم الواقفين لهم بالمرصاد ، وعما يراد منهم من إعمار وتنظيم وجهاد ، وأما الحكم على الجعاعة بحصانة الإسلام ، فهو ما يشير إليه موقف أمير المؤمنين عليه السلام منهم حين منع سبي نسائهم وذرائعهم وكفى بسيرة أمير المؤمنين أسوة صالحة وقُدوة في الدين راجحة .

ويرى أستاذنا العميد الدكتور طه حسين أن الحسن كان يميل إلى السلم بتأثير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ينشأ أن يصلح بين فئتين كبيرتين من المسلمين وأن هذا الحديث قد وقع في نفس الصبي أي موقع وأنه قد ذكره حين ثارت الفتنة وكأنه حاول بمشورته على أبيه في مواظبه تلك أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين فيحقق نبوءة جده ، ويؤيد هذا الرأي التمرقيق الأكبر من المسلمين فيقول ابن تيمية : « دل الواقع على أن رأى ولده حسن من ترك القتال كان أجدى وأنفع للأمة ويستند إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين كبيرتين من المسلمين) .

ثانياً : إنه في الوقت الذي ظل فيه جيش معاوية محتفظاً بالولاء لحكومته ولم يصب بالرجات التي أصيب بها جيش الإمام ، فقد مُني جيش الإمام بالانحلال والتفكك والتمرد فقد تضاربت الحزبية فيه كما أن الجنود قد

سثموا من الحروب ، ولا شك أنه مما زاد في ضعف جيش الإمام حرب
 الضميين والنهروان فقد طحنت الحرب فيها جمعاً عفيراً منهم حتى أصبحوا
 يكرهون الحرب ويؤثرون السلم ويحبون العافية ، وكذلك فإن الجيش لعراق
 لم يربح في حرب الجمل وصفين والنهروان شيئاً من العتاد والأموال ، ومن
 الأسباب التي أدت إلى تقلل الجيش العراقي فقدته للقوى الواعية من أعلام
 الإسلام الذين آمنوا بحق أهل البيت وعرفوا فضلهم وتضارب الحزبية فيه .
 ثالثاً : والعامل الثالث الذي دعا الإمام إلى المصالحة والمسالمة هو ما
 يتمتع به خصمه من القوى العسكرية وغيرها التي لا طاقة للإمام على منازعتها .
 رابعاً : ومن العوامل التي دعت الإمام إلى الصلح ما روع به من اعتيال
 أبيه ، فقد ترك ذلك حزناً مقمياً وأسى شديداً في نفسه لأنه قد قتل على غير مال
 احتجبه ولا سعة في الإسلام غيرها ولا حق اختص به دونهم ، وكان يحيا
 بينهم حياة الفقراء والضعفاء ويتطلب لهم حياة حافلة بالعم والحيرات ويسعى
 جاداً في إقامة العدل ، فعمدوا إلى اعتياله وتركوه صريعاً في محرابه لم يحفظوا
 حرمة ولا حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وقد رأى الإمام الحسن
 عليه السلام بعد ارتكابهم لهذه الجريمة التكرار أنه لا يمكن إصلاحهم
 وإرجاعهم إلى طريق الحق والصواب فزهد في ولايتهم وقد قال : « وقد
 زهدني فيكم اغتيالكم أني » .

خامساً : ومن دواعي الصلح رغبة الإمام الملحة في حقن دماء المسلمين
 وعدم إراقتها ولو فتح باب الحرب مع معاوية لصحى بشيعته وأهل بيته ويبحث

بذلك الإسلام من أصله ، وقد صرح عليه السلام بذلك في جوابه عن دوافع صلحه فقال : « إني خشيت أن يبحث المسلمون عن وجه الأرض ، فأردت أن يكون للدين ناعى » ، فقد شهد الحسن مع أبيه مشاهد في البصرة وصفين والهروان ، ويقول أستاذنا العميد الدكتور طه حسين إنه يعتقد أن الإمام الحسن وأخاه أبا الشهداء قد شهدا هذه الحروب دون أن يشاركا فيها ، بل إن أباهما كان يضمن بهما على الخطر مخافة أن يصيبهما شر فتقطع ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يقيهما بنفسه وبأخييهما محمد بن الحنفية ، وكان يشتد على محمد هذا ويعنف به إن رأى منه في الحرب أناة أو تقصيراً حتى كلمه في ذلك بعض أصحابه . فقد كان الإمام على إذا أشد الناس إثارة للحسن والحسين لمكانهما من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أصحابه يصنعون صنيعه في ذلك فيؤثرونهما بالخير والبر ، ويروى أن رجلاً أهدى إلى الحسن والحسين وترك محمداً فلم يهد إليه شيئاً فلما رأى على ذلك من الرجل وضع يده على كنف الرجل وتمثل :

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا

فذهب الرجل فأهدى إلى محمد كما أهدى إلى أخويه .

ومن هذا نرى أن الحسن كان كارهاً للفتنة منذ ثارت .

وأجابه عليه السلام بعض الناقمين عليه من شيعته في الصلح فقال :

« ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل » ، وأعرب في

خطابه الذى ألقاه في المدائن عن مدى اهتمامه بدماء المسلمين فقد جاء فيه :

أيها الناس إن الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق أتركه لإصلاح أمر الأمة وحقق دمائها .

ومن حيطته ورعايته لذلك أنه أوصى أخاه الحسين حينما وافاه الأجل المحتوم أن لا يهرق في أمره ملء محجمة دماً ، إن أحب شيء للإمام عليه السلام الحفاظ على دماء المسلمين ونشر الأمن والوثام فيما بينهم ، وقد بذل في سبيل ذلك جميع جهوده ومساغره .

سادساً : لقد علم الإمام الحسن أنه إن حارب معاوية فإن العراقيين قد يسمونه أسيراً إلى معاوية ، وأغلب الظن أنه لا يقتله بل يحلّ عنه ويسجل له بذلك مكربة ومفضلة . ويسدى يداً بيضاء على عموم الهاشميين ويعسل عنه العار الذي لحقه من أنه طليق وابن طليق ، وقد صرح الإمام الحسن بهذه الخاطرة فقال : « والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنتي حتى يدفعوني إليه سلباً . والله لئن أسأله وأنا عزيز أحب إلى من أن يقتلني وأنا أسير أو يمن علي فتكون سبة على بني هاشم إلى آخر الدهر وللمعاوية لا يزال يمن بها هو وعقبه على الحي منا والميت » .

سابعاً : انضمام المحنكين والسياسيين إلى معاوية طمعاً في ماله وديده وهم كالمغيرة بن شعبة الذي قيل في حيلته ودهائه : « لو كان المغيرة في مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج منها إلا بالمكر والخداع لخرج المغيرة من أبوابها كلها » . وكان من حاشيته عمرو بن لعاص وكان في طبيعة من رفع عمر ثورة على عثمان لأنه عزله من منصبه ، وهو الذي خدع الجيش بعرق

يرفع المصاحف فتركه ممزق الأوصال ، لقد جذب معاوية هؤلاء الدهاة ،
ووقف الإمام الحسن معهم في صلحه أحزم موقف يتخذه المفكرون فقد
حفظ ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقق دماء المؤمنين .

ثامناً : ومن جملة الأسباب التي دعت الإمام إلى الصلح الحوادث التي
لاقاها في المدائن وهي :

(أ) خيانة الزعماء والوجوه واتصلهم بمعاوية .

(ب) الحكم عليه بالتكفير من قبل الخوارج .

(ج) اغتياله . سب أمته .

تساعاً : قد يكون من المفيد أن أسجل ما لاقاه أنصار الإمام الحسن
وأن أعرض نماذج من الدين أودوا بسب موقفهم من الإمام :

١ محمد بن أبي حذيفة :

بعد في ضيعة رجال الإسلام الساهرين على مصلحته والأميرين بالمعروف
ولسعين عن المنكر وقد قال أمير المؤمنين (ع) في حقه : « إن الحمادة تأتي
أن يعصى الله ثم عده منهم ، وكان ملازماً لأمر المؤمنين وفي خدمته ، ولد
قتل (ع) وانتهى الأمر إلى معاوية أراد قتله ثم بدا له أن يسجنه فسجنه أمداً
غير قصير . وثقت يوم إلى أصحابه فقال لهم : ألا يرسل إلى هذا السفيه
محمد بن أبي حذيفة فسكته ويخبره بضلاله . وبأمره أن يقوم فيسب علياً »
فقالوا : نعم ، ثم أمر بإحضاره فلما مثل عنده اثقت إليه :

« يا محمد ألم يأن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك على
 بن أبي طالب (ع) ؟ ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوماً وأن عائشة وطلحة والزبير
 خرجوا يظنون بدمه وأن علياً هو الذى رمى الناس فى قتله ونحن اليوم نطلب
 بدمه ؟ » .

فجابه محمد : « إنك تعلم أنى أمس القوم بك رحماً وأعرفهم بك »
 - أجل .

فوالله الذى لا إله غيره ما أعلم أحد شرك فى دم عثمان وكب الناس
 عليه غيرك لما استعمتكم ، ومن كان مثك فسأله المهاجرون والأنصار أن
 يعزبكم فأتى ففعلوا به ما بلغت ، والله ما أحد شرك فى قتله بدءاً وحيراً
 لا طلحة والزبير وعائشة ، فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة ولما عليه
 الناس ، وشركهم فى ذلك عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وعمار
 ولأنصار جميعه .

فارتاع معاوية وقال منكراً عليه :

قد كان ذلك ؟ ! ! !

- أى والله ، وإنى لأشهد أنك منذ عرفتك فى الجاهلية والإسلام لعلى
 خلق واحد ، ما زل الإسلام فيك لا قليلاً ولا كثيراً وإن علامة ذلك فيك
 لتقية تنومنى على حى عياً ، خرج مع على كل صوام قوم مهاجرى وأنصارى .
 وخرج معك أبناء المنافقين والضلقاء ولعتقاء خدعتهم عن دينهم وخدعوك
 عن دينك ، والله يا معاوية ما حفى عليك ما صنعت وما حفى عليهم ما صعر

إذا أحلوا أنفسهم بسخط الله في طاعتك ، والله لا أزال أحب علياً لله
ورسوله وأبغضك في الله ورسوله أبداً ما بقيت ! ! » .

- « وإني أراك على ضلالك بعد رده إلى السجن » .

فردوه له فكث مدة من الزمن حتى مات فيه

لقد لاقى محمد حقه وهو مروع في ظلمات السجون لأنه لم يرتض
أعمال معاوية ولم يقره على مكراته وأباطيله ، وهكذا كان مصير الأحرار
والبلاء المعارضين لحكومة معاوية يلاقون التعذيب والتشكيل والتحليل في
السجون .

٢ - عبد الله بن هاشم المرقال :

ومن الذين أراعههم معاوية وأدخل القزع في نفوسهم الزعيم المثالي عبد الله
ابن هاشم المرقال فقد كان معاوية يحمل في نفسه كمدأ وحقدأ عليه ،
وذلك لولائه وإخلاصه لأمر المؤمنين (ع) ولوقف أبيه هاشم في يوم صفين ،
ذلك الموقف الحالد الذي أخافه وأزعجه حتى صمم على الهزيمة والفرار
وللتشقى والانتقام منه ، فقد كتب إلى عامله زياد رسالة يطلب فيها القبض
على نجل هاشم عبد الله كي يسكل به وهذا نص ما كتبه :

« أما بعد فانظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده إلى عنقه ثم اعث
به إلى » .

وذا وصلت رسالة معاوية إلى زياد قام في طلبه ولم يمر بذلك عبد الله هرب

منه وحتى ، وعلم به بعض الأوغاد فجاء إلى معاوية ليتقرب إليه فأخبره أنه قد حتى عند امرأة محرومية في الوقت دعا معاوية كاتبه فكتب إلى زياد رسالة وها هي دى :

أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى حى بنى مخزوم ففتشه در دار حتى تأتى إلى دار فلانة المحرومية فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقول منها ، فاحلق رأسه وألصقه حبة شعر وقبده وعل يده إلى عنقه واحمله على قتب بعير وطاء ولا غطاء وأقدمه إلى » .

فمثل زياد أمر معاوية فتمش حى بنى مخزوم حتى ظفر بعبد الله فحمسه إليه بالكيفية التي أرادها وهو مهان الحانب محطه أنكيان ، فوصل إلى دمشق يوم الجمعة وهو يوم القبول الذى أعده معاوية لمقابلة شرف قریش ووجوه العراقيين فلم يشعر معاوية إلا وابن هاشم قد أدخل عليه ، فصرفه ولم يعرفه مستشاره ابن العاص فالتفت معاوية إليه قائلاً :

يا أبا عبد الله ، هل تعرف هذا الفتى ؟ قال لا .

هذا الذى يقول أبوه يوم صميين :

إلى تمرت النفس لما اعتلا وأكثر النوم وما قلا
أعدد يغى أهله محلا قد علج لحبة حتى ملا .
لا بد أن يصل أو يفلا أسلمهم يذى الكعوب سلا

لا خير عندى في كريمة ولى

وظهرت الدهشة على ابن العاص ولتفت إلى معاوية وقال :

دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب وشعب أوداحه على أشدحه
ولا ترده إلى أهل لعراق ، فإنه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ،
وحزب إبليس ليوم هيجانه وإن له هوى سيوديه ورأياً سيظفيه ، وبطانة
ستقويه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها .

فاترى إليه عبد الله كالأسد الغضبان مسدداً إليه سهاماً من اقرب غير
هياب له قاتلاً :

« يا عمرو ، إن أقتل فرجلاً أسلمه قومه ، وأدركه يومه ، أفلا كان هذا
منك إذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك إلى الزل ، وأنت تنوذ بشمال لطاف^(١)
وعقائق الرصاف^(٢) كالأمة السوداء ، والنعجة القوداء لا تدفع يد لأمس^(٣)
فاعتاض ابن العاص ولم يستطع أن يقول شيئاً سوى التهديد والتوعيد
وإعلان الظفر والغلبة عليه قاتلاً : أما والله لقد وقعت في لهرم^(٤) ، تدقم
للأقران دى لبد ولا أحسبك مسنداً من محالب أمير المؤمنين ،

فأجبه ابن هاشم غير معتن بهديده وتوعيده :

أما والله يا ابن العاص إنك لبطر في الرفاء جبان عند اللقاء غثوم إذا
وليت هياب إذ لقيت تهدر كما يهدر العود المكوس المقيد بين محرى الشوك
لا يستعمل في المدة ولا يرتعى في الشدة ، أفلا كان هذا منك إذ عمرك أقوام

(١) انطاف : ماء غيبس

(٢) عقائق ، سهام الاعتذار ، و رصاف : الحجارة التي توضع عند ميل الماء

(٣) لأمس : جمع مفردة لهرم وهي الأبواب والشدائم للأسد

لم يعفوا صغاراً ، ولم يمزقوا كباراً لهم أيد شداد ، وألسنة حداد يدعون العوج ، ويذهبون الحرج ، يكثررون القليل ، ويشفون الغليل ، ويعزون الدليل ؟ »

فلم يطق ابن العاص جواباً وبقي يفتش في حقيبة مكره عيباً أو سوءاً يوصم به عبد الله فلم يجد شيئاً سوى افتعال الكذب فقال :
« أما والله لقد رأيت أباك يوماً يومئذ تحقق أحشاؤه وتبقى أعضاؤه وتضطرب أصلاؤه^(١) كأنما انطبق عليه ضمد » .

فأبهرى إليه عبد الله عجيباً عن بهتانه وكذبه قائلاً له :
« يا عمرو إنا قد بلوناك ومقاتلك فوجدنا لسانك كذباً غادراً ، خبوت بأقوام لا يعرفونك - وجدنا لا يسامونك ، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لحبط عليك عقلك^(٢) ، ولتلجلج لسانك ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حملة » .

والتفت إليهما معاوية قاطعاً حديثهما قائلاً : « أيها عمكما » ثم أمر بإطلاق سراح عبد الله ، فاستاء ابن العاص لهذا العفو ، وأبهرى إلى معاوية محرضاً له على الفتك والبطش به ومذكراً له موقف أبيه هاشم في صفين .

(١) الأصلاء : أروابط الظهر .

(٢) حبط عقله : أى نظر إلى رأيه فرأى سوء ما ارتأى .

٣ - عبد الله بن خليفة الطائي :

وعبد الله بن خليفة الطائي ممن عرف بالولاء والإخلاص لأهل البيت وللإمام علي فقد جاء إليه حينما توجه (ع) إلى البصرة فقال له :

« الحمد لله الذي رد الحق إلى أهله ، ووضعه في موضعه ، فإن كره ذلك قوم فقد والله كرهوا محمداً صلى الله عليه وسلم ونابدوه وقائلوه ، فرد الله كيدهم في نحورهم وجعل دائرة السوء عليهم ، والله لأجاهدن معك في كل موطن تحفظاً لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد دل حديثه على إيمانه وعقيدته وطيب عنصره وحسن رأيه ، وكان من المقربين عند الإمام ومن الذين يستشيرهم في مهام أموره .

وكان عبد الله في طليعة أصحاب ححر ومن المعارضين للسياسة الأموية ومن المشتركين معه في ثورته ، ولما قبض زياد على ححر وأصحابه أمر شرطته (وهم أهل الحمراء) أن يأتوه بعبد الله ففتشوا عنه فوجدوه فناحرهم عبد الله وأخيراً استولوا عليه فنادت أخته النوار بقومها وأسرتها محروسة لهم على نجدة أحياء ونصرتة قائلة :

« يا معشر طيئ أتلعمون سنانكم ولسانكم عبد الله بن خليفة ؟ »

فثار الطائيون على الشرطة فضربوهم وناجزوهم حتى انتزعوا منهم عبد الله فرجعت الشرطة إلى زياد وأخبرته بالأمر فاستدعى زعيم طيئ وعميدهم عدي بن حاتم فقال له :

« إثنين بعد الله بن خليفة ؟ »

وبعد حديث جرى بينهما قال ابن حاتم له مقالا يلمس فيه شرفه ونبله
وسمو نفسه :

« لا والله لا آتيك به أبداً ، أحيثك يا ابن عمي تقتله ؟ والله لو كان تحت
قدمي ما رفعتهما عنه . »

فلتاع ريد وأمر به إلى السجن ، ولم يبق بالكوفة يمانى ولا ربحى إلا أتوا
زياداً فكلّموه في شأن عدى وأخبروه بعظم شأنه وشرفه فاضطر زياد إلى
إطلاق سراحه بشرط أن يغيب ابن عمه عن الكوفة فوافق عدى على ذلك
وأمر عبد الله أن يغادر الكوفة ويلحق با (الحليلين) فعادر عبد الله الكوفة
وقد سرى الألم العاصف في محياه على بعده عن وطنه وعلى فراقه لأصحابه
وأهله وقد أرسل إلى عدى بعد نفيه قصيدة عصماء يرثى بها حجر^(١) وأصحابه
ويذكر فيها ما يعانيه من الألم والحزن على بعده عن وطنه فيقول في رثاء حجر :
ولاني^(٢) حجر من الله رحمة فقد كان أرض الله حجر وأعدرا
ولا رال تهصن ملث وديمسة على قبر حجر أو يبادى فيحشر
في حجر من للخيّل تدمى تحورها وللمنك المقرى إذا ما تعشمر^(٣)
ومن صادع بالحق بعدك ناطق بتقوى ومن إن قيل بالخور غيرا
فعمه أحو للإسلام كت وإني لأطمع أن تؤقى لخلود وتحبرا

(١) التصير يرجع إلى مرج عذره .

(٢) تعسر أى أخذ تهر وضماً .

وقد كنت تعطى السيف في الحرب حقه وتعرف معروفاً وتنكر منكراً
ثم يسترسل في رثاء حجر فيذكر صفاته الرفيعة ومواهبه وملكانه ويسكيه
أمر البكاء وينتهي في قصيدته إلى وصف محنته وإلى ما يلاقيه من الألم
والأسى في غربته فيقول :

فها أنا ذا آوى بأجبال طيئ طريداً فلو شاء الإله لغيرا
تعاف عدوى ظالماً عن مهاجرى رضيت بما شاء الإله وقدرنا
وأسمى قومي بغير حناية كأن لم يكونوا لي قبيلة ومعشرا
وذكر الطبرى وابن الأثير بقية القصيدة وقد أعرب فيها عن لوعته وحزنه
على فراقه لأهله ووطنه ، وقد ظل منفياً حتى مات بالجليل قبل موت زياد^(١).

٤ - صعصعة بن صوحان :

وصعصعة بن صوحان من سادات العرب وفصحائهم النابغين وخطبائهم
المفوهين كان من ذوى الفضيلة والدين وقد أسلم على عهد رسول الله (ص)
وهو صغير ولم يجتمع به لصغر سنه ووفد على الخليفة الثانى وكان يقسم
أموال العنائم وكان مقدارها ألف ألف درهم نفضا على المسلمين وبقيت منها
فضلة فاختلفت الصحابة في تلك الفضلة أين يضعونها فقام فيهم عمر خطيباً
فقال في خطابه :

« أيها الناس ، قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس ، فاتقولون فيها » .

(١) الطبرى (ج ٦ ص ١٥٧) الكامل (ج ٣ ص ٢٤١)

فانبرى إليه صعصعة منكرًا عليه تحيره في هذه المسألة البسيطة قائلاً :
 « يا أمير المؤمنين ، إنما تشاور الناس فيما لم ينزل الله فيه قرآنًا ، وأما ما أنزل
 الله به القرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى » .
 فاستحسن عمر رأيه وقال له : « صدقت أنت مني وأنا منك » ثم قسم
 المال بين المسلمين ^(١) .

وكان صعصعة في طليعة أصحاب أمير المؤمنين (ع) ومن الملازمين له
 وقال الإمام الصادق عليه السلام في حقه : « ما كان مع أمير المؤمنين من
 يعرف حقه إلا صعصعة وأصحابه » ^(٢) ومرض صعصعة فعاده (ع) فقال
 له : « يا صعصعة ، لا تتخذ عبادتي لك أبهة على قومك ! ! » .
 - بلى والله أعدها منة من الله وفضلاً على .

- إنك إن كنت على ما علمتك فأنت خفيف المؤنة حسن المعونة .
 - وأنت والله يا أمير المؤمنين بالله عليماً وبالمؤمنين رءوفاً رحيماً ^(٣) .
 ولحصافة رأيه وسداد منطقته كان الإمام (ع) يرسله في مهامه فقد أرسله
 مرة إلى معاوية ومعه كتاب منه فلما انتهى إليه قال معاوية مشيداً بنفسه
 ومبرراً لأعماله :

« الأرض لله وأنا خليفة الله فما آخذ من مال الله فهو لى وما تركت منه
 كان جائزاً لى » .

(١) الاستيعاب (ج ٢ ص ١٨٩) .

(٢) التعليقات ص ١٨٣

(٣) نفس المصدر .

ونقل على صعصعة هذا الكلام الملتوى الفارغ من الحق فانبرى إليه
مجيباً:-

تمنيك نفسك مالا يكون جهلا معاوى لا تأثم
فتألم معاوية وقال متدداً به :
« تعلمت الكلام ؟ »

- العلم بالتعلم ومن لا يعلم يجهل .
 - ما أحوجك إلى أن أذيقك وبال أمرك .
 - ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذى لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها .
 - من يحول بينى وبينك ؟
 - الذى يحول بين المرء وقلبه .
 - اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير
 - اتسع بطن من لا يشبع ، ودعا عليه من لا يجمع ^(١) .
- ودل هذا الحديث على قوة جنان صعصعة وأنه ليس بالرعيد الهباب
فلقد رد على معاوية مقالته بالمثل وقابله بالاستخفاف والاستهانة وهو غير
هباب له ولا خائف من سلطته وسلطانة .

ولما انتقل الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى حظيرة القدس وانحسم ظهر
الإسلام باستيلاء ابن هند على زمام الحكم لاقى صعصعة من العناء أشده
ومن الألم أمره ، فقد أودعه معاوية مع جماعة من أصحابه فى ظلمات

السحون . ودخل عليهم وهم في سجنه فقال لهم :
 « تشدّتكم بالله إلا ما قلتم حقاً وصدقاً ، أى الخلفاء وأيتمونى ؟ »
 فنهرى إليه عبد الله بن الكواء قائلاً :

لولا أنك عرمت علينا ما قلنا ، لأنك جبار عبيد ، لا تراقب الله في
 قتل الأخيار ولكنا نقول : قد علمت أنك واسع الدنيا ضيق الآخرة قريب
 الثرى . بعيد المرعى ، تجعل الظلمات نوراً والور ظلمات ! ! ! .

فقال معاوية له : « إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الدّين عن
 يصبته . التاركين لمحارمه ، ولم يكونوا كأمثال أهل العرق المستهكين لمحارم الله ،
 وشحيين ما حرم الله ، والمحرمين ما أحل الله . »

فأجاب ابن الكواء : « يا ابن أبى سفيان ، إن لكل كلام جواباً وبحر
 لحاف جبروتك . فإن كنت تطلق ألسنتك دس عن أهل العرق بألسنة
 حداد لا يأخذها في الله لومة لائم ، وإلا فإن صابرون حتى يحكم الله
 ويصعنا على فرجه . »

فقال له معاوية : « لا والله لا يطلق لك لسان . »

وكان صعصعة من جملة الأشخاص الذين طلب لهم الإمام الحسن (ع)
 من معاوية الأمن وعدم التعرض لهم بسوء ومكره ولكن معاوية لم يف بذلك
 فقد أراعه وأخافه وأودعه في سجنه كما أراعه غيره من الموالين لأهل البيت ،
 وصرحت بعض المصادر أن المغيرة بن صعصعة بأمر معاوية من لكوفة إلى
 الجزيرة أو إلى البحرين أو إلى جريرة ابن كافان فأت بها معتقلاً منفياً عن

وطنه وبلاده وفي رثائه يقول المرزبانى (١)

هلا سألت نبي الحارود أى فتي عند الشفاعة والبان ابن صوح
كنا وكنو كأم أرضعت ولداً عقماً ولم تجر بالإحسان إحساناً (٢)

٥ - عدى بن حاتم :

من أهم الشخصيات الرفيعة القدة في العراق فقد كان يتمتع بمجد
وشرف وتبل فهو ابن حاتم مضرب المثل في حوده وسخائه ، وبالإضافة إلى
مجدده الموروث فقد كان من أبطال العقيدة ومن عيون المؤمنين ومن رجال
الإسلام الدارين ، وقد تعرض لكثير من الخوان والفسف من أجل ولائه
وإخلاصه لأمر المؤمنين (ع) فقد دخل يوماً على معاوية فقال له متشمتاً به :
« ما فعلت نظرفات ؟ » (٣)

قتلوا مع على .

ما أنصفك على قتل أولادك وأبني أولاده ! ! .

.. ما أنصفك على إذ قتل وبقيت بعده .

(١) المرزبانى : بفتح الميم وسكون الراء وضم لراء وفتح لباء الموحدة وهو جد من نسب إليه
من لأعيان جاء ذلك في كتاب (ج ٣ ص ١٢٤) وجاء في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤٤٣) أن
لفظ المرزبان لفظ فارسي معناه صاحب لجد ، فإن من معناه لجد وبن معناه صاحب : وهو
في لاصل عندهم سم لم كان دون الملك .

(٢) الإصابة (ج ٢ ص ١٩٢)

(٣) لغزوت : هم أولاد عدى وهم طريف وصارف وطرفة

فتألم معاوية من مقال عدى وقال مهدداً له :

« أما إنه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلا دم شريف من أشرف
اليمن - يعنى به عدياً » .

فأنبرى إليه عدى وهو غير مكترث بتهديده وتوعيده قائلاً له :

« والله إن قلوبنا التي أبغضناك بها لى صدرونا ، وإن أسيافنا التي قاتلناك
بها لعلى عواتقنا ، ولكن أدنيت إلينا من القدر فقرأ لندنين إليك من الشر
شراً ، وإن حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم^(١) لأهون علينا من أن نسمع
لمساءة فى على ، فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف » .

فراوغ معاوية على عادته وقال :

« هذه كلمات حكم فاكتموها » .

ثم أقبل عليه يحدثه كأنه لم يخاطبه بشيء^(٢) ثم قال له :

« صف لى علياً » .

- إن رأيت أن تعفينى .

لا أعفئك .

فأخذ عدى فى وصف أمير المؤمنين فقال :

« كان والله بعيد المدى ، شديد القوى يقول عدلاً ، ويحكم فصلاً ،

تنفجر الحكمة من جوانبه ، والعلم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ،

(١) لحيزوم : وسط الظهر .

(٢) مروج الذهب (ج ٢ ص ٣٠٩) .

ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله عزيز الدمعة ، طويل التفكير .
 يحاسب نفسه إذا خلا ، ويقلب كفيه على ما مضى يعجبه من اللباس
 القصير ، ومن المعاش الخشن . وكان فينا كأحدنا يجيئنا إذا سألناه ،
 ويدنينا إذا أتينا . ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته ولا نرفع
 أعيننا إليه لعظمته . فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ،
 ويتحجب إلى المساكين لا يخاف اتقوى ظلمه ، ولا ييأس الضعيف من عدله
 فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه وأرخى الليل سرياله ، وغارت
 نجومه ، ودموعه تتحاور على لحيته ، وهو يتململ تتململ السليم ، ويبكى
 بكاء الحزين ، فكأنى الآن أسمعوه وهو يقول :

« يا دنيا ألى تعرضت أم إلى أقبلت ؟ غرى غبرى لاحان حينك ،
 قد طلقنتك ثلاثاً لا رجعة لى فيك ، فعيثك حقير ، وحطرك يسير ، آه من
 قلة الزاد وبعد السفر وقلة الأنيس » .

فوكفت عينا معاوية ، وجعل ينشفهما بكمه ثم قال :

« برحم الله أبا الحسن كان كذلك . فكيف صبرك عنه ؟ »

- كصبر من ذبح ولدها في حجرها فهي لا ترقأ دمعها ، ولا تسكن عبرتها .

- فكيف ذكرك له ؟

- وهل يترك الدهر أن أنساه ؟ .

وقد دل هذا الحديث على ولاء عدى لأمر المؤمنين ومن أجل ولاته
 وإخلاصه فقد روع وأفرع وقد تقدم أن زياداً أودعه في السجن حقبة من

الأيام من أجل عبد الله بن خليفة الطائى ولم يراع شخصيته الكريمة ومكانته الاجتماعية وعظم منزلته وإنما فعل ذلك به ليقضى على أنصار أمير المؤمنين عليه السلام .

سياسة أهل البيت :

لكى يكون لدى إيضاح كاف عن صلح الإمام الحسن رضى الله عنه فلا بد أن نعرض بعض الجوانب من سياسة أهل البيت لسين مدى أصالة سياستهم البناءة ، ثم نقف على الأهداف الرفيعة التى يشدون تحقيقها فى طلائ الحكم .

إن السياسة التى يجب أن تسود البلاد عند أهل البيت هى السياسة البناءة التى تضمن مصالح المجتمع وتحقيق المساواة والعدالة وفرص التكافؤ بين أبنائه .

إن سياسة أهل البيت قد تبنت العدل الخالص وهى سياسة لا تعتمد على المكر والمواربة .

أما الأهداف السليمة والمثل العليا التى رفع شعارها أهل البيت وتسوها فهى :

أولاً : العدل والمساواة لأن الإسلام أسبع نعمة المساواة على الإنسانية بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ المجتمع العالمى ، فقد أعلن المساواة لعادلة ما بين الأفراد والجماعات وما بين الأجاس فلا فصل لأبيض على سود

ولا لعربي على أعجمي ، فالناس سواسية كأستان المشط ، لا فضل لبعضهم على بعض إلا بالتقوى ولعمل الصالح .

وقد قيل إن من أهم الأسباب في تحاذل العرب عن علي بن أبي طالب كان اتباعه لمبدأ المساواة بين الناس حيث كان لا يفصل شريفاً على مشروف ولا عربياً على أعجمي ولا بصانع الرؤساء والقبائل .

ثانياً : الحرية والصراحة والصدق ، وهم يمثلون بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر - وإن البر يهدي إلى الجنة - وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار . وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (١)

إن أهل البيت قد ركزوا سياستهم على الصدق والصراحة وجنبوها المكر والخداع .

يقول الإمام علي : « لولا أن المكر والخداع في النار لكنت أمكر الناس » .
ويقول في الغدر : « لكل عادر لواء يعرف به يوم القيامة » .

إن سياسة أئمة أهل البيت في جميع الشؤون قد عبرت عن جميع القيم الإنسانية الخيرة التي أعلنها الإسلام . فهي لا تقر العدر ولا المكر ولا الخداع

ولا تؤمن بأى وسيلة من وسائل النفاق الاجتماعى وإن توقف عليها النجاح السياسى المؤقت .

وسار الإمام الحسن على مخططات أبيه ومقرراته فى عالم السياسة والحكم فلم يعتمد على أى وسيلة لا يقرها الدين .

وكذلك يرى أهل البيت أن الموظفين فى جهاز الحكم لا بد أن يكونوا من خيرة الرجال فى الجدارة والتزاهة والكفاءة والقدرة على إدارة شئون البلاد ، ليضعوا المصلحة العامة نصب أعينهم ويسيروا بين الناس سيرة قوامها العدل الخالص والحق المحض ، ويكونوا أماء فيما يحبونه من الناس وما ينفقونه على المرافق العامة وقد نظر أهل البيت إلى ما هو أبعد من ذلك وأعمق بكثير فقد فرضوا على ولائهم أن يستعدوا عن الناس بكل نحو من أنحاء الصلة لما عسى أن يكون لذلك من أثر على مجرى العدل ، ولذلك فإن أمير المؤمنين رضى الله عنه لما بلغه أن عامله بالبصرة سهل بن حنيف قد دُعى إلى مأدبة فأجاب إليها فكتب إليه يستنكر منه ذلك وقال : « أما بعد : يابن حنيف فقد بلغنى أن رجلا من فتيه أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها ، تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تحيب إلى طعام قوم عائلهم محفو^(١) وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم^(٢) فما اشتبه

(١) محفو : أى مطرود من البؤس والحقاء .

(٢) المقضم : المأكول .

عليك علمه فألقه وما أيقنت بطيب وجوهه^(١) فل منته .

وأراد الأشعث بن قيس أن يتقرب إلى أمير المؤمنين ويتصل به فصنع له حلوى جيدة فقدمها إليه وقد وصف عليه السلام موقفه تجاه هذا الأمر فقال :

« وأعجب من ذلك طارق طرقتا بلموفة في وعائها ومعجونة . . . »

فقلت : أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت .

فقال : لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية .

فقلت : هبلتك^(٢) الهول ، أعن دين الله أتيتني لتخدعني ؟

أمختط أم ذو جة أم نهجر^(٣) .

والله لو أعطيت الأقاليم السبعة ما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت ، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقتضمها ، ما لعل ولنعم يقنى ولدة لا تنق ، نعوذ بالله من سيئات العقل^(٤) وقبح الزلل وبه نستعين .

هذه بعض المثل العليا التي يشدها أهل البيت في ظلال الحكم ولو أن الإمام الحسن انحرف عنها وهج في سياسته منهج من يعمل للدنيا وسلك مسلك من يغني الملك ولسلطان فروع وداهن وأنفق المال في غير محله لما آل الأمر لمعاوية .

(١) طيب وجوهه : أي بالحل و طرق كسبه

(٢) هبلتك بكسر الباء : ثكلتك هبول : المرأة التي لا يعيش لها ولد .

(٣) نهجر : تهدي عما لا معنى له

(٤) بومه .

كيف تم الصلح :

يرى فريق من المؤرخين ومنهم الطبرى وابن الأثير أن معاوية رسل إلى الحسن صحيفة بيضاء محتوما على أسفلها بختمه وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك ، وختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً فيمن يادر لطلب الصلح وسوى هذه النقطة حقها بعد قليل .

وروى ابن عبد البر : « أن الإمام كتب إلى معاوية يخبره انه يصير الأمر إليه على أن يشترط عليه ألا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشيء كان في أيام أبيه ، فأجاب معاوية وكاد يظير فرحاً إلا أنه قال : أما عشرة أنفس فلا أؤمهم فراجع الحسن فيهم فكتب إليه يقول : إني قد آليت متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده ، فراجع الحسن إني لا أبائعك أندأ وأنت تطلب قيساً أو غيره بشيء ، قلت أو كثرت . فبعث إليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال : اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر بعده فنترم ذلك كله معاوية . »

وابعض يذكر أن الإمام أرسل سفيرين إلى معاوية هما عمرو بن سلمة الحمداني ومحمد بن الأشعث الكندي ليستوثقا من معاوية ويعتما ما عنده .

وذكر جماعة من المؤرخين أن الإمام ومعاوية اصطلحا ورتصيا بما احتوته الوثيقة الآتية وهي « هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب

ومعاوية بن أبي سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيه بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين ، وليس لمعاوية ابن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمهم ، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء وبما أعطى الله على نفسه ، وعلى ألا يعيى للحسن بن علي ، ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سرّاً ولا جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق شهد عليه فلان ابن فلان بذلك ، وكفى بالله شهيداً» (١)

ويشك كثير من المؤرخين في أن ما احتوت عليه هذه الوثيقة هو مجموع ما طلبه الإمام وإما هي جزء من كل .

وأهم شروط الصلح التي ذكرتها بعض المصادر :

١ - تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الصالحين (٢)

٢ - ليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده والأمر بعده للحسن فإن حدث به حدث فالأمر للحسين (٣)

(٢) ابن أبي الحديد

(١) كشف لغة لصرع

(٣) الإصانة الإمامة والسياسة ، نتائج المودة

٣ - الأمن العام لعموم الناس الأسود والأحمر منهم سواء فيه وأن يحتمل عنهم معاوية ما يكون من هفواتهم ، وألا يتبع أحداً بما مضى وألا يأخذ أهل العراق بإحنة .

٤ - ألا يسميه أمير المؤمنين .

٥ - أن يترك سب أمير المؤمنين على وألا يذكره إلا بخير .

٦ - ألا يقيم عنده الشهادة .

٧ - أن يوصل إلى كل ذي حق حقه .

٨ - الأمن لشعبة أمير المؤمنين وعدم التعرض لهم بمكره .

٩ - يفرق في أولاد من قتل مع أبيه في يوم الجمل وصفين ألف ألف درهم ويجعل ذلك من خراج دار يجرد .

١٠ - أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ويقضى عنه ديونه ويدفع إليه في كل عام مائة ألف .

١١ - ألا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأهل البيت غائلة سرّاً ولا جهراً ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق .

مكان الصلح وزمانه :

تم الصلح في « مسكن » حسب ما ذكرته أوثق المصادر ، ويذهب بعض رجال التاريخ إلى أن الصلح وقع في بيت المقدس ، وذهب البعض الآخر إلى أنه وقع بأذرح من أرض الشام .

وكما اختلف المؤرخون في المكان الذي وقع فيه الصلح فقد اختلفوا في الزمان أيضاً فقد قيل إنه كان سنة ٤١ هجرية في ربيع الأول وقيل في ربيع الآخر ، واصطلح بعض المؤرخين على تسمية عام الصلح بعام الجماعة ولكن الجاحظ يقول : « فعندها استوى معاوية على الملك واستبد على بقية الثوري وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سموه (عام الجماعة) ، وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة ، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة منصباً قيصرياً » . على أنه كان من الطبيعي أن يتفق المريقان بعد توقيعهما الصلح على مكان يلتقيان فيه فاختارا الكوفة ، ونودي في الناس إلى المسجد الجامع ليستمعوا هناك إلى الخطيبين الموقعين على معاهدة الصلح ، وكان لابد لمعاوية أن يستبق إلى المنبر فسق إليه وجلس عليه وحاه في خطابه كما رواه المدائني ، « يا أهل الكوفة أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون ، ولكي قاتلتكم لأنأمر عليكم وألى رقابكم ، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون ، ألا إن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول ، وكل شرط شرطه فنتحت قدمي هاتين ، ولا يصلح الناس إلا ثلاث ، إخراج العطاء عند محله ، وإقتال الجنود لوقتها ، وغزو العدو في داره فإن لم تغزوهم غزوكم » .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن حبيب بن أبي ثابت مسنداً أنه ذكر في هذه الخطبة علياً فقال منه ثم نال من الحسن .

ثم طلب معاوية من الإمام الحسن أن يعتلي منصة الخطابة ليعين للناس تنازله عن الأمر ، فأنبرى الإمام إلى أعواد المنبر والناس كلهم أدن صاعية وهم ما بين راغب وراغم ، فخطبهم خطبة طويلة كانت في منتهى الروعة والبلاغة ، وعظ فيها الناس ودعاهم إلى الألفة والمحبة وصور فيها الأحداث الرهيبة التي جرت على أهل البيت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعزا ما جرى عليهم من المحن والخطوب إلى الصدر الأول الذين تزعموا الخلافة منهم وقد جاء في خطابه : « أما بعد فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومه وأنا أنصح خلق الله لخلقهم ، وما أصبحت محتلاً على مسلم ضئيلة ولا مريداً له سوءاً ولا غائلة ، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تحالفوا أمري ولا تردوا على رأيي ، غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا . وقال : قد علمتم أن الله هداكم بحمدى محمد صلى الله عليه وسلم ، فأنتقمكم به من الضلالة ، ورفعكم به من الجهالة وأعزكم به بعد الدلة ، وكثركم به بعد القلة ، إن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه فنظرت لصلاح الأمة وقطعت الفتنة ، وقد كنتم بايعتموني على أن تسلمون من سألتم وتحاربون من حاربت فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه ، وقد بايعته ، وقد رأيت أن حقن الدماء خير من سفكها ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين » .

وأخذ الإمام الحسن يبين ظلامة أهل البيت فقال :

« إن معاوية زعم لكم أنى رأيت للخلافة أهلاً ولم أر نفسى لها أهلاً ، نحن أولى الناس بالناس فى كتاب الله عز وجل - وعلى لسان نبيه ، ولم نزل - أهل البيت مظلومين منذ قبض الله نبيه فإله بيتنا وبين من ظلمنا » . ثم قال : « فولدنى بعث محمداً بالحق لا ينقص من حقنا أهل البيت أحد إلا نقصه الله من عمله ، ولا تكون علينا دولة إلا وتكون لنا العاقبة ، ولتعلمن نبأه بعد حين » .

وانتفت عليه السلام إلى معاوية فرد عليه سبه لأبيه فقال له : « أنا الحسن وأبى على ، وأنت معاوية وأبوك صخر وأمى فاطمة وأمك هند وجدى رسول الله ، وجدك عتبة بن ربيعة ، وجدتى خديجة وجدتك قتيلة : فلعن الله أخملنا ذكراً والأمناء حسباً وشرراً قديماً وحديثاً وأقدمنا كفرأ ونفاقاً » .

بين الإمام الحسن ورجال معاوية :

فى شرح النهج لأبى أبى الحديد يقول أهل السير . لما سلم الحسن الأمر إلى معاوية اجتمع إلى معاوية رهط من شيعته وهم عمرو بن العاص والوليد بن عتبة بن أبى معيط وعتبة بن أبى سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، وقد كان أبلغهم عن الحسن بن على قوارض وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقتلوا لمعاوية : إن الحسن قد أحيا أباه وذكره ، قال فصديق وأمر فأطيع وحققته له النعال ، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه ولا يزال يبلغنا عنه ما يسيء إلينا ، فابعث إليه فليحضر لسيه ونسب أباه ونعيه ونوشه

ونحيره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك .

قال معاوية : إني لا أرى ذلك ولا أفعله .

فزمزموا عليه ، فقال : لا تفعلوا فوالله ما رأيته قط جالماً عندى إلا خفت مقامه وعييه لى .

وقال : إنه ألسن بنى هاشم .

قالوا : ابعت إليه على كل حال .

قال : إن بعثت إليه لأنصفته منكم .

فقال عمرو بن العاص : أتحشى أن يأتى باطله على حقنا .

قال معاوية : أما أى لو بعثت إليه لآمرته أن يتكلم بلسانه كله واعلموا

أنهم أهل بيت لا يعيهم العائب ولا يلصق بهم العار ، ولكن اقدفوه بحجره ، تقولون له إن أباك قتل عثمان وكره خلافة الخلفاء قبله .

جاء إلى الإمام الحسن الرسول ، فقال : يا جارية إيتى ثيابى ، اللهم

إلى أعوذ بك من شرورهم وأدرك بك فى نحورهم وأستعين بك عليهم فاكفنيهم

كيف شئت وأنى شئت بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين .

ثم قام ، فلما دخل على معاوية أعظمه واكرمه وأجلسه إلى جانبه ، وقد

ارتاد القوم وحضروا وخطران الفحول بغياً فى أنفسهم وعلوا .

ثم قال معاوية : يا أبا محمد إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوى .

فقال الحسن : سبحان الله الدار دارك والإدنى فيها إليك إن كنت

أحببتهم إلى ما أرادوا وما فى أنفسهم إني لأستحى لك من الفحش ، وإن كانوا

غلبوك على رأيك إني لأستحي لك من الضعف ، أما إني لو علمت بمكانهم جئت بمثلهم من بني عبد المطلب ومالي أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

معاوية : إني كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك ، وإن لك منهم النصف ومنى ، وإنما دعوناك لقرررك أن عثمان قتل مظلوماً وأن أباك قتله ، فأجبههم ولا تمتنع وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك .

عمرو بن العاص : ذكر الإمام على فلم يدع شيئاً يعيبه به إلا قاله ، وقال إنه شتم أبا بكر وكره خلافته وبايعه مكرهاً ^(١) وشرك في دم عمر وقتل عثمان

(١) يقول الأستاذ حسن كامل المنطري في كتابه (الإمام الحسن) إن الإمام علياً لم يكرمه أحد علىبيعة أبي بكر كما ادعى عمرو بن العاص وكان تأخره عن بيعته بعض الوقت في أرجح الأوقات لسبب :

١ - أنه لم يشترك في اجتماع السقيفة وكان مشغولاً بتجهيز مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان يرجو أن يدعى للاجتماع باعتباره من السابقين الأولين .

ب - أن السيدة الزهراء زوجته كانت تطالب سيدنا أبا بكر رضى الله عنه بميراثها من أبيها في أرض فلك ولم يجبها وأخبرها أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة] ، وقد بينا ذلك تفصيلاً في الفصل الثاني .

على أن الخليفة الأول استمر يرصها وهدد ترك الخلافة إن لم تترك الزهراء عنه راضية ، ومما قاله في استرضائها : [يا حبيبة رسول الله - والله إن قرابة رسول الله أحب إلى من قرابتي وإنك لأحب إلى من عائشة استي]

فالإمام على في تأخره عن البيعة كان يطيب خاطر روحته حتى إذا رضيت بايع ، وقد قال تعالى في بية رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبة : [لم تحرم ما أحل الله لك تتبني مرضاة أرواحك] ، وفي ذلك ثناء على بية علمها الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعي تطيب خواطرهم ، ثم عاتب

تعالى روحى الرسول فقل . [إن تنوباً إلى الله فقد صعت قلوبكما وإن تظاهرا عليه] ويضاف إلى ذلك أن الإمام وإن تأخر في البيعة فإنه لم يخرج على الخليفة الأول ولم يحاربه كما فعل معاوية وغيره حين خرجوا على الإمام على وحرارته دون وجه حق .

ج - أما أن سيدنا علياً شارك في دم عمر فلم يقل أحد ذلك وكيف وهو يخاف الله خوف السابقين بقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وسيدنا عمر صهره وحبيه وقد حرص على مصاهرة الإمام على ليكون له نسب بالرسول عليه الصلاة والسلام حيث وقف على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم [كل نسب يقطع يوم القيامة إلا نسي] وكان سيدنا عمر يقول : لا أبقاى الله في بند لست بها يائياً الحسن . فهل كان يشك في عداوته ويقول ذلك أو يصاهره .

د - أن سيدنا عمر حين استخلف أشار بواحد من الستة الذين انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضى وكان في المقدمة الإمام على ومثله من الرسول صلى الله عليه وسلم معروفة وقد يثبت في الفصل السابق أنه كان أحب شخصية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

هـ - أن سيدنا عمر قال لبعض جلسائه مشيراً إلى فضل الإمام على : [لو ولوها الأجلح لحملهم على الحادة ، فقالوا ما يمنعك أنه تستخلفه قال لا أحملها حياً وميتاً فليختاروا لأنفسهم] .

و - أما دم عثمان بن الإمام عليا ونسبه الإمامين الحسن والحسين دفعوا عنه عما لم يدفع عنه منهموه ، وكان عمرو بن العاص أول الناصحين لعثمان باعتراف الخلافة ، وكان يقاطع عثمان وهو يحط بليسترضى الشائرين ، وكان يقول إنى لألقى الراعى فأعرضه على عثمان ، وكانت شماتته ظاهرة حين قتل ، وأما معاوية فلم يدفع عنه بشيء كما أنه لم يقتص من قتله كما كان يطلب من أمير المؤمنين على ، وقد روى أن معاوية زار المدينة فسمع ابنة عثمان تقول على مسح منه [وأبناه] ، فقال لها متبرأ من قصاص وهو في ملطانه .

[يا ابنة أحمى إن الناس أعطوا طاعة وأعطيناهم أماناً وأظهروا لهم حليماً تحته غضب وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره ، فإذا نكثنا به نكثوا بنا ولا ندرى أغلب تكون أم لنا ، ولأن نكثوا بنت عم أمير المؤمنين حير من أن نكثوا امرأة من عرض المسلمين] .

وهذا الذى عمنه من قول معاوية بريت دليل واضح أن دم عثمان كان تكأة يمدعون بها الجهال -

وادعى من الخلافة ما ليس له ، ثم ذكر الفتنة يعيره بها .

ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء واستحلالكم ما حرم الله من الدماء وحرصكم على الملك وإتيانكم ما لا يحل ثم إنك يا حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك ، وليس عندك عقل ذلك ولا له ، وإنما دعوناك لنسبك وأباك ، فأما أبوك فقد نفرد الله به وكفانا أمره ، وأما أنت فلو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ولا عيب من الناس .

الوليد بن عقبة : يا بني هاشم ، كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم فكنتم أول من حسده فقتله أبوك ظلماً فكيف ترون الله طلب بدمه ، والله إن بى أمية خير لبني هاشم من

= ويحرصون بها أهل الشام الذين تقادروا لقياد الأعمى لقائده بدافع من المال الذى أغدقه عليهم معاوية بلا حساب .

وإذا كان معاوية قد مجح في استئانة أنصار أهل البيت بحاله فاستئالة أهل الشام كانت عليه أهون وأرحص ، أو ليس هو الذى قال لأسميلين بالدنيا قاتلت على ، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنيا آخرته .

وقد غلت على الناس لديها وصدق أمير المؤمنين على حين قال لأتباعه : [والله ما معاوية بأدهى منى ولكنه يغتر ويفخر ، ولولا كراهية العذر لكنت من أدهى الناس] .

وحين قال لهم : ولكنه لا رأى لمن لا يطاع
وحين قال لهم : لم تكن بيعتكم إياي فلتة ، وليس أمرى وأمركم واحداً إلى أريدكم الله وأتم تريدوني لأنفسكم

وصدق الإمام الحسن رضى الله عنه حين قال : [الناس عبيد الدنيا ، والدين لقي على ألسنتهم يحوطونه مادرت به معاشهم فإذا محضوا بالبلاء قل الديانون] .

بنى هاشم لبني أمية .

عتبة بن أبي سفيان : يا حسن ، كان أبوك شرقريرش لقريرش ، أسفكه
لدمائها وأقطعه لأرحامها طويل السيف واللسان بقتل الحى ويعيب الميت ،
وأما رجاؤك الخلافة فليست في زندها قادحاً ولا في ميزانها راجحاً ، وإنكم
يا بني هاشم قتلتم عثمان وإن في الحق أن نقتلك وأحلك به ، فأما أبوك فقد
كفانا الله أمره .

المغيرة بن شعبة : تكلم فشم علياً ، وقال والله ما أعيبه في قضية يخون
ولا في حكم يعيل ولكنه قتل عثمان .

رد الإمام الحسن :

تكلم ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم
قال :

أما بعد ، يا معاوية فما هؤلاء شتموني ونكثك شتمتني فحشا ألفتة ، وسوء
رأى عرفت به ، وخلقاً سيئاً ثبت عليه ، ويعياً علياً عداوة منك لمحمد وأهله ،
ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا فلاقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم ، أشدكم
الله أيها الرهط هل تعلمون أن الذي شتمتوه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما وأنت
يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة وتعبد اللات ولعري غواية ، وبائع البيعتين
بيعة الفتحة وبيعة الرضوان ، وأنت بإحداهما كافر وبالأخرى ناكث ، وأشدكم
الله هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً وأنت يا معاوية وأياك من المؤلفة قلوبهم

تسرون الكفر وتظهرون الإسلام وتستميلون بالأموال ، وأنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعك ومع أبيك راية الشرك ، وفي كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته وينصر دعوته ويصدق حديثه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المواطن كلها عنه راض وعليك وعلى أبيك ساحط ، وبات يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل الله فيه ، (ومن اتأس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) ، وأنزل فيه (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى وأنت أخى فى الدنيا والآخرة »

وجاء أبوك على حمل أحمر يوم الأحزاب يحرض الناس ، وأنت تسوقه وأحرك عتبة هذا يقوده ، فأكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحن لراكب ونقائد ولسائق . أنتسى يا معاوية الشعر الذى كتته إلى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن الإسلام :

يا صحر لا تسلمن يوماً فتقضحنا	بعد الذين بدر أصححو مزقا
حالى وعمى وعم الأم نالهم	وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لأتركن إلى أمر تقلدنا	ولراقصت ببعمان به الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد	حاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت وأنشدكم الله أتعلمون أن علياً حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرن فيه : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) ، وأنت يا معاوية دعا عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب كتاباً إلى بني خزيمة ، فبعث إليك فتهلك إلى يوم القيامة فقال : اللهم لا تشعه ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة ، فزلوا من حصنهم فهزموا ، فبعث علياً بالراية فاستترلم على حكم الله وحكم رسوله وفعل في خير مثلها ، وأنتم أيها الرهط نشدتم الله ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها :

أولها : يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفاً إلى الدين فوقع به وسه وسفهه وشتمه وكذبه وتوعده وهم أن يبطش به .

وثانية : يوم العير إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي جانية من الشام فطردها أبو سفيان وساحل بها ولم يظفر المسلمون بها ، ولعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عليه فكانت وقعة بدر لأجلها .

وثالثة : يوم أحد حيث وقف تحت الجبل ورسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلاه وهو ينادى اعل هبل مراراً فلعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات ولعنه المسلمون .

ورابعة : يوم حاء الأحزاب وغطفان واليهود فلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والخامسة : يوم الحديبية ، يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام (والمهدي معكواً أن يبلغ محله) ولعن القادة والأتباع ، فقل يا رسول الله أفأ يرحى الإسلام لأحد منهم ، فقال : لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع يسلم ، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد .

والسادسة : يوم الجمل الأحمر .

والسابعة : يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان .
هذا لك يا معاوية .

وما أنت يا ابن السابعة فادعاك خمسة من قريش غيب عليك الأمهم حسياً واخبرهم منصّباً وولدت على فراش مشترك ثم قام أبوك فقال أنا شاني محمد لأتبر فأقول الله فيه (إن شائتك هو الأتبر) ، وقتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع المشاهد وهجوت وآذيت بمكة وكنت من أشد الناس له تكديباً وعدوة . ثم خرجت تريد الحاشي لتأني جعفر وأصحابه . فما أخطأك ما رجوت ورجعت الله خائناً وأكذبت وأشيء جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد ، فرشيت به إلى الحاشي فمصحح الله وفضح صاحبك ، فأتى عدو بني هاشم في الحامية والإسلام . وهجوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعين بيتاً من الشعر فقال لنهم في لا أقول شعر ولا يسفي لي . لنهم لعه بكل حرف ألف لعنة فعنيك إذ من الله

ما لا يحصى من اللعن ، وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعت عليه الدنيا نارا ، ثم لحقت بفلسطين فلما أتاك قتله قلت : « أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها » ثم حبست نفسك إلى معاوية وبعث دينك بدنياه فلما نلوك على بغض ولا نعانبك على ود ، وبالله ما نصرت عثمان حيا ولا غضبت له مقتولا ، ويحك يا ابن العاص ألسن الثقات لما خرجت إلى النجاشي :

تقول ابنتي أين هذا الرجل	وما السير مني بمستكر
فقلت ذريني فإني امرؤ	أريد النجاشي في جعفر
لأكويه عنده كية	أقيم بها نحوه الأصغر
وشأني وأحمد من بينهم	وأقولهم فيه بالملكر
وأجري إلى عيه جاهداً	ولو كان كالذهب الأحمر
ولا أنثني عن بني هاشم	عما أسطعت في الغيب والمخضر
فإن قبل الغيب مني له	وإلا لويت له مشفري

وأما أنت يا وليد فوالله ما ألومك على بغض عليّ وقد قتل أباك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً ، وجلدك ثمانين في الخمر لما صليت بالمسلمين المنحصر سكران .

وفيك بقول الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلتقي ربه	أن الوليد أحق بالعذر
سادى وقد تمت صلاحهم	أأزيدكم سكرأ وما يدرى

ليزيدهم أخرى ولو قبلوا لأنت صلاحهم على العشر
 فأبوا أبا وهب ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
 حبسوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري
 ومماك الله في كتابه فاسقاً ومي أمير المؤمنين مؤمناً حيث تفاخرتما فقلت
 له اسكت يا عليّ فأنا أشجع منك جناناً وأطول منك لساناً ، فقال لك على
 اسكت يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق ، فأنزل الله تعالى في موافقته قوله :
 (أفن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون) ثم أنزل فيك على موافقته
 قوله : (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ومهما نسيت فلا تنس قول الشاعر
 فيك وفيه :

أنزل الله والكتاب عزيز في على وفي الوليد قرانا
 فتبوا الوليد إذ ذاك فسقاً وعلى مبرأ إيمانا
 ليس من كان مؤمناً عمرك الله كمن كان فاسقاً خوانا
 سوف يدعى الوليد بعد قليل وعلى إلى الحساب عيانا
 فعلى يحزى بذاك جناناً ووليد يحزى بذاك هوانا
 رب جد لعقبة بن إبان لابس في بلادنا ثبانا
 وما أنت وقريش إنما أنت عالج من أهل صفورية ، وأقسم بالله لأنت
 أكبر في الميلاد وأسن مما تدعى إليه .

وأما أنت يا عتبة فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك ، ولا عاقل فأحاورك
 وأعاتبك ، وما عندك خير يرجى ، ولا شر يتقى ، وما عقلك وعقل أمتك

إلا سواء . وما يضر علياً لو سبته على رؤوس الأشهاد ، وما وعيدك إياي
بأنقتن فهلا قتنت اللحياني بد جدته على فراشك ، فقال فيك بصر بن حجاج :
يا لمرجل وحادث لأزمان ونسبة تخزي أب سفيان
نبت عتة حانه في عرسه حبس لئيم الأصل في نحيان
وكيف ألومك على بغض علي وقد قتل خالك الوليد مباررة يوم بدر وشرك
حمزة في قتل حذك عتة وأحدث من أخيك حنظلة في مقام واحد

وأما أنت يا مغيرة فيم تكن جليق أن تقع في هذا وشبهه وإنما مثك مثل
لمعوضة إذ قالت للنحلة استمسكي فإني طائرة عنك ، فقالت النحلة هل
عممت بك واقعة على فاعلم بك طائرة عني ، والله ما نتعر بعدوتك إيانا
ولا اغتمنا إذ غتمنا به ، ولا يشق علينا كلامك ، وإن حد الله عنك في
الزنا لثابت ، ولقد درأ عمر عنك حقاً الله سائنه عنه ، ونقد سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل ينظر رجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها ؟ فقال لا بأس
بذلك يا مغيرة ما لم ينزنا لعنمه بأنك زان .

وأما فخركم علينا بالإمارة فإن الله تعالى يقول : (وإذا أردنا أن نهلك
قرية أمرنا مترفياً ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) .

ثم قام الحسن فنقص ثوبه وانصرف ، فتنق عمر و ثوبه وقال يا أمير
المؤمنين قد شهدت قوله في قذف أمي بالزنا ، وأن مطالب له بحد القذف ،
فقال معاوية خل عنه لا جزاك الله خيراً ، فتركه وانصرف الحسن وتركهم
يحبسون كمداء ، فقال معاوية : قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته ونهيتكم أن

تسيوه فعصيتمونى ، والله ما قام حتى أظلم على البيت ، قوموا عني فلقد فضحككم
الله وأخزاكم بترككم الحرم وعدولكم عن رأى الناصح المشفق وقال :

أمرتكم أمراً فلم تسمعوا له	وقلت لكم لا تبعثن إلى المحسن
فجاء ورب لرافضات عشية	بركبانها يهوين عن سرّة اليمن
أخاف عليكم منه طول لسانه	وبعد مداه حين إجاره الرسن
فلما أيتم كنت فيكم كبعضكم	وكان خطاى فيه عنامن الغبن
فحبسكم ما قال مما علمتم	وحسبى بما ألقاه فى لقبر والكفن

فلسفة صلاح الحسن

يتوهم الكثيرون أن الإمام الحسن لم ينجح في سياسته ولم يمثل دوره بنجاح ، ويجب على ذلك الأستاذ الكبير كامل سليمان^(١) ويقول إنه من المشهور المتوهم أن الحسن لم يمثل دوره بنجاح - ولكن الشهرة لا تكسب الرأي صحة ولا القول صدقاً لأنها تقوم دائماً على الحق الخالص والواقع الذي لا ريب فيه . فربما قامت الشهرة على عوامل مذهبية أو سياسية أو علمية لا سبيل إلى البرهان على عكسها - بل ربما قامت على أسباب شخصية بحتة ، فشهرة هذا الرأي بالحسن لا تتسم بالصحة والصدق .

إن الحسن قد فكر وقدر وزاد على ما تفكر به ونقدته فأدرك كل ما يرافق حركته من الألف والياء ، وليس من السهل تحديد سياسته من الألف إلى الياء دون التواء ، لأن عصره كان عصر اختلاف في الهوى كأشد ما يكون الاختلاف - ومعارضة في الرغائب كأقوى ما تكون المعارضة مما صعب التحديد وجعل تحسس حركته غير ممكن وسط هيجان تلك الروعة التي عُنُفَتْ جداً فاستعمرت قلوب جميع من كان يرزح تحت عبثها قسراً أو اختياراً فالجو كله قاتمه ، والعوامل تتضافر على إخماد كل دعوة بأقوى وسائل الكبت والإخماد ، إذ خوى يومئذ نجم الخير وكسدت سوق البر وصار

(١) الحسن بن علي [دراسة وتحليل] للأستاذ كامل سليمان

النبل عارا على صاحبه والفضل نقصا وصارت أموال الملوك وقفا على شهوات النفوس - وجهل الناس قدر المعروف ، ففى هذا الحلك أرانا لا تملك قوة تخولنا الجزم لأن أستاذنا كئيفة تكتنف العصر وتقف دون الاطلاع على جميع المفارقات والملايسات ولا تسمح لنا بأن نستوضح من حياة الحسن السياسية إلا ناحية الدعة والصدق والبر - وماله من سياسة غير هذه فى عصر تحوّل شكلى فى الحكم وتحوّل فعلى فى النفوس التى لم يتمكن منها الدين ولم يتركز فيها ليكسبها المنة المتوخاة التى تخولها إعطاء الصورة على حقيقتها - فهناك أناس يهتلون الفرص ليرهبوا الله فى ملكوته - لعدم ترمسهم بالدين الجديد - إرهاباً فيه تطرّف وخروج عن الدين وجادة الصواب وفيه مروق واستهتار بسنن التكوين بل فيه استسلام لكل همار مشاء بنميم .

وليس أصعب من أن تقوم الدولة التى تركز على مبادئ الصلاح إذا لم يكن عدد المقتنعين بتلك المبادئ متكاثراً يسمح بإقامة جهاز للحكم وبإنشاء قوة منفذة تسهر على حفظ كيان الدولة ومبادئها ! فكم وكم يتطلب الانقلاب من جهاد عنيف وتضحيات عملية حتى يتم وفق رغبة الراغبين وبلغة المؤمنين .

أولاً : من المؤسف أن المؤرخين قد أنحوا باللائمة على الحسن الذى سالم ولم يطعنوا بمعاوية الذى ابتدع بدعاً ما أنزل الله بها من سلطان ولا أقرها عرف ولا تقليد ، حتى إن بعض المؤرخين كان كلفاً بالقذع عن من ذاب عبريته دون الإسلام والإنسانية ومشغولاً بتمدّح من شجن الدين وأهله

الملك زائل ومشتأ ذلك هو الرهبة من الوقعة أو الرغبة في البعد عن القطيعة لدى الملك الزائل مع العلم بأن الحسن صديق رقيق سياسته كانت مُلجمة حقاً بمعنى أنه كان يراد أمره تحت تأثير عاملين : الله والدين في الدرجة الأولى والأحقاد المدخرة لنقصاء على لدين في الدرجة الثانية وهو لا يتمكن من إخضاع الطبيعة يومها لأنه ليس سيدها المطلق بل لا بد له من تكييف نفسه حسب نواميلها مع الاحتفاظ برأيه ليقدر له البقاء .

ثانياً : ولتقى يلجمه ورعه ويردعه عن التزيغ على حين نرى أن أمور السياسة بمفهومها العامي لا تستقيم إلا بالمداهة وهذا شيء مفقود في حياة الحسن لأن تقاه قد فطمه عن المكر السيئ ونشأه عن التطلع إلى المرتع الوخيم ، فهو على دين أبيه الذي قال : (والله لو علمت أن المداهة تسعني في دين الله لفعلت ولكان أهون عليّ في المؤنة) .

ومهما كانت معاني السياسة عنده فهو كان يفصل السياسة عن الدين في حين أن خصمه قد خلط الدين والسياسة والعلم وسائر المظاهر الفكرية خلطاً عجيباً .

وبالحقيقة أن الدين والسياسة مقتربان فهي المدبرة وهو المنفذ وقد كانت فعلاً في يد الأول ألعوبة بيد الدين - وأما في يد الثاني فكان لدين ألعوبة بيدها خصوصاً وهي طيعة والدين صلب بمعنى أنها يمكن أن تسابره في حين أنه لا يمكن أن يكون تحت سلطتها بوجه من الوجوه فهو يتعارض معها كالما قديته ، أما هي فلا تتعارض معه إذا قلنا باعتبار

أنها أقرب منه لمظاهر الحياة لدنيا .

ثالثاً : وأكاد أجزم أنه لم يكن الإخفاق حليف الحسن كما يحمن المخمون - وكيم من هزة كان بغتتها لو شاء - ولكنه كهكف أردانه لأن قوة الإيمان تنزع عن لتدهور وللقوط وترباً بصاحبها أن يقبل الرفعة بالدنية والمحد بالصعة وخصوصاً إذا أشتى صحيح البسة تقى السريرة صافي النفس لا يندار لسانه بشيء فيه حتل أو تعريض وليس من المعقول أن تكون تصرفات الإمام الحسن ممن تصعهم هذه التصرفات في درج البسطاء لأنه لا يصح عمن غُذّي لعلا من محمد ورضع أئداء الحق من فاطمة وورث لعلم عن على أن تسف به نفسه أو تفقد به عزيمته ، لأن ثبات عقيدته يقرش طريقه بالاطمئنان كائناً ما كانت الحال .

رابعاً : لقد كان محيط السط الحسن معقداً لا يكفل له النجاح لدرجة يكون معها قميئاً بالوصول إلى ما يشده ، إذ اضمحلت في محيطه الروحية والمثالية وفتيت الاجتماعية ، ومن ثم طعت الفردية فرأى أن يفسح المجال أمام جموح الخصم ليحيى يوم يرى فيه الناس أنفسهم مشروعية حربه على مروقه كما حارب أيوه على عناده برسالة محمد ، ولم ينس أبو محمد الأحزاب السياسية التي كانت تعمل في الخفاء للحد من فكرة الهاشمية والسلالية فحشياً فيما يخشى . لأنها كانت أحراراً فيها أحلاط من حيث الدم والعصر وهذا ما يُخاف شره .

وإن المفارقة بين معاصريه وبين الله كانت لا تخوله أن يقيم الدين

بالسيف في وجه دنيا محشودة لصراعه من جانب العدو ومن جانب أنصاره ،
الذين كانوا سيفاً يمينه فضلاً عن يهدد الجموع من الخارج .

سياسة الحسن كانت ممتزجة بالدين :

لقد غاص الإمام الحسن في ذلك كله وفهم منه السر والإعلان وانتهى إلى
الاقتناع بصواب ما فعل ، فقتله مرتاح البال ليتاح له الخروج من اللسلة بحل
موفق له آثاره القرية والبعيدة ، وفي تقدير الكثيرين أنه انتزع هذا الحل
بطريقة تجريبية مدهشة ، لأن دعوته لا يحفظها من الفناء إلا صلحه الميمون
مهما تعرض للنقد اللاذع ، إذ يشترط لقيام الحكومة أن تكون الرعية مولية
للسلطان ومريدة له لتمده بالقوة التي تعدل في غير الجمهور ، فهل كان
الولاء الجماعي ميسوراً له ؟ وهل توفر له المدد القوي ؟ كلا لأن سياسته
كانت ممتزجة بالدين بل هي الدين قهراً أو اختياراً ، في حين أن الميل العام
كان يرمى إلى إلغاء الوحدة بين الدين والسياسة ويحصر الدين في المسجد
مجرداً في الأذان والصلاة وغيرها من الأعمال التعبدية .

وقد حسب معاوية ومن يزعم زعمه أن ذلك التنازل عن أمور الدنيا
قد أتى على الدعوة الهاشمية ونصر الدعاة الأموية إلى الأبد ، وقد اعتقد
الحسن ومن يرى رأيه أن الصلح يزلزل الأموية عاجلاً أو آجلاً وإلى الأبد ،
وقد صدق حدسهما في نطاقين متدبرين : نطاق لدولة الأمويين ضيق
ونطاق لقضية الهاشمين واسع ، فأصاب عاقل أو كاد وأخطأ زاعم أو كاد

فقد تعرضت الأموية لأزمات شديدة فيما بعد زنة ما ذهب ملوكها في تماردهم وانطلاقهم ، ومنذ أن انسحب الحسن من الساح وتبقى لهم الجو إلى أن غادر الشام آخر أموى ، وحتى في نقاء الجو كانت تشيع همهمة يقطعها السيف مرة والدرهم مرة أخرى ثم لا يعم أن تنتشر في المجتمع وتلاقى القبول إلى أن حصل الانقلاب في أقل من قرن ، وما نفع حياة دولة لا تعيش في أمانها مدى القرن ؟ - ولم يخف ذلك على معاوية فإنه لم يتفلسف كالمتمردين تماماً بل سار سيرة المعتصب المعترف بالاعتصاب الذي تعللت في عروقه نظرية (الملك عقيم) فلم يغفل عن صلة الحسن بالمال بشكل كان فيه إيثار ولكن كان فيه مدّ وجرر ، فعمل الاثنين إذن طبيعي لأن الأمة كانت يومذاك لا تتأمل ولا تنصب في قالب واحد لتسير في جانب أحدهما . إذ عني الأول بتجيب سقوط الأمة وانصرف الثاني إلى طلب الملك فوجده . وعمل الأول كان محاكاة لما يختلج في نفوس جماعة انعكست في باصرته نياتها ، فعرف أن حماسها لم يكن الذخر الذي يدخر ليوم الهزيمة المباركة ، وعمل صاحبه كان استجابة لما في نفوس أقلية بايعت الدنيا على الموت في سبيلها ولو جمعت ثورات أصحاب الحسن وضرب بعضها بعض لكانت نتيجتها صفراً ، الأمر الذي جعله يتمشى على مبدأ العناية بالمجموع ليكفل للفرد حياة لا عننة فيها ولا تهويش ، حتى ينسى للدين أن ينتفض من حجره بعد قرة تضمخت بالدماء ، فحين خاف أن تطفئ المادة على الفرد عمد إلى حل قسم الناس فتيين فئة رجعت إلى المعبد تتبذل وتتصوف وتناضل صامته ، وفئة نستجيب

لكل ناعق وتسكت كل طريق وقد تنصرت لفتتان يوماً تُبقيان فيه على كسفى الحق والخير ، لذا كان هم الحسن الأول تهدئة المعاصفة لبتاح للفرد أن يروض نفسه على الدين ، ويمارس حياة فيها استعداد مطبوع على الثورة ضد الباطل فنزل له مهلة التفكير بخطورة الأوضاع . فأعد الكثيرين على هذا النحو إعداداً ممتازاً ومعنى ذلك أن تنازله قد أوجد حالة منكورة ما فتئ الأمويون يعالجونها هذا بالدين وذلك بالقسوة إلى أن عادته أخوه بذل نفسه بعد أن سفع هو أنانيته ، فسالت جميع الجراح وأصبحت الأموية كرة يتقاذفها الناس جميعاً - وكان الأمويون من حملة اللاعبي - وما عثم أن جد الخلد وتحطمت الكرة فانطوت نفوس على حقد مضطرم ولم تنم عن مهمتها قط وانطوت أخرى على نشوة دفعها إلى العبث بمقدسات الدين وضلت عما يكفل خلودها ضلالاً ومن ثم ظهر حد فاصل كان يزداد عمقاً وامتداداً عانى الحزبان منه تحجر فيه ويل ، وتحجر فيه مرة .

فتنازل الإمام الحسن قد فسح المجال للانتخاب إذ أطلق الحرية للفكر ، فلا بدع أن يضع الشروط على ضوء استنتاجه واجتهاده دون أن يعتمد إلى رقع ثوب ثباتى فلا يتحقق التماسك بين ثوب وراقع - وإن كثيرين من ذوى المواهب يحنق مواهبهم ضيق المجال فى بيئتهم -- لأن روحيتهم تكون غير روحية المجموع - فالمصلحون المصلحون هم الذين بذلوا الجهد فى تأييد إرادة المجتمع ثم يضحون ليقربوا بين وجهات النظر فيحصلوا على سلامة المجتمع وتوحيد الكلمة ثم يعودوا إلى النذر والاستنبات .

وقد ذهب الجميع مع العاطفة والإمام الحسن بمفرده ذهب مع العقل
 وتحتى المدينة وغاب في طيِّ يضع عشرة سنة يستكمل فيها منهجه فمن
 يلومه بعد ذلك وهو يعلم أن مبدأه لا يملك أن ينشر على أى كان وإيما كان
 وفي أى زمان ، لذا توخى فرصة تسمح بإداعته لثلاث بعث مع من يريد له
 أن يعث فيفرض نظرياته على من لا يُقدر فيه اعتناقها ولا يمكن أن يستجيب
 للملازماتها ، فليستظر حتى تتوفر الإمكانات من غير أن يلجأ إلى القرض
 الجبرى الذى لا دوام له في جانب تزمى المترمّين ومروق المارقين .

ويقولون إن الحسن هادئ لا تحس فيه الحماس ولا تشعر في نجيشه
 الحرارة ، ولتحقيقة أن أخلص أنواع الحماسة ، الحماسة التي تحترم الحقوق
 والواجبات بين الناس فتحول دون وقوع الخلاف -- ومن غير الإمام الحسن
 يقوم بعمل حدير بالأهمية مجرد عن الغاية غير مشوب بشائبة في زمانه ،
 وهل نحسب عمله حماساً بهذا المفهوم إذ لم يكن عملاً هادئاً مترناً وعقلانياً ،
 كلا لأن ثمار هدوئه أبلغ منها فيما لو كان نائراً متهوراً أو ليس من الحق
 أن يزعج بالألوف في أتون قد يلتهم ثلّة من الأولين وثلّة من الآخرين ؟ نعم -
 وإن سكبته أبلغ أثراً من حركات الطيش التي تمنهاها عليه ونظن فاعليتها
 في ذلك اليوم الذى كان كادية فيه السيد المطاع ، فلو حاول أن يجدع
 مارقاً بسيفه أو أن يعترض خارجاً بلسانه لضرب الأمة في صلبها فما تستطيع
 قياماً ولا نهوضاً .

بعد هذه النظرة الفلسفية هل وهن الإمام وتهاون أم اتبع السياسة

الحكيمة الرشيدة إذا صالح وهادن؟ فما كان أحب إليه من أن يرى السمو
 المثالي في نفوسهم فيبث فيها قسماً من نورانيته وشعاعاً من روحانيته ، هو زعيم
 أهل البيت وهو الذي قال في وصف أهل البيت (اعلّموا أنهم أهل بيت
 لا يعيبهم عائب ولا يلصق بهم العار)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(والذي نفسى بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا - ألا من آذى
 قرابتي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله فاستوصوا بأهل بيتي خيراً فإنني
 أخاصمكم عنهم غداً ، ومن أكن حصيمه أخصمه ومن أخصمه دخل
 النار ، ومن حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهداً) .

ولقد برز الإمام الحسن وارتفع في الجوزاء ولكن محيطه ومنطقه كانا
 غير محيطنا ومنطقنا وهذا من الصعب تفسيره لأن الاختلاف كان في
 الجوهر لا في القشور .

من الذى طلب الصلح وما لاقاه الإمام الحسن بسبه

اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً فيما بادر لطلب الصلح ، فابن خلدون ذكر أن الذى طلب الصلح الإمام الحسن ، ويقول ابن أبى الحديد إنه لما رأى الإمام تفرق الكلمة عنه كتب إلى معاوية ، بينما يذهب فريق كبير من المؤرخين إلى القول بأن معاوية هو البادئ فى طلب الصلح كما يدل عليه خطاب الحسن الذى بعثه إلى أصحابه فى المدائن وقال فيه : « ألا إن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة » ، وإن كان بعض رجال التاريخ يقول خلاف ذلك ، وما ضرر معاوية أن يعطى الحسن كل شرط ليأخذ عليه شرطاً واحداً هو الملك .

وقرر معاوية خطته هذه فى نجران نشاط الفريقين للحرب ، وكان فى توفره على تنفيذ هذه الخطة أعنف منه فى عمله لتنظيم المعسكرات وتبدير شئون الحرب .

ورأى أن يبادئ الحسن بطلب الصلح ، فإن أجيب إليه فذاك ، وإلا فليستزعه انتزاعاً دون أن يلتحم والحسن فى قتال . ومن هنا كانت سياسة معاوية التى تقوم على استمالة الناس والجنود بالأراجيف والرشوة ، وقيل إنه جاءت فى قائمة وعوده التى خلب بها الباب كثير من الزعماء أو المترعمين :

رئاسة الجيش - ولاية قطر - مصاهرة على أميرة أموية ، وغير ذلك حتى إنه جاء في أرقام رشواته النقدية ألف ألف مليون .

واستعمل في سبيل هذه الفكرة كل قواه وكل مواهبه وكل تجاربه واستجاب له فعلا كثير من « عة الضمائر الذين كانوا يارقون الحسن ظاهراً ، فإذا هم عيون معاوية التي ترى وأصابه التي تعمل وعملاؤه الذين لا يدخرون وسعاً في ترويج أهدافه . هذا هو الجو الذي كان يعيش فيه الإمام الحسن . وأصبح هو نفسه لا يتسنى له تنفيذ أوامره في جيشه بما فعلته الأراجيف من حوله بل لا يستطيع الظهور بشخصه أمام الكثرة من جنوده إلا ليقتال بين مضاربه وعلى سواعد أصحابه .

ولم يكن هناك إلا الصلح ، ولم يكن أمامه إلا أن يلي طلب معاوية للصلح ، ولكنه لم يلبه إلا ليركسه في شروط لا يسمع رجلاً كمعاوية إلا أن يجهر في غده القريب بنقصها شرطاً شرطاً ، ثم لا يسمع الناس - إذا هو فعل ذلك - إلا أن يجاهروه السخط والإنكار - فإذا بالصلح نواة السخط الممتد مع الأجيال ، وإذا بهذا السخط نواة الثورات التي تعاونت على تصفية السيطرة الاغتصابية في التاريخ ، وليكن هذا هو التصميم السياسى الذى نزل الحسن من طريقه إلى قبول الصلح ، ولتكن هذه هى السياسة التى استغل بها معاوية فكانت من أبرز معانى العبقريّة المظلومة فى الإمام المظلوم ، ولكن لماذا طلب معاوية الصلح ؟

إن دوافع معاوية لطلب الصلح من نوع آخر لا يرجع فى جوهره إلا العجز

عن القتال ، ولا ينظر في واقعه إلى وجهة نظر دين أو إصلاح أو حقن دماء ، فلا الإصلاح ولا حقن الدماء بالذى يعنى به معاوية فينزل له عن مطامعه في الفتح .

ولقد خيل إليه بأن تنازل الحسن له عن الحكم سيكون معناه في رأى العام تنازله عن (الخلافة) وظن أنه سيصبح على هذا (الخليفة الشرعى في المسلمين) ، وللحسن البصرى كلمته في هذا الموضوع رواها الطبرى ، وسبق أن ذكرتها في موضع سابق ولا مانع من الإشارة إليها هنا أيضاً ، فقد قال : « أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منها إلا واحدة لكانت موبقة : انتزؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها (يعنى الخلافة) بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » وقتله حجراً ويل له من حجر وأصحاب حجر .

هذا ولا ينكر أن يكون لمعاوية بواعث أخرى جعلت منه إنساناً آخر ينكر الحرب ويمد يده إلى الصلح ويوقع الشروط ويحلف الإيمان ويؤكد الموثيق .

أما أهم الأسباب التى دعت له لأن تكون بعض دوافعه إلى الصلح فهى :
أولاً : إنه كان يرى أن الحسن بن على عليهما السلام - هو صاحب الحق في الأمر - ولا سبيل إلى اقتناص الأمر إلا من طريق إسكات الحسن

- ولو ظاهراً - ولا سبيل إلى إسكاته إلا بالصلح ، أما رأيه بأولوية الحسن بالأمر - فقد جاء صريحاً في كتابه إليه قبيل زحفهما للصراع بقوله : « إنك أول بهذا الأمر وأحق به » وجاء صريحاً فيما قاله لابنه على ذكر أهل البيت « يا بني إن الحق حقهم » كما جاء في ابن أبي الحديد ، وفيما كتبه إلى زياد ابن أبيه حيث يقول له على ذكر الحسن عليه السلام : « وأما تسلطه عليك بالأمر فحق للحسن أن يتسلط » ، كما كان يعترف للحسن بأنه (سيد المسلمين) وهل سيد المسلمين إلا إمامهم .

ثانياً : أنه كان على كثرة الوسائل الطيبة لأمره شديد التوجس من نتائج حربته مع الحسن ، ولم يكن كئوماً يوم قال في وصف خصومه العراقيين « فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين إلا لبس على عقلي » ، ويوم قال فيهم « ما لهم غضبهم الله بشر ما قلوبهم إلا كقلب رجل واحد » فكان يرى في الخنوح إلى الصلح مفراً من منازلة هؤلاء ومواجهة عيونهم تحت المغافر .

ثالثاً : أنه كان يهاب موقع الحسن ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ومقامه الروحي الفريد في العقيدة الإسلامية فبتى حربته بالصلح .

كذلك كان يرى أنه من الجائز أن يقبض الله لمعسكر الشام من يتطوع لتبنيه الناس فيه إلى حقيقة أمر الحسن وقظاعة موقفهم منه الأمر الذي من شأنه أن لا يتأخر بمسلمة الجيش في جبهة معاوية على الانتقاض عليه والنكول عنه وبالجيش كله عن الانهيار أخيراً .

وكان معاوية يتذكر ما قاله النعمان بن جبلة في (صفين) حيث قال :

« والله لقد نصحتك على نفسى وآثرت ملكك على دينى وتركت لهواك الرشد وأنا أعرفه وحدت عن الحق وأنا أبصره ، وما وفقت لرشد وأنا أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأول مؤمن به ومهاجر معه ، ولو أعطيتناه ما أعطيتناك لكان أراف بالرعية وأجزل فى العطية ، ولكن قد بذلنا لك الأمر ولا بد من إتمامه كان غياً أو رشداً وحاشا أن يكون رشداً ، وستقاتل عن تين القوطة وزيتونها إذ حرمتنا أثمار الجنة وأنهارها . . . »^(١).

وكان من سياسة معاوية حبس أهل الشام على التعرف على أحد من كبار المسلمين - خارج الشام - لئلا يكون لهم من ذلك منفذ إلى إنكاره أو الانقسام عليه ، ولذلك كان من المستغرب لهذا الشامى معرفة ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة سبقه إلى الإيمان ورأفته بالناس وكرمه فى العطاء وأولويته بالأمر .

وكانت سياسة معاوية تجهيل أهل الشام بأعلام الإسلام إلى آخر عهده ، وكانت سياسته هذه هى أداته فى التجمعات التى ساقها لحروب صفين أولاً ولحرب الحسن بن على أخيراً .

وتجسد ظاهر هذه السياسة - بما فيها من إعلان عن ضعف صاحبها - فيما قاله معاوية ذات يوم لعمر بن العاص ، وقد تحدى الإمام الحسن فرد عليه الإمام بحدياه التى لم يسلم منها المحرض عليها أيضاً . فقال معاوية لعمر بن :

والله ما أردت إلا هتكى ما كان أهل الشام يرون أن أحداً مثلى حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا .

ربما كان معاوية يقصد من وراء هذه الدعوة على ظاهرها تشهيد لعدده القريب الذى ستكشف عنه نتائج الحرب بينه وبين الحسن ، وكان أحد لوجهين المحتملين أن يدل لشام من الكوفة ، وأن تقضى الحرب وديود على الحسن والحسين وعلى من إليهما من أهل بيتهما وشيعتهما ولا تدبر يومئذ للعدو من هذه الباتقة الكبرى أروع من أن يلقى معاوية مسئوليتها على الحسن نفسه ، ويقول الناس : إني دعيت الحسن للصلح ولكن الحسن أتى إلا الحرب ، وكنت أريد له الحياة ، ولكنه أراد لى القتل . وأردت حقن دماء ولكنه أراد هلاك الناس بيني وبينه .

انتقل بعد ذلك إلى ما لاقاه الإمام الحسن بسبب الصلح فأقول : صلح الحسن عليه لسلام مع معاوية كان من أشد ما لقيه أئمة أهل البيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قوة لأحد عليها إلا بالله عز وجل ، ولكنه كما سترى رضح لما صابراً محتسباً وحرص منها ظاهراً عما يتبعه من النصح لله تعالى ولكنه عر وجل ورسوله ولخاصة المسلمين وعامتهم ، ولا وزن لمن اتهمه بأنه أخذ بصلحه إلى الدعة وآثر العافية والراحة إلا لمن طوحت به الحماسة من أضاره فتمسوا عليه لو وقف فى جهاد معاوية لوصول إلى الحياة من طريق الموت وفر بالنصر وفتح من الجهة التى انطلق منها صوته يوم الطف إلى نصره العزيز وفتح المين .

ومما لا شك فيه ان صلح الحسن لم يقابل بالارتياح من كثير من المسلمين
 كما سأتبّه تفصيلاً . وكما قلت تحمل الإمام الحسن كثيراً في مقابل هذا .
 ولإمام كما سبق أن بينا لم يقبل لصلح إلا لحق دماء مسلمين وتوحيد
 كلمتهم غير مقتر بما كان حوله من رجال أشداء وقال عنهم كانت حماهم
 العرب يبدى يسلمون من سالت ويحاربون من حاربت فتركها ابتغاء وجه
 الله تعالى وحقق دماء المسلمين وغيره مما قلته له أصحابه وما يعتود به من
 الشتم والتذاتف . كان إذا مر بجماعة من أشد أصحابه حماسة في نصرته
 ونصرة أبيه من قبله يتلقونه قائلين « يا عار المؤمنين » فيحيهم في هدوء ووقار
 ويقول العار خير من النار .

ويروى أبا روق الهمداني حدث عن أبي العريف أحد أصحاب الحسن
 قال : كما في مقدمة الحسن بن علي اثني عشر ألفاً مسكن مستميتين تقطر
 سيوفهم من حرد وتحرس على قتال أهل الشام وعليها أبو نعيرضة . فلما جاء
 صلح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورها من الغيظ والحزن ، فلما جاء
 الحسن الكوفة أتاه شيخ مانيكى أبا عامر شعبان بن أبي ليلى .
 فقال : السلام عليك يا مدّن المؤمنين .

فقال : لا تقل يا أبا عامر فإني لم أدل المؤمنين ، ولكن كرهت أن أقتلهم
 في طلب الملك .

ويقول المغفور له الدكتور طه حسين إن صلح أسخط على الحسن
 جماعة من أصحابه الذين أخلصوا له ولأبيه وأخلصوا في بغض معاوية وأهل

الشام ورأوا في هذا الصلح نوعاً من التسليم لم يكن يلائم ما بذلوا أيام على من جهد ، ولم يكن يلائم كذلك ما كان في أيديهم من قوة ، فهم من كان يقول للحسن يا مذل المؤمنين ومنهم من كان يقول يا مذل العرب ، ومنهم من قال له يا مسود وجوه العرب .

وفي الواقع أنه إذا كانت محنة الأيام قاسية فقد تجاوز بلاؤه إلى ما هو أعظم وأشد أثراً في نفسه وهو كلام المنددين بصلحه من أصحابه وغيرهم ، فقد جابهوه بكلام أشد عليه من وقع الحسام المهند ، فقد رأى منهم غلظة في القول وقسوة في الحديث وجفاء أى حياء ، فاستاء من أنصاره أكثر مما استاء من أعدائه لأنهم على علم بالظروف والعوامل القاسية التي ألجأته إلى الصلح والهدنة .

وقد أقبل بطل العقيدة ومثال لإيمان « حجر بن عدى » إلى الإمام وقد مشت الرعدة بأوصاله واستولى عليه الحزن قائلاً :

« أما والله لوددت أنك مت في ذلك اليوم ومتا معك ولم نر هذا اليوم فإنا رجعنا راغمين بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما أحبوا » .

ويعلق الأستاذ باقر القرشي على هذا القول ويقول : « لا أدري كيف فاه حجر هذا الكلام القاسى وهو أعلم بمركز الإمام من غيره ، وأدري بالظروف العصبية والمصاعب الشديدة التي أحاطت بالإمام حتى اضطرتة إلى الصلح ، ولكنه يعذر ، لأن لوعة المصاب وذهول النفس تخرج الإنسان عن موازين الاعتدال والاستقامة » .

وقام الإمام الحسن فأخذ بيد حجر واختلى به في زاوية من زوايا البيت فبين له الحكمة التي من أجلها صالح معاوية قائلا : « يا حجر قد سمعت كلامك في مجلس معاوية ، وليس كل إنسان يحب ما تحب ولا رأيته كرايبك ، وإني لم أفعل إلا إبقاء عليكم ، والله تعالى يقول « كل يوم هو في شأن » ، ثم أبان الإمام عدم وجود المخلصين له في الجيش العراقي ، ولو كان هناك أمثال حجر في عقيدته وإيمانه ورأيه وإخلاصه لما صالح معاوية ، كما بين عليه السلام أنه إنما صالح خصمه محافظة على حجر وأمثاله من المؤمنين .

واندفع الصحابي العظيم وهو الذي ضرب الرقم القياسي للعقيدة والإيمان والفداء في سبيل الله « عدى بن حاتم » بثورة نفسية عارمة إلى إنكار الصلح ، وكانت لهجة حديثه لهجة مؤدب كامل ، فقال للإمام وقد ذابت حشاه من الحزن والمصاب :

« يا ابن رسول الله ، لوددت أني مت قبل ما رأيت ، أخرجتنا من العدل إلى الجور ، فتركنا الحق الذي كنا فيه ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه ، وأعطينا الدنيا من أنفسنا وقبلنا الخسيس التي لم تلق بنا » .

وترك كلام عدى في نفس الإمام بالغ الأسى والحزن ، فأنبرى عليه السلام مبيناً له العلة التي صالح من أجلها قائلا :

« يا عدى إني رأيت هوى معظم الناس في الصلح ، وكرهوا الحرب فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون ، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما ،

فإن لله قول كل يوم هو في شأن ، وأعرب عليه السلام في جوابه عن سأم جيشه من الحرب وحمه للعافية وإيثار السلم ، ولم يقتنع عدى بكلام الإمام ، فضى وهو مثقل الخطى نحو الإمام الحسين وقلبه يلهب ناراً وحماساً ، وكان معه عبدة بن عمر ، فلما انتهى إلى الإمام قال له بنبرات تقطر حماساً وعزماً إلى إثارة الحرب :

« يا أبا عبد الله شرتم الذل بالعز وقلتم القليل وتركم الكثير ، أطعنا اليوم وأعصينا الدهر . دع الحسن وما رأى من هذا الصلح واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها . وولني وصاحبي هذه المقدمة ، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيف .

فقال له عليه السلام : « إنا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل لنقض بيعتنا » .

« والمسيب بن نجبة » وهو من عيون المؤمنين وخيار الصالحين الذين عرفوا بالولاء والإخلاص لآل البيت عليهم السلام ، وقد تأثر من الصلح وتألم بكل ما للتألم من معنى ، فقد أقبل إلى الإمام وهو محزون النفس مكلوم القلب قائلاً :

« ما ينقضى تعجبي منك ، بايعة معاوية ومعك أربعون ألفاً ، ولم تأخذ لنفسك وثيقة وعهداً ظاهراً ، أعطاك أمراً فيما بينك وبينه ، ثم قال ما قد سمعت والله ما أراد بها غيرك ، فقال له الإمام : ما ترى « أرى أن ترجع إلى ما كنت عليه ، فقد كان نقض ما بينك وبينه » فأنبرى إليه الإمام ميباً له أن المصلحة كانت تقضى بالصلح قائلاً :

« يا مسيب إني لو أردت ، بما فعلت ، الدنيا لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء ولا أثبت عند الحرب مني ، ولكني أردت صلاحكم وكف بعضكم عن بعض » .

وأعرب الإمام في حديثه أنه لو كان من طلاب الدنيا وعشاق الملك والسلطان ، ما كان معاوية بأصبر منه ولا أثبت في الحرب ، ولكن الانتصار عليه يتوقف على الاعتماد على الطرق التي لا يقرها الدين كالمواربة والمداينة وما شاكل ذلك ، ولكنه عليه السلام أي أن يسلك ذلك وسار على خطة أبيه الداعية إلى ملازمة الحق والعدل ومتابعة الشرع .

ودخل على الإمام (مالك بن زمرة) وكان معروفاً بسعة العلم والفضل ، وكان ملازماً لنصحاني العظيم أبي در . وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما حضرته الوفاة أوصى بسلاحه إلى المجاهدين من بني زمرة واشترط عليهم ألا يقاتلوا به أهل البيت ، فقال له أخوه يا أخى عند الموت تقول هذا ، فقال له هو ذاك .

ولما أقبل سيد الشهداء إلى العراق وخرج أهل الكوفة لقتاله ، جاء أحد أعوان ابن زياد إلى موسى بن مالك مستعيراً منه رمح أبيه ليقاتل به ربيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياه .

فلما خرج قالت له امرأة من أهله : يا موسى أما تذكر وصية أبيك ؟ فلما سمع بذلك طلبه حتى أخذ منه الرمح فكسره^(١) .

وقال مالك للإمام الحسن كلاماً مرّاً وكان في منتهى الشدة ، فأجابه الإمام :

« إني خشيت أن يبحث المسلمون عن وجه الأرض فأردت أن يكون للدين ناع . » وأدلى الإمام عليه السلام في حديثه عن حرصه على دماء المسلمين وأنه لو فتح باب الحرب بينه وبين معاوية لما بقي مسلم على وجه الأرض ، فصالح حفظاً على دماء المسلمين وإبقاء عليها .

أما (سفيان بن أبي ليلى) والذي كان ممن يدين بصكرة الخوارج فقد دخل على الإمام وتكلم بكلمات تم عن نفس مترعة بالجفاء والجهل قائلاً :

« السلام عليك يا مدل المؤمنين » فتأثر عليه السلام منه واندفع قائلاً : « ويحك أيها الخارجي ، لا تعظني ، فإن الذي أحوجني إلى ما فعلت قتلكم أني وطنكم إياي ، واتهابكم متاعى ، وإياكم لما سرتم إني صنفى كان دينكم أمام دينكم ، وقد أصبحت اليوم ودينكم أمام دينكم ، ويحك أيها الخارجي ، إني رأيت أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم ، وما اعتر بهم إلا من دل ، وليس أحد منهم يوافق رأي الآخر ، ولقي أنى منهم أموراً صعبة وشدائد مرة ، وهى أسرع الملاد حراباً ، وأهلها هم الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعاً » . ومن الغريب أن نسمع كلمة (مدل المؤمنين) مرة أخرى من رجل حليل

من اصحاب الإمام الحسن وهو « سليمان بن صرد » ، فقد كان من صفوة اصحاب الإمام في إيمانه وعقيدته وولائه لآل البيت عليهم السلام ، وقيل له لم يكن حاصراً في المدائن حينما جرى الصلح ، فلما وافته الأنباء المؤلمة ،

توجه إلى الإمام وكان في يثرب وقال :

السلام عليك يا مدلل المؤمنين ، ثم اندفع قائلاً :

« إن تعجنا لا ينقضي من بيعتك لمعاوية ، ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل العراق ، وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العقد ، ولا حظاً من العطية ، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت وأعطاك ما أعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق ، كنت كتبت عليه بذلك كتاباً وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب ، إن هذا الأمر لك من بعده ، كان الأمر علينا أيسر ، ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قوله ، ثم قال : وزعم على رموس الناس ما قد سمعت « إني كنت شرطت لقوم شروطاً ، ووعدتهم عدات ومنيتهم أمانى إرادة إطفاء نار الحرب ، ومداراة لهذه الفتنة ، إذ جمع الله لنا كلمتنا وألفتنا ، فإن كل ما هالك تحت قدمي هاتين ، والله ما عني بذلك إلا نقض ما بينك وبينه فأعد للحرب خدعة وأذن لي أن أشخص إلى الكوفة فأخرج عامله منها وأظهر فيها خلعه ، وانبد إليه على سواء ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين » .

وبدل هذا الحديث بدون شك ، على شدة إحلاص سليمان بن صرد وولائه للإمام على ، وقد حفزه إلى الثورة على حكومة معاوية ونقض البيعة لأنه لم يف بالعهد ولم يلتزم ببنود الصلح ، كما أعلن ذلك أمام الرأي العام .

ولما كانت المصلحة العامة للمسلمين لا تساعد على خلع معاوية ونقض المعاهدة فقد طلب الإمام من أنصاره الخلود إلى الصبر والسكون ما دام

معاوية على قيد الحياة ، ثم خاطب سليمان بن صرد قائلاً :
 وأما قولك : « يا مدلل المؤمنين فوالله لأن تدلوا وتعدوا أحب إلي من أن
 تعرفوا وتقتلوا » فإن رد الله علينا حقاً في عاقبة قبلنا ، وسألت الله بحزن على أمره
 وإن صرفه عنا رضى ، وسألت الله أن يبارك في صرفه منا ، فليكن كل رجل
 منكم حليماً من أخلاص بيته ما دام معاوية حياً ، فإن يهلك ونحو وأنتم أحياء
 سألت الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا ، وألا يكلنا إلى أنفسنا ، فإن
 الله مع الذين اتقوا وبنين هم محسنون » .

وفي النهاية دخل على الإمام بعض أصحابه وهو مندلع ثوبه قد أهد
 منه الواحد والأسي مبلعاً ليس بالقليل ، فقال له :

« يا ابن رسول الله أذلت رقابنا تسليماً أم هذا لطاغية » .

فقال الإمام : والله في ما سلمت الأمر إلا لأبي م أحمد أنصاراً ، ولو
 وجدت أنصاراً لقاتلته ليلى ونهارى حتى يحكم الله بيني وبينه ، ولكن عرفت
 أهل الكوفة وبلوتهم ، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً ، إنهم لا وفاء
 لهم ولا ذمة في قول ولا فعل ، إنهم لمختلفون ويقولون لنا : « إن قلوبهم معا
 وإن سيوفهم مشهورة علينا » .

وترى مما تقدم أن الإمام رد على الناقدين لسياسته ، وأوضح لهم الحكمة
 في ذلك ، وأجاب كلاً على عتابه ببراعة الحجة وأصالة الرأي .

كما بين لهم أنه لا ناصر له ولا معين ليناجز معاوية ، إذ لم يكن معه سوى
 أهل الكوفة الذين لا وفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل ، فكيف يحارب بهم معاوية .

وكما ترى أن الإمام لم يحفل بشيء مما قاله أنصاره ، وإنما رضى عن خطته كل الرضا ورأى فيها حقاً للدماء ووضعاً لأوزار الحرب ، كما كرر بذلك لكل من عرصه ومن عاتيه ، وجمعاً للكلمة الأمة ، وتمكيناً للمسلمين من أن يستقبلوا 'مورهم' مؤتفين لا مختلفين ، ومتفقين لا متفرقين ، ومن أن يفرغ أهل الثغور لثغورهم يردون عنها طمع العدو فيها وفيها وراءها ، ومن أن يفرغ الجند للفتح يستأنفونه من حيث وقته وفتته

ولم يكن قعود الحسن عن الحرب حياً ، وإنما كان كراهية لسفك دماء من جهة وشك في أصحابه من الجهة الأخرى .
وأخيراً فيرى الشيعة أن عبياً قد أنبا الحسن في أكثر من مناسبة أن معاوية لا يموت حتى يملك ما تحت قدميه ، ولما عوتب الحسن من أصحابه في أمر الصلح كما رأينا قال : سمعت أني عبياً رحمه الله يقول : سبيل أمر هذه الأمة رجل واسع المعلوم كبير الطن ، فسألته : من هو ؟ فقال : معاوية ، كذلك تسألى صلى الله عليه وسلم يملك بنى أمية ، إذ رأهم في المنام يقولون منبره واحد ، وهداً ، فشق ذلك عليه ، فأنزل الله سبحانه وتعالى عليه : (وما جمعنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن) .
كما أنبا النبي أن ملكهم سيديوم ألف شهر ، فأعطى الله النبي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر .

(١) الأستاذ لعبد نذرتور طه حسين

(٢) س في الحيد شرح موج ثلاثة

موقف الإمام الحسين من الصلح :

اختلف المؤرخون في موقف الإمام الحسين من صلح أخيه الإمام الحسن مع معاوية فيقول البعض إن الإمام الحسن أرسل إلى أخيه أبي الشهداء رضي الله عنهما فأتاه .

فقال : أى أخى ، إني رأيت رأياً وأحب أن تتبني عليه .

فقال : ما هو

فقال : رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء وقطعت الأرحام وعطلت السبل وعطلت الثغور .

فقال الحسين : أعيدك بالله أن تكذب علياً في قبره وتصدق معاوية .

فقال الحسن : والله ما أردت أمراً إلا خالفتني إلى غيره ، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأطبئه عليك حتى أقصي أمراً .

فلما رأى الحسين غضبه قال في أدب رفيع : أنت أكبر ولد على وأنت خليفتي وأمرنا لأمرك تبع فافعل ما بدا لك .

والفريق الآخر يقول إن موقف سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام من قضية الصلح كموقف أخيه الحسن عليه السلام فكان يرى ضرورة المهادنة ولزوم المسألة وأنه ليس من الحكمة ولا من الصالح فتح باب الحرب مع معاوية ، فإنه يعود بالمضاعفات السيئة على الإسلام ، ويجر الولايات والخطوب

للمسلمين وذلك لتفشل الجيش الذي نرح معهم .

ويروي بعض رجال التاريخ أن الحسن عليه السلام قال لابن عمه عبد الله بن جعفر : « إني رأيت رأياً أحب أن تنصني عليه » فنبى إليه ابن جعفر قائلاً : ما هو ؟

رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزها وأخلى بين معاوية وبين هذا الحديث ، فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء وقطعت الأرحام وعطلت الفروج .

فأيد ابن جعفر رأيه قائلاً : « جزاك الله عن أمة محمد خيراً وأنا معك » .
ويدلل هذا الفريق على أن الإمام الحسين كان موافقاً على الصلح من أنه لما أرم الإمام الحسن الصلح أقبلت إلى الإمام الحسين طائفة من الزعماء والخواص يطلبون منه أن ينقض ما أرمه أخوه وينجز معاوية فأبى عليه السلام وامتنع ولو كان رأيه مخالفاً لرأى أخيه لأحاهم إلى ذلك .

ويقول إمامنا لا شك فيه أن الصلح قد ترك في نفس الحسين أذى مريباً وحزناً مرهقاً كما ترك في نفس الحسن أيضاً لوعة وحزناً ولكلهما سلام الله عليهما ماد يصنعان والغرور لم تكن موأبة لهما حتى يقوم بمجازة معاوية .
لقد تم الصلح وعاد إلى المدينة معاً .

ولعله من المفيد أن نختم هذا الموضوع بالبحث القيم الذي كتبه السيد عبد المحسن شرف الدين عن « ثورة الحسين صدى لصلح الحسن » يقول :
« كان بنفسى من قديم أن أعنى بحث هذه المسألة بحثاً يدفع هذه الشبهة عن أبي محمد في نفوس غير المتمكنين في فهم لتاريخ فهماً صحيحاً ،

وكثير من هؤلاء لا يرجعون إلى مصدر علمي في وزن هؤلاء النفر من أهل البيت وإخضاع حركاتهم في حالتها مدتها وجزرها للمبدأ الأسمى الذي طوعهم لخدمته وأفتى ذواتهم في ذاته ، فكانوا ينقبضون حين يشاء لهم الانقباض وينبسطون حين يشاء لهم الانبساط كذلك .

كان بنفسه أن أرد هذه الشبهة عن أبي محمد السبط بإقامة هذا الميزان العلمي الذي يحلوهذه الحقيقة ويكشف خدورها ، غير أن وارداً ثقيلاً من المشاغل التي لا تنتهي كان يصرفني عما بنفسه من ذلك فهأبداً الآن أوجر الإشارة إلى هذه الشبهة ودفعها ، وعسى أن تعود هذه النواة غرساً أتعهده أنا بما يسميه إن ساحت الفرصة أولاً فيسميه قلم من هذه الأقلام الصقيلة المعنوسة بقنوب الأحرار وعقول العلماء من خدام الحقائق .

أما الشبهة القديمة كقدم النظر المقاصر فيمن يأخذون من الأشياء بالظاهر . والمؤمنون بتاريخ الحسن عليه السلام يعرفون أن قوماً من صحابته أخذوا عليه قعوده عن حرب معاوية ومناجزته إياه القتال ، حتى لأوشك أن يذهب يومئذ ضحية هذه لفظة ، وحتى دخل عليه خاصته بسلام غليظ يقولون فيه - السلام عليك يا مدلل المؤمنين » .

وقد يكون هؤلاء عذر بحماستهم التي تعرفها لدى السحرة من قتيان الإيمان الذي تغلب فيهم عاطفة الحماسة واستقرار الروية وبعد نظر .

وقد يكون ذلك ، ولكنا لا نقصد الآن إلى الاعتذار لهم ، بل يريد أن ثبت طرف هذه الشبهة عن الأول لراها تتسلسل منه فتظهرين حين وآخر ، طور

على لسان أوثيائه ، وثارة على لسان أعدائه ، وهي هنا وهناك لا تظهر إلا لندل على جهل هؤلاء وأوثئك .

فنحن حين نزن صلحه عليه لسلام وحرية نرجح كفة الصلح من حيث عتبرت المعيير المرعية ، ولكن إذا شئت (ماديًا) أو كن (روحيًا) تتجاوز بيمانك وفهمك مدى المحسوسات المرئية .

كن أول الأمر ماديًا وناقش حرب الحسن في جيش حكم على نفسه بالهزيمة قبل أن يحوّض المعركة ، وعراء معاوية لذي ثت لعل من قبل ، ولعل معاوية عسكرية ترجف الأرض من حيثها . مصافا إلى معاويته لأخرى التي لم يكن الحسن يتمتع بمثلها في نفوس معاصريه .

نعم لك أن تقول كاد على الحسن أن يستشهد فيموت عزيزا ، ولكن أعد لظرف في تاريخ هذه الفترة لترى أن الاستشهاد فيه يمسح في معنى من معاني (الخروج) فلم تكن يومئذ حقيقة وطنية ثابتة ولا روحا ميدانية مستقرة لتكون النصحية تضحية مقررة لقواعد ، وليس أتمه في هذه الحال ، من الموت يعين على صاحبه ويميته مرة أخرى في معناه .

كذلك الحجة الإسلامية تنتكس حقًا وتتحول إلى ملكك عضوص ، وكانت المقامع تتجدد في ركاب الملك هاربة من حواشي الخلافة ، ولكم كانت ما تزال تحتفظ بوسيلة الإسلام وظاهر مبادئه في (وصولية) صاعها معاوية بداهته . وكان هذا وحده عذرا للحسن من ناحيتين :

١ كاد عذره في نصيح لأن (الدنيا) كانت تظاهر معاوية فتستب

منه ابن عمه وقائد عسكره .

٢ ثم كان عذره في القعود عن الشهادة ، لأن ذلك بعينه ليس طرف الشهادة لأنه كان قادراً على مسحها .

فأى ربح مادي في الموت لو اختاره الحسن كما يريد هؤلاء غير أنه يعين معاوية على نفسه حياً وميتاً .

إني لا أرى شيئاً أدل على عظمة الحسن من هذه السياسة المادية التي حددت موقفه على هذا النحو في أخطر دور مرّ به الإسلام . فكانت نواة لقلب الحكم الأموي كما كانت مادة ذلك البارود الجبار الذي انفجر في مصرع الحسين عليه السلام ذلك الانفجار ، ولو لم يكن موقف الحسن هذا لأتبع لمعاوية سلطان لا يعرف الناس منظرياته ، ولما أتبع للحسين أن يكون لعداء الخالد للمبدأ الخالد .

وبعد أن كنت مادياً فكنت (روحياً) وناقض حرب الحسن لتجتمع لك الاعتبارات كلها على رجحان كفة الصلح .

لحسن عليه لسلام ليس من طلاب (الإمرة) لدات الإمرة ، بل هو ممن يريدون الخلافة وسيلة للإصلاح ، وإقامة العدل ولسلام بين الناس ، وما أظن هذه العقيدة الروحية تعدد دليلها المادي فتوبه وحده أثبتا في الإسلام أنهما كذلك . وله قبل الإسلام إرث يهض دليلا على أنه من معدن مصلح لا يطلب الثمود إذا استغنى عن فعل الخير .

ومن هنا كان سهلا عليه أن يتنازل عن الخلافة لأنه في فترة لا تقدر هي على

بداء الخير في ظل ذلك الجليل المكبوت المشتاق إلى الشهوات بصيب منها فوق كفايته على موائد معاوية . بل لقد كان الواجب عليه أن يتنازل مع عدم المقدرة على تذليل العقبة من إخضاع (الأموية) المندفعة لأن تنازله يأتي وفق الخطة التي رسمتها له مبادئه .

وليس عاتبو تنازله أشد إحساساً منه بآلام التنازل وهو المجروح . ولكنها التضحية الضخمة فرضت عليه أن يتحمل آلام القعود التي كتبها عليه مثله العليا ومبادئه الحسنى .

وهي تضحية لا تقل قدراً ، إن لم تزد ، عن تضحية الإمام الحسين عليه السلام وكن الآن ما شئت ، كن مادياً أو كن روحياً فستنتهي آخر الأمر إلى نتيجة رائعة ، وهي أن صلح الحسن مصلح من أكبر مصادر ثورة الحسين التحريرية ، وإلى أن جوهر التضحية واحد عند الإماميين وإن اختلف مظهرهما .

ولحق أنه عليه السلام لو ضحى بنفسه لذميت تضحيته معدومة الأثر . لا تقم حقاً ، ولا تغير باطلاً ، لأن معاوية بمكره وخداعه يلقى المسئولية على الحسن ويرى نفسه عن ارتكاب الجريمة .

فيقول للناس : « إني دعوت الحسن للصلح ، ولكن الحسن أبى إلا الحرب ، وكنت أريد له الحياة ، ولكنه أراد لي القتل ، وأردت حقن الدماء ولكنه أراد هلاك الناس بيني وبينه . . . » ومعاوية له هذه القابليات التي يظهر بها نفسه مظهر العادل المصنف ، وبذلك تكون التضحية مسلوقة

الآثر معدومة فائدة .

أما الحسين عليه السلام فقد جاءت تصحيته لحادثة موافقة لظرفها الملائم ومسحمة مع مقتضيات الزمن ، لأن الأثم يزيد ليس معه من يدبر شئونه ويردعه عن طيشه وعروده ، فقد هبكت تلك العصاة التي كان يعتمد عليها معاوية في تدبير شئونه كأس العص والمغيرة وأمثلها من دهاة لعرب ولم يبق منهم معه أحد ، فقد نهض الإمام الحسين عليه السلام بتلك النهضة الموفقة التي جاءت بالهياة المحتومة لدولة أمية .

والحيلة إن مهادة الحسن وشهادة الحسين عليهما السلام قائمتان على فكرة عميقة مسعنة من وحي جددهما الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولولا صلح الإمام الحسن وشهادة أخيه سيد الشهداء لما بقي للإسلام اسم ولا رسم ، وفي ذلك يقال به كما كان الواجب في الظروف التي ثار فيها الحسين سلام الله عليه على طاعوت زمانه أن يحارب ويقا تل حتى يقتل هو وصحابه وتسي عياله ودائع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان هذا هو المتعين في من السياسة وقوانين اللعبة .

كذلك كان لواجب في ظروف الحسن رضي الله عنه وملابساته هو الصلح وشهادة الحسين ، ولدى لولاه لما بقي للإسلام اسم ولضاعت كل جهود سيدنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به للناس من خير وبركة ورحمة .

ولم يقتصر نقد صلح الحسن على أصدقائه وشيعته ، بل تجرأ (لأمنس)

رحل الذي حاول ان يطلع لدين الإسلامى فى كل ما كتبه ، فيقول :
 « ونوبع الحسن بعد مقتل على فحاول ان يصاره ان يقمعه بالعودة الى قتال
 أهل الشام ، وقلب هذا الإلحاح من جانبهم حقيقة الحسن لتععيد الهمة .
 فلم يعد يشكر إلا فى تشدهم مع معاوية ، كما أدى إلى وقوع الفقرة بينه
 وبين أهل العراق ، ونهى لهم الامر إلى إثنان إمامهم سما لا فعلا ، لخرج ،
 فتمسكت لحسن منذ ذلك الوقت فكرة وحدة هي للوصول إلى اتفاق مع
 الأمويين ، وترك له معاوية أن يحدد ما يرضيه جراء تنازله عن الخلافة ،
 ولم يكتف لحسن بالمليون درهم تلى طلبها معاشا لأخيه الحسين بل طلب لنفسه
 خمسة ملايين درهما أخرى ودخل كورة فى فارس طيلة حياته ، وعارض أهل
 العراق بعد ذلك فى تنفيذ لفقرة الأخيرة من هذا الاتفاق ، بيد أنه اجيب
 إلى كل ما سأله حتى إن حفيد لى اجترأ فجاهر بالدم على أنه لم يضاعف
 طلبه وترك لعراق مشيعا بسخط الناس عليه ليقع فى المدينة » .

وريادة على ذلك فهناك كثير من المؤرخين الآخرين يلقى تبعة لصريح على
 الحسن نفسه ، إذ قد أثار لريبة فى موقفه حين طلب منهم البيعة على أن يكتفوا
 سامعين مطيعين يسألون من سالم ويحاربون من حارب ، فعده بعض أهل
 العراق ليس لهم بصاحب وما يريد القتال ، فقصدوا الحسين وعرضوا عليه
 البيعة فأبى عليهم ما دام الحسن قائما .

ويرى بروكلمان : أن لحسن لم يكن رجل الساعة إذ رفض أن يصحب
 حنده ليهاجم عدوه . وذهب « هوكلى » إلى أن الحسن لم يكن كفوا للموقف

لميله إلى السلم . وعد « سايكس » الحسن غير حدير أن يكون ابناً لعلّ .
 ذلك الرجل العظيم لانشغاله بملذاته واكتفائه بإرسال اثني عشر ألفاً كطلبة
 لجيشه .

وكذلك قال المستشرق (رويت م رولندس) : « إن الأخبار تدل على
 أن الحسن كانت تنقصه القوة المعنوية والقابلية العقلية لقيادة شعبه بنجاح »
 وقال الدكتور (فيليب حتى) : « وفي بدء حكم معاوية قامت حركة
 أخرى كان لها شأن كبير في الأجيال التي تلت ، أعني إعلان أهل العراق
 الحسن بن علي الخليفة الشرعي ، ولعلمهم هذا أساس منطقي ، لأن الحسن
 كان أكبر أبناء علي وفاطمة ابنة النبي الوحيدة الباقية بعد وفاته ، ولكن الحسن
 الذي كان يميل إلى الترف ولدخ لا إلى الحكم والإدارة ، لم يكن رجل الموقف
 فانزوى عن الخلافة مكتفياً بهبة سوية منحه إياها » .

وما كتبه (لامنس) وغيره من المستشرقين عن صلح الإمام فيه كل الحقد
 والعداء للإسلام ، كما أن رأيهم لم يكن خاضعاً لحرية الفكر ، ودراستهم تعتمد
 على الدراما السطحية الخالية من التحقيق والتدقيق ، كما لم يحتضن قولهم
 الدليل في جميع أحواله ، وذلك لعدم وقوفهم على العوامل التي أحاطت بالإمام
 حتى دعتهم إلى مسألة خصمه . وإن كان البعض قد أعطى الإمام الحسن
 العذر فيقول (دونلدسون) : « إن الحسن صالح معاوية حين شعر أن أصحابه
 قد افرقوا عنه » . ويقول (ميور) : « إنه على الرغم من حزن أهل العراق على
 رحيل الحسن ، فإنه لم يأسف لفراقهم ، فإنهم جماعة لا يمكن الثقة بهم فهم

لا يستقرون على رأى واحد » ، وأخيراً يقول السيد أمير على : « إن عدم استقرار الشعب المتقلب الأهواء كان العامل الذى حطم آمال على بن أبى طالب وحمل ابنه الحسن على الزول على الخلافة » (١) .

ولا شك أن تعليقات أكثر المستشرقين الذين تجنبوا على الحسن - رضى الله عنه - فيها تجاهل للموقف ، فما لا شك فيه أن الأمور كانت تسير من سيئ إلى أسوأ فى أواخر عهد الإمام على ، وقد تولى الحسن الخلافة فى أدق الظروف ولم يكن تحت ولايته من الأقاليم غير العراق بعد أن استولى معاوية على معظم أرحاء الدولة ، وكان مقتل الإمام على أكبر انهيار فى الموقف ، ثم توالى الخيانات من أشراف العراق كما بينا ، وقد عبر الإمام الحسن نفسه عن سبب تنازله بقوله : « يا أهل العراق إني سخي بنفسى عنكم لثلاث : ١ - قتلكم أبى . ٢ - طعكم إياى . ٣ - انتهابكم متاعى ، وكرهت الدنيا ، ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحد أبداً إلا غلب ، ليس أحد منهم يوافق آخرك رأى ، لا يطمأن لهم فى خير ولا شر قد لقي أبى منهم أموراً عظيماً » (٢) .

(١) ابن قتيبة - الإمامة والسياسة .

(٢) ابن الأثير ، الكامل .

مقدمة

الحسن والحسين

إذا ذكر اسم الحسن فلا بد أن يذكر اسم الحسين فكأنهما كانا مخلوقاً واحداً يحمل هذين الاسمين .

١ كلاهما فيض من نبي علي وفاطمة - حتى كأن الله قسم بينهما كل هباته ومنه بالعدل .

٢ وبه من اسم أولهما اشتق اسم الثاني .

٣ وولادتهما متقاربة وستعدادهما كان واحداً إذ نشأ في بيت واحد وبست لهما على نفس العناء .

٤ وتوافر على تربتهما أشخاص يعيهم فروياً من معين واحد فاجتمعت فيهما مورخين من عرفهما لولا تفاوت في النشأ وهئية لخارجية أن يقول : الحسن أرى أم الحسين .

٥ دخلا الحياة من باب واحد وفترة يقصدان هدف معين ثم خرجا منها عن طريقين مختلفين وتقياً فيها .

ولم يساعد بينهما لتأين في تصرفاتهما لأنهما قد تشدا الصلابة ذاتها ، وكان بحق من سلالة بيت أبي طالب ندى عبد الله حق عبادته وعرفه

حق معرفته فقدم الأنفس الزكية قرابين في سبيله ، وإنه لبيت ينسى نفسه
عندما يذكر الدين .

٦ وهناك تشابه في الصراع بين الحسن ومعاوية ، والصراع بين
الحسين ويزيد ، كلاهما صراع دين ودنيا أَوْ حق وباطل ، من أجل ذلك
سلم الحسن ملك المسلمين إلى معاوية بشروط لثلاث يضرب الأمة بعضها
ببعض من أجل منصب فتكون من ثم نهاية الخلافة والخلفاء ، ففعل ما فعله
أبوه يوم حُبل على قبول التحكيم ثم لاقاهما الحسين بنفس النتيجة النهائية :
التضحية .

٧ - وفي أيام الإمام علي كان الجيشان ضخمين ومتقاربين بالعدة
والعدد .

٨ - وفي أيام الحسن كاد الجيشان يتقاربان بالعدة والعدد لولا الخيانة
والعدو .

٩ - ويوم لحسين كان الجيشان مختلفين أشد الاختلاف بالعدة والعدد ،
فوقفهم جميعاً ليس فيه سداحة ولا ارتحال ولا تهور بل كلها تبصر وتدر ،
لأن السيطر الأول لم يرغب بنفسه عن الناس ولا رغب أخوه في منفعة ذاتية
كما لم يرغب أبوهما عن المنفعة العامة .

١٠ - ولابد أن نذكر أن الحسن قد يختلف قليلاً عن أخيه - كما أن
معاوية غير يزيد قطعاً .

وينبغي أن لا نخط بين طرف وطرف ومجتمع ومجتمع ومناسبة ومناسبة

فالحسن حلیم - بله إنه الحليم محسباً .

ومعاوية متعرض يأخذ إذا تمكن ويترك إذا لم تُعطه الظروف ، والحسين فاد بل إنه القداء الرمرى مخلوقاً في شخص ، ويزيد أحق وهو الحق مجسداً على الأرض .

ولترجم هذا إلى أن الحسن لو ثار في زمن معاوية لصالحه كما صالحه أخوه بعد أن يرى جيشاً يكثر عدد الخونة فيه وأن الحسن لو كان في زمن يزيد لثار ولقتل كما قتل أخوه دون أن يتردد في تصحية فئة قليلة من الرجال والنساء والأطفال .

فالحسن والحسين وإن اختلفا بالواسطة فقد اتفقا بالعباية وصحيا في سبيل ما عملا من أجله تصحيتين مختلفتين ، هذا بحاج الدنيا وريبتها وذاك بالدنيا والنفس الغالية .

والمعادلة أخيراً ليست صعبة .

فالحسن مع معاوية يساوى الحسين مع يزيد .

أو الحسن مضروباً بمعاوية يساوى الحسين مضروباً بيزيد .

ويروى (جندب الأزدى) أنه دخل على الحسن بعد الصلح مع جماعة وقالوا له . . . فأجاب . . . ودخلنا على أخيه الحسين وهو يأمر غلماناً بالخروج إلى المدينة فجاءنا وسلم علينا وجلس معنا ، ورأى في وجوها الكآبة والحرز فسبقنا بالكلام - وقال :

الحمد لله كما هو أهله - إن أمر الله كان مفعولاً وإن أمر الله كان قدر

مقدوراً - إنه كان أمراً مقضياً . والله لو اجتمعت الإنس والجن على الذى كان ألا يكون لما استطاعوا ، والله لقد كنت طيب النفس بالموت حتى عرم على أخى الحسن وناشدنى الله ألا أهد أمراً ولا أحرك ساكناً فأطعته ، وكأما يجمع حادع أننى بالسكاكين ويشرح لحمى بالناشير ، وقد قال الله تعالى : (عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون . . .) .

الآن كان صلحاً وكانت بيعة ولنظر ما دام معاوية حياً فإذا مات نظرنا ونظرته هذا ما قاله الحسين بعد الصلح بأيام ، ثم حفظ موثق أخيه طيلة أيام معاوية كما وعد أصحابه ، فقد اجتمع عليه الأصحاب بعد وفاة أخيه بعزوه وكتب له كثير منهم يستحثونه على الثورة فكان دائماً يقول : (معاذ الله أن أنقص عهداً عهداً عهداً به أخى الحسن) .

ألم يكن باستطاعة أئى الشهداء الإمام الحسين أن يجمع الذين جمعهم أخوه ويريد عليهم بما أوتيهم من حماس ليثور بوجه معاوية ؟ - ولم أجل ثورته وما الذى قعد به اليوم ؟ - لم يقعد إلا اعترافاً بما فعل سيده - ولم يتعاض إلا للدات الأسباب التى حملت أخاه على التفاضى والقعود . . . فقد تحرك العراقيون إذاً بعد وفاة الحسن وكتبوا لأخيه يبايعونه ويحملون معاوية - وقد امتنع هو عنهم وذكر العهد الذى لا يجوز نقضه حتى تنقضى المدة ووعد بأن يطرئ الأمر بعد موت الرجل .

فقد كان الحسن يعرف من الظواهر كثيراً مما يلى عهد معاوية

فهو في الحقيقة الممهد للنهضة المستترة لأنه يرى غوغاء عهده لا يرون كبير فرق بين ولايته وولاية معاوية ، فيترك الأمر حتى يتبين لحيث من لطيف فمن غير المعقول أن يكون غير ما كان .

فمسألة لحسن لحصمة كمجاهدة الحسين لعدوه .

ومد يد الأول لمعاوية كتقديمه الثاني نفسه لمدينة يريد إذا اعتبرنا نصاي من نتائج الصلح ونتائج الثورة لأحد السطيين قد فعل ما يحب عليه مع مراعاة الواجب والظرف ، ولأن الثاني قد فعل ما لزمه وقام بالواجب لدى حتمه الظرف .

هذه المرة الأولى لمعاوية للمجهول من جل معاصريه كمحاربة الثاني ليريد المشهور لدى جل معاصريه .

وفي تحمل لحسن للدل عزّ ودلت دعوة الأمويين وافترض أمرهم كما أن في تحمل الحسين لقتل عاش وماتت دعوة الأمويين ! فلم يرعب الحسن بنفسه عن الصلح العام عند عرض شروط ملأمة ولم يقل لحسين يوم لطف إلا :

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خديني

ولحسن ولحسن يتفقان في الأمور الروحية والأوامر الربانية وإذا عذمت الأمور الروحية أو العيت الأوامر الربانية فقد انعدم كليهما ونعى وجودهما لأيهما ، إن تعرياً من ذلك فما تبقى لهما من صورة ولا تبقى لحياتهما من ضرورة الستة .

وللتفت إلى أن معاصريهما وجميع من لحق بمعاصريهما لم يحكموا
 لأحدهما أو على أحدهما بما نجوا منه الثاني بل كانا في وزن واحد وباعتبار
 واحد يكفي لتقريبه إلى كل ذهن وإلى الأبد - أن يقال : هذا الحسن
 وذاك الحسين .

فهم سبطا محمد وأبنا علي وفاطمة وإمامان معصومان قاما في طلب الأمر
 أو قعدا عن طلبه وسيدا شباب أهل الجنة بنظر الناس إلى يوم يبعثان . .
 من أحبهما كما نقل الخدري تساقط الذنوب عنه كما تساقط الريح
 الورق عن الشجر .

ولذا قال الإمام الشافعي :

يا ركباً قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
 إن كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

موقف الإمام الحسن

رأياً موقف أنصار الإمام الحسن من صلحه مع معاوية وما لاقاه منهم من عنت وكيف أن أكثرهم لقبوه (بمذل المؤمنين) .

وسيرى القارئ في الكتاب الرابع الخاص بالإمام الحسين في الجزء الخاص « برحلة الإمام لحسين رضي الله عنه في الميراث » المقارنة بين موقف الإمام الحسن والإمام لحسين . وأرى في هذا المقام أن أبادر بالمقارنة بين ظروف كل من الإمامين .

فقد رأى^(١) كثير من الناس أن الشبه الهاشمي الذي اعتاد أن يكون دائماً في الشواهد ، كان أبقى بموقف الحسين عليه السلام منه بموقف الحسن رضي الله عنه .

وهذه هي النظرة البدائية التي تفقد العمق ولا تستوعب الدقة .

فما كان الحسن في سائر مواقفه إلا الهاشمي الشامخ المجد الذي واكب في مجادته مثل أبيه وأخيه معاً ، فإذا هم جميعاً أمثلة المصلحين المبشرين في التاريخ . ولكل بعد ذلك ، جهاده ورسالته ومواقفه التي يستلزمها من صميم ظروفه لقائمة بين يديه ، وكلها الصور المكر في الجهاد ، وفي المجد ، وفي الانتصار للحق المهتضم المنصوب .

(١) صنع الحسن - للشيخ رضي آل ياسر

وكان احتساء الموت ، قتلا ، و طرف الحسين ، والاحتفاظ بالحياة
 صلحاً . و طرف الحسن ، بما مهدا به ، عن طريق هاتين الوسيلتين لضمان
 حياة المبدأ . وللهمة على إداة الخصوم هو الحل المنطقي الذي لا معدى عنه
 لمشاكل كل من الطرفين ، وهو الوسيلة الفضلى إلى الله تعالى . وإن لم يكن
 الوسيلة إلى الدنيا ، وهو الظفر الحقيقي المتدرج مع لتاريخ . وإن كان فيه
 الحرمان حالا وخسارة السلطان ظاهراً .

وكلتا التضحيتين : تضحية الحسين بالنفس ، وتضحية الحسن بالسلطان
 هما قصارى ما يسمو إليه الزعماء المبدئيون في مواقفهم الإنسانية المجاهدة .

وكانت عوامل الزمن التي صاحبت كلا من الحسن والحسين في زعامته هي
 التي خلقت لكل منهما طرفاً من أصدقائه وطرفاً من أعدائه ، لا يشبه طرف
 أخيه منهما ، فكان من طبيعة اختلاف الطرفين اختلاف شكل الجهاديين
 واختلاف النهايتين أخيراً .

ولتتكمم أولاً : عن ظروفهما من أضرارها ومثلت خيانة الأصدقاء
 الكوفيين بالنسبة إلى الحسين عليه السلام خطوته الموفقة في سبل التمهيد
 لنجاحه المطرد في التاريخ ، ولكنها كانت بالنسبة إلى أخيه الحسن عليه
 السلام ، يوم مسكن والمداثر ، عقبتة الكؤود التي شلت ميدانه عن تطبيق
 عملية الجهاد ، ذلك لأن حوادث نقص بعة الحسين كانت قد سقت
 تعبته للحرب ، فحاء جيشه الصغير يوم وقف به للقتال متحولا من كل
 شائبة تضيره كجيش إمام له أهدافه المثل .

أما الجيش الذي أُحدّ مواقعه من صفوف الحسن ، ثم فرّثاه ونفرت به
المدائن لمعادية ، فإذا هورهن الفوضى والانتقاض وثورة ، فذلك هو الجيش
لدى خسره الحسن كل مل من نجاح هذه الحرب .

ومن ها طهر أن هؤلاء الأصدقاء الذين بايعوا الحسن وصحبوه إلى
معسكراته كمجاهدين ، ثم نكثوا بيعتهم وفروا إلى عدوهم أو ثاروا باممهم
كانو سراً من أولئك الذين نكثوا بيعة الحسين قبل أن يواجهوه ، وهكذا
مهد الحسين لحربه ، بعد أن تحت حوادث الخيانة أنصاره ، حيثاً من
رُوع جيوش لتاريخ إخلاصاً في غايته وتفادياً في طاعته وإن قل عدداً .

أما الحسن فلم يعد بإمكانه أن يستقى حتى من شيعته المخلصين أنصاراً
يضمّن إلى جمعهم وتوجيه حركاتهم ، لأن الفوضى التي انتشرت عدوها
في حدوده كانت قد فقدت الموقف قابلية الاستمرار على العمل . وى
فرق أعظم من هذا التفرق بين ظرفيهما من أنصارهما ؟

وأما ظرفيهما من أعدائهما هو تفرق بين معاوية ويزيد ، وتفرق بينهما هو
ما طفح به التاريخ من قصة البلادة لسافرة في لابن ولدحاء في الأب ، ومن
وراء ذلك الحصومة لتاريخية التي أكل عليها الدهر وشرب بين بني هاشم وبين
أمية ، ولم تكن الأموية يوماً من الأيام كفوّاً للمهشمية ، وإنما كانت عدوتها
التي تحافها على سلطانها ، وتناوئها دون هوداة .

ولا تنس الاختلاف أيضاً بين هذين الأخوين في الطبع والمزاج والسيره .
كان الحسن صاحب أناة ورفق ، كرها إليه الحرب وسقط لدماء وحملاته

على أن يؤثر السلم ويترك خلافة تكلفه مثل ما كلفت أباه من أهوال الحرب .
 وكان الحسين كأبيه ، صارماً في الحق لا يحب الرفق ولا الهوادة ولا
 التسامح فيما لا ينبغي التسامح فيه ، وكان صارماً على نفسه وعلى غيره يتجرع
 مرارة الصبر على ما لا يجب ، رأى الوفاء لأخيه حقاً عليه ، فوفى له وأطاعه
 كما أطاع أباه من قبله ، كما كان الحسين صاحب فطنة وحسن النظر
 في الأمور .

ولقد كان لهاتين السياستين آثار ظاهرة ، فلم يؤذ الشيعة في أنفسهم ولا في
 أموالهم ما عاش الحسن كانوا يعارضون في لين وينكرون في رفق ، وكان معاوية
 وولاته يسمعون منهم ويكفون عنهم وربما استصلحوهم بالقول والعمل ، فلما
 صار أمر الشيعة إلى الحسين عثفت المعارضة وكادت تصبح ثورة في الكوفة ،
 فلقبها معاوية وولاته بالشدة بل بالإسراف في الشدة حتى تجاوزوا في قمعها
 كل معقول .

وكانت نتيجة هذه الشدة أن عظم أمر الشيعة في الأعوام العشرة الأخيرة من
 حكم معاوية ، وانتشرت دعوتهم أي انتشار في شرق الدولة الإسلامية وفي جنوب
 بلاد العرب ، ومات معاوية حين مات ، وكثير من الناس وعامة أهل العراق
 بنوع خاص يرون بغض بني أمية وحب أهل البيت .

ولم يكن من الاحتمال البعيد ما قدره الحسن بن علي احتمالاً قريباً فيما
 لو اشتبك مع معاوية في حرب يائسة تجر بذبوا أكبر كارثة في الإسلام وأن
 تبيد بمكائدها آخر نسمة تنبض بفكرة التشيع لأهل البيت ، ولعاقبة قابلياته

الممتازة لتنفيذه هذه الخطة وتصفية الحساب الطويل في التاريخ وهو هو في أعدائه الصريح لعلّ وأولاده وأنصارهم .

أما الحسين فقد كفى مثل هذا الاحتمال حين كان خصمه العلام المترف الذي لا يحسن قيادة المشاكل ولا تعثه الثيارات ، ولا حياكة الحطط ثم هو لا يعنيه من الأمر إلا أن يكون الملك ذا الخرائش حتى ولو واجهه الأخطل الشاعر بقوله :

ودينك حقاً كديس الحمار بل أنت أكفر من هرمر

وكفى لحسين هذا الاحتمال عما ضمه سيف الإرهاب الذي طارد الشيعة تحت كل حجر ومدر في الكوفة وما إليها والذي حفظ في غيايات السجون والمهاجر وكهوف الجبال ميلاً من السادة الذين كانوا يحملون مبادئ أهل البيت وكانوا يؤتمنون على إيصال هذه المبادئ إلى الأجيال بعدهم

فراى أن يمتضى في تصميمه مطمئناً على خطته وأهدافه وعلى مستقبلهما من أعدائه أما الحسن فلم يكن له أن يطمش على مخلفاته المعنوية طمأنينة أخيه وفي أعدائه معاوية .

وقد أفاد الحسين من غلطات معاوية في غاراته على بلاد الله الآمنة المضمنة ، وفي موقفه من شروط صلح الحسن وفي قتله الحسن باسم وفي بيعته لابنه يزيد وفي أشياء كثيرة أخرى بما زاد حركته في وجه الأموية قوة ومعوية وانطباعاً صريحاً على وجهة النظر الإسلامي في الرأي العام ، وأفاد إلى ذلك ،

من مزالق الشاب (خليفة معاوية) فكنت كلها عوامل تنصرف معه في تنفيذ أهدافه .

وكانت ظروفه من أعدائه وظروفه من أصدقائه تتفقان معاً على تأييد حركته وإنجاز مهمته ، والأخذ به إلى النصر المنجح الذي فاز به في الله وفي التاريخ .

أما الحسن فقد أعيتته ظروفه من أصدقائه فحالت بينه وبين الشهادة وظروفه من أعدائه فحالت بينه وبين مناجرتهم الحرب التي كانت معها لحكم على مبادئه بالإعدام ، لذلك رأى لربما أن يطور طريقة جهاده وأن يفتح ميدانه من طريق لصلح .

وما كانت الأنعام التي وضعها لحسن في الشروط التي أخذها على معاوية إلا وسائله الدقيقة التي حكمت على معاوية وحزبه بالمثل الذريع في التاريخ .

ويتمتع رأيي مع رأي زميلي الكبير الأستاذ حسن كامل المنطوي في موقف الإمام الحسن وفي مقارنته بالإمام الحسين فنقول : إن الحسن رضي الله عنه سلم الأمر لمعاوية ولم يفعل الإمام الحسين مثله مع يزيد ولعل اختلاف الموقنين يثير شكوكاً في أفهام بعض الناس والمصنف المتأمل يرى أن كلا منهما كان مجتهداً في رأيه ومحققاً في موقفه .

أما عذر الإمام الحسن في التنازل فقد تبين أن أنصار معاوية كانوا من أهل الدنيا تلعب الأموال بأهوائهم وقد عرف معاوية عنهم فثر عليهم الذهب والفضة ثراً فوجدوا في يد معاوية ما يشتهون ، وكان معاوية صالحاً لأهل الدنيا ، وكان

أهل نديا صانحين لمعاوية ، وقد قال عمرو بن العاص لا يصح لحد الأمر
 لا رجل له ضرسان يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر ، وما قاله معاوية :
 « لأستميلن بالنديا ثقافة على ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنيائ آخرته »
 فلم يكن في أهل نراق أحد في قلبه مرض إلا طمع في معاوية .
 أما أنصار الإمام الحسن فهم أنصار أبيه وقد وصفهم أبو بكر
 فيها بناس المتجمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، وقليل منهم من كان مع
 قن وقناً .

وقد طلب الإمام الحسن خلافة الراشدين وخاف الله كائنه في أموال
 لمسلمين فلم يثر على جنوده الأموال ثراً بل أراد أن يقتل ناس مع تصاروا
 للحق وطلباً للآخرة فلم يتحمس لذلك منهم إلا أهل الصدق ونوء والدين
 وقليل ما هم ، ولقد خذله في موقف الخلد ابن عمه عبيد الله بن عباس وشمسه
 ناس ليصلي بهم الصبح فوجدوه في عسكر معاوية فلا ردعه ديه وورعه ،
 ولا ردعته عصيته لبي هاشم ، فلم يبق إلى حوار خليفة الحق وابن عمه أمير
 المؤمنين الحسن عليه السلام وغلبت دنياء على ديه وحمدت حمية تعصية فكان
 منه ذلك الموقف المخزى ، وقد ذهب المال الذي اعراه وبقى لأصقائه عار
 الموقف ، وكان للحق أنصار أوفياء في صف الإمام الحسن لكنه في قلة من
 أمثال قيس بن سعد ، وعدى بن حاتم ، لكن معاوية كان معه عشرات
 الألف يأتهمون بأمره ويتهمون نبيه ، لذلك لم يكن عجباً أن ترى حد الإمام
 الحسن اعتدوا عليه ونهبوا عسكره وشمموه على مسمع الناس في سفاهة نحمتي

الذين لا يكادون يفقهون قولاً .

وقد عارض الشيعة معارضة قوية صلح الإمام الحسن بعد موته وشجعته
معارضة الإمام الحسين لسياسة معاوية كما شجعته قسوة ولاية معاوية في
معاملتهم وبخاصة ما كان منها على يد زياد وابنه عبد الله وآلت الخلافة
لمعاوية عن رضا وصلاح من الإمام الحسن .

ولكن يزيد آلت إليه الخلافة عن معارضة من الإمام الحسين وسائر
أبناء المهاجرين .

وكان الصراع بين الحسين ويزيد أول تجربة من قبلها بعد عهد النبوة
وعهد الخلفاء الأولين . وقد بذل فيها الحسين روحه وضيعة الشهادة موكلة
بذل الحياة لما هو أدم من الحياة فهو أبو الشهداء ويسوع شهادة متعاقبة
لا يقرن بها يتبوع في تاريخ البشر أجمعين .

ويرى ابن أبي الحديد أن كلا من الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام
كان مجتهداً فيما رآه ، فسلم الإمام لحسن الأمر إلى معاوية ونارح الإمام الحسين
يزيد في الخلافة وعمل كل في موقفه بموجب اجتهاده وما غلب على ظنونهما
من المصلحة .

وقد كان تمكن الإمام الحسن من المصلحة الحاضرة أكثر من تمكن
الإمام الحسين في حالة الحاضرة لأن جند الحسن كانوا حوله وهم كما روى مائة
ألف سيف ولم يكن مع الإمام الحسين من يحيط به ويسير بمسيره إلى العراق إلا
دون مائة فارس . ولكن ظهما في عاقبة الأمر ومستقبل الحال كان مختلفاً .

فكان الإمام الحسن يظن خذلان أصحابه عند اللقاء والحرب .

وكان الإمام الحسين يظن نصرة أصحابه عند اللقاء والحرب .

فلذلك أحجم أحدهما وأقدم الآخر .

ويقول ابن أبي الحديد : وقد صح في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما شاور في أمر أسرى بدر أبا بكر أشار ألا يقتلهم ، وأشار عمر يقتلهم ففدحهما رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً .

ويتضح شعار الحسين عليه السلام حين طلبوا إليه أن يبايع ، فقال لقائد الجيش الذي أرسلوه لقتاله « أنا ملوت تخوفني » .

العودة إلى المدينة

أقام الإمام الحسن بالكوفة أياماً ثم عزم رضي الله عنه على معادرتها إلى مدينة حده عليه الصلاة والسلام ، وودعه جمهرة من المسلمين وفي مقدمتهم الصحابي طبيان بن عمارة التيمي والمسيب بن نجبة الفزاري ، فقال الإمام الحسن : « الحمد لله العالب على أمره لو أجمع الناس جميعاً على ألا يكون ما هو كائن ما استطاعوا » وتكلم المسيب وعرض إخلاصه الصميم لأهل البيت .

فقال له الحسين رضي الله عنه : « يا مسيب نحن نعلم أنك تحبنا » .

وقال الحسن رضي الله عنه : « سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول من أحب قوماً كان معهم » .

ثم عرض له المسيب وطيان بالرجوع فقال : « ليس إلى ذلك سبيل » .
فلما كان الغد خرج من الكوفة وشيعه الناس بالبكاء وكان معه
سيد الشهداء الحسين بن علي رضي الله عنه وأهل بيته ، ولم تكن إقامته فيها
بعد الصلح إلا أياماً قلائل .

فلما صار بدير هند (الحيرة) نظر إلى الكوفة وقال :
ولا عن قل فارت دار معاشرى

هم الماعون حورنى ودمارى^(١)
وفى كلام الإمام التسليم لقضاء الله وقدره والحنن على صباغ حقه الشرعى .
وقد ندب أهل الكوفة حظهم الثعس بنقل الخلافة ومعها بيت المال من بلدهم
إلى دمشق .

وفى يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم استقبله أهلها أحسن استقبال .
على أن معاوية لما صافر إليها ورأى بعينه تكريم الناس وحفاوتهم بالإمام
وإكثارهم له ساءه ذلك ، فاستدعى أنا الأسود الدؤلى والضحاك بن قيس الفهرى
فاستشارهم فى أمر الحسن وطلب منهم الرأى فى الطريقة التى يوصمه بها لينتخذ
من ذلك وسيلة إلى الحط من شأنه والتقليل من أهميته أمام الجماهير ، واحتلفت
المشورة فأشار أبو الأسود^(٢) بعدم التعرض للإمام الحسن وكانت مشورته

(١) ابن أبى الحديد .

(٢) وأبو الأسود الدؤلى هو الذى قال :

أحب محمداً حياً شديداً وعاباً وحمره ونوصيب
هوئى أعطيت من استدارت رعى الإسلام لم يعدل سربا

لصواب ، فأى نقص أو عيب فى الإمام حتى يوصمه به وهو المظهر من كل
رجس ونقص كما نطق بذلك الذكر الحكيم ، وأشار عليه الضحاك بن قيس
أن يئس من الإمام ويتناول عليه ، واستجاب معاوية فعلا لرأى الضحاك ،
وهاجم الإمام .

وقد رد عليه لإمام لحسن قائلا :

أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فانا الحسن بن علي
ابن أبي طالب أنا بن نبي الله ، أنا ابن من جعلت له الأرض مسجدا وظهورا ،
أنا بن السرج المنير أنا بن البشير النذير ، أنا ابن خاتم النبيين وسيد المرسلين
وإمام المتقين ورسول رب العالمين أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس أنا بن من
بعث رحمة للعالمين .

واسترسل فقال : « أنا ابن مستجاب الدعوة ، أنا ابن لتفيع لقطاع
أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب ويقرع باب الجنة ، أنا ابن من قاتلت
الملائكة معه ولم تقاتل مع نبي قبله أنا ابن من دلت له قريش رغما .
وعضب معاوية وكان حاضرا فقال : « أما أنك تحدث نفسك بالخلافة :
فأجابه الإمام الحسن عمن هو أهل بالخلافة قائلا :

أما الخلافة فمن عمل بكتاب الله وسنته ، وليست الخلافة لمن خالف
كتاب الله وعطل السنة ، إنما مثل ذلك مثل رجل أصاب منك فتمتع به وكأنه

سو عم ابي وقبروه احب الناس كهمه ياب
فإن يك جهنم رشداً نصه ولت محطى إن كان عيبا

انقطع عنه وبقيت تبعاته عليه

واستمر لإمام في تعريف نفسه فقال :

« أنا ابن من ساد قريشا شياً وكهلاً ، أنا ابن من ساد نوري كرمًا وسلاً ، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالجوهر الصادق وتفرع بناسق وتفصيل السائق ، أنا ابن من رضاء الله تعالى وقد ضاق به معاوية ذرعاً ووعز به القوي المنحرفة المعدية لأهل البيت بالتطاوع على ريحانة لرمون صلى الله عليه وسلم ، ولكن للإمام في كل هذه الماخرات هو نظير المتصر .

رفض الإمام مصاهرة الأمويين :

في رواية ^(١) أن معاوية أراد أن يصاهر بني هاشم ليحرز بذلك الشرف والمجد فكتب إلى عامله على المدينة مروان بن الحكم أن يخطب ليزيد أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ، على حكم أبيها في الصداق وقضاء دينه بالعامة بلغ على صلح الحسين بن هاشم وبني أمية ، وكان معاوية يعنى من ذلك أن يرضى عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس ولحسين بن علي فأما كلثوم ابنة زبيب بنت علي ، فهو رتبطت بيه وبين حفيدة الإمام الأسات الرضى رؤساء بني هاشم وقضى على الأحقاد ، فبعث مروان خلف عبد الله فسما حضر عنده فأوصه في أمر كريمته فأجابه عبد الله :

(١) هناك رواية أخرى بأن معاوية لما مصاهره تمت بعد وفاة حسن مباشرة وأن الإمام الحسين

إن أمر سائنا بيد الحسن بن علي فاخطب منه .

فأقبل مروان إلى الإمام فخطب منه ابنة عبد الله .

فقال عليه السلام : اجمع من أردت ، فانطلق مروان فجمع الهاشميين والأمويين في صعيد واحد وقام فيهم خطيباً قائلاً :

« أما بعد : فإن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ليزيد بن معاوية على حكم أبيها في الصداق . وقضاء ديه بالعماء ما ينفع وعلى صلح الحيين بنى هاشم وبنى أمية ويزيد بن معاوية كفؤ له . ولعمري لمن بغضكم يريد أكثر ممن يعطى يزيد لكم ، فيزيد ممن يستحق بوجهه العماء » .

فرد الإمام عليه بما يأتي :

١ - أما ما ذكرت من حكم أبيها في الصداق . فإننا لم نكن لنزاع عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهله وبيته .

٢ - أما قضاء دين أبيها فتنى قصت نساؤنا بمهورهن ديون آبائهن .

٣ - وأما صلح الحيين فحسن عادي كما هم لله وفي الله فلا نصالحكم للدينا .

٤ - وأما قولك يريد كفؤ من لا كفؤ له ، فأكفاؤه اليوم أكفاؤه بالأمس لم يزد سلطانه .

٥ - وأما قولك : من يعطى يريد أكثر ممن يعطيه بنا ، فإن كانت لحلافة قادت لسوء فحسن المعبطون ، وإن كانت السوء قادت الحلافة ، فهو المعبوط بنا .

٦ - وأما قولك : إن العمام يستقى بوجه يزيد ، فإن ذلك لم يكن إلا لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي نهاية تفنيد مزاعم مروان حطم الإمام الحسن آماله قائلا : « وقد رأينا أن نزوجها (يعني أم كلثوم) من ابن عمها القاسم محمد بن جعفر ، وقد زوجتها منه وجعلت مهرها ضيعتي التي لي بالمدينة ، وقد أعطاني بها معاوية عشرة آلاف دينار » .

وأخبر مروان معاوية بالحادث فلما علم قال متأثراً : « خطبنا إليهم فلم يفعلوا ولو خطبوا إلينا لما رددناهم » .

وفي رواية أخرى عن معاوية بن خديج قال : أرسلني معاوية بن أبي سفيان إلى الحسن بن علي أخطب علي يزيد بتاً له - أو أختاً له - فأتيته فذكرت له يزيد .

فقال : إنا قوم لا نزوج نساءنا حتى تستأمرهن فأتيته فذكرت لها يزيد ، فقالت : والله لا يكون ذلك حتى يسير فينا صاحبك كما سار فرعون في بني إسرائيل يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم .

فرجعت إلى الحسن فقلت له : أرسلني إلى من تسمى أمير المؤمنين فرعون . قال عليه السلام : إياك يا معاوية وبفضنا ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يعضنا ولا يحسدنا أحد إلا زيد يوم القيامة عن لحوض بسياط من نار » .

لقد كان الإمام يعلم بدوافع معاوية ، وبما يبغيه من تشييد أسرته فكان يسمى لإحباط الوسائل التي يتخذها ويفسد عليه أمره ، وقد بلغه أنه قال : لا ينبغي أن يكون الهاشمي غير جواد ، ولا الأموي غير حليم ولا الزبيرى غير شجاع ، ولا المخزومي غير تياه .

وعرف عليه السلام أن عرض معاوية بذلك إنما هو تحطيم هذه لأسر وتشييد أسرته ، فرد عليه مقالته وقال « قتله الله ، أراد أن يهود بنى هاشم فيفقد ما بأيديهم ويحلم بؤامية فيتحمسوا إلى الناس ويتشجع آل الزبير فيقتلوا وبنيه بنومحروم فيضعفهم للناس

وهكذا كان عليه السلام يدب بأعمال معاوية ويكشف الستار عن سوء نيته غير مكترث سلطانه .

خرق معاوية شروط الصلح

سنت سابقا اتفاقية الصلح التي تمت بين الإمام ومعاوية ، كما لحصت الاتفاقية في نهاية في شروط خمسة ، والآل ترى مدى التزام الجانبين بها .
أولا : فأما عن تسليم الأمر إلى معاوية ، فكان هذا هو الشرط الوحيد لدى معاوية على لحسن . وكان الشرط لدى حظي بالوفاء من شروط هذه لاتفاقية ولم يحدث من الإمام بعد توقيعه الصلح أية محاولة لنقض شرطه هذا ولا لتحدث بذلك ، ولا الرضا بالحديث عنه . وكما بينا جاءه أنصاره بعد أن أعلن معاوية لتخلف عن شروطه ، فعرضوا عليه ، وقد رجع إلى المدينة .

أنفسهم وتساعدهم لنجهاذ بين يديه ، ووعدوه الكوفيون منهم بإخلاء الكوفة من عاصمها لأموى وضمسوا له السلاح لإعادة الكرة على الشام ، فلم تهزه لعواصف ولا قنقلته حوافر لأبصار المتوثبين .

وسأخذ ما قاله سليمان بن صرد كنموذج لما قاله أصحابه ، قال وهو كما يقول ابن قتيبة ، سيد العراق ورئيسهم : « وزعم (يعنى معاوية) على رؤوس الناس ما قد سمعت : إني كنت شرطت لقوم شروطاً ووعدتهم ومنيتهم أماني ... فإن كل ما هنالك تحت قدمي هاتين ، والله ما عني بذلك إلا نقص ما بيث وبينه فأعد للحرب خدعة وأذن لي أشخص إلى الكوفة ، فأخرج عاملها منها وأطهر فيها جعده ، وأبذل إليه على سواء ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين . وسكت ابن صرد وتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته .

وكان جواب الإمام الأجير لهم : « ليكن كل رجل منكم مجلساً من أحلاس بيته ما دهم معاوية حياً ، فإن يهلك معاوية ، ونحن وأنتم أحياء سألنا الله لغزيمه على رشدنا ، والمعونة على أمرنا ، وألا يكلنا إلى أنفسنا ، فإن الله مع الذين اتقوا ولذين هم محسنون .

ثانياً : أما الشرط الثاني وهو أن يكون الأمر للحسن من بعد معاوية .. فقد أجمع المؤرخون على أن العهد الذي أعطاه معاوية للحسن في شروط الصلح هو أن لا يعهد بالأمر من بعده إلى أحد ، ومعنى ذلك رجوع الأمر من بعده إلى صاحبه لشرعي وهو الحسن بن علي فإن لم يكن فللحسين أخيه تمشياً مع مفهوم الشرط ، وأجمع المؤرخون ، بعد ذلك ، على أن معاوية نقض هذا

العهد علناً ، وعهد من بعده إلى ابنه يزيد ، وبذلك ارتكب بهذا العمل الجريء أكبر إثم في دينه ، وسأين في نهاية هذا الفصل الوسيلة التي اتبعت مع الإمام الحسن حتى يخلو الأمر ليزيد بن معاوية .

ثالثاً : أما عن الشرط الثالث ، وهو ترك سب أمير المؤمنين وألا يذكر علماً إلا بخير ، فيقول ابن الأثير : « إن معاوية كان إذا قت سب علماً وابن عباس والحسن والحسين والأشتر » والذي حدث أن معاوية أخذ بعد إبرام الصلح في سب أمير المؤمنين ، وبالع في انتقاصه ولم يمنعه عنه انتقال الإمام إلى حوار ربه ، وكان الباعث إلى ذلك أن معاوية علم أنه لا يستقيم له أمر إلا بانتقاص الإمام والنيل منه ، وبهذه الطريقة يريد معاوية أن يشيد ملكه ، ويقرر في أنفس الناس أن بني هاشم لاحظ لهم في هذا الأمر وأن سيدهم الذي به يصلون وبفخره يفخرون ، هذا حاله ، وهذا مقداره ، فيكون من يتمي إليه ويدل به عن الأمر أبعد ، وعن الوصول إليه أشحط وأزح^(١) .

وظن معاوية أن الناس إذا كرهوا وجه السوء في مدأة الرؤية ، فإنه حين يعود ويشمل ويتكرر تذهب عنه الوحشة ويتوارى منه القبح ، وظن معاوية أنها ستكون عادة مألوفة وسنة شريفة ، فإذا غابت عن الناس يوماً اشتاقوا لها وحسوا إليها ، وقيل : إنه عزل سعيد بن العاص عن إمارة يثرب لأنه امتنع عن سب الإمام ، وقيل : إن معاوية كان يقول في آخر خطبته : « اللهم إن أبا تراب (يعني علماً) ألحد في دينك وصد عن سبيلك فاعنه لعناً وبيلاً وعدبه عذاباً

(١) خطط الشام عن أبي الحديد

أَيْمًا . . وكتب بذلك إلى الآفاق . فكانت هذه الكلمات يشاد بها على المنابر .

وذكر الحافظ السيوطي أنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلحن عليها ابن أبي طالب وذلك بما سته لهم معاوية ، وفي ذلك يقول العلامة أحمد حفظي مصطفى الشافعي :

وقد حكى الشيخ السيوطي أنه قد كان فيما جعلوه سنه
سبعون ألف منبر وعشرة من فوقهن يلحنون حيدر
وهذه في جنبها العظام تصغر بل توجه اللوائم

وقد كان مجهود معاوية في هذا السيل ما طفحت به السير والتواريخ وهو أول من سنَّ الجهر بسب صحابة الرسول وأول من فتح هذا الباب على مصراعه . ولكن هل نجح معاوية ، لقد أخطأ معاوية الرأي وحاور الحلم لذي قالوا إنه وسم به وعادت البدعة بغير ما ظن ورأى ، فإياها كانت تحدث في نفوس الناس وحمة غيظ واستغفارة ندم بمطن لها الخطيب الفطين فيعثر ويتلثم وتغيب عن غير المطن فتنتطق اللعنة حارقة صارخة من القلوب .

وقبل إن معاوية قدم الخطبة على صلاة العيد لأن الناس كانوا يكرهون سماع اللحن فكانوا إذا أدوا الصلاة خرجوا من المسجد فالزمهم بتقديم الخطبة لسماع المسبة ، ولكنهم كانوا إذا فرغوا من سماع الخطبة اجتمعوا - ولا سيما الطالبيون - بعد كل صلاة وصبوا لعناتهم على بني أمية جميعاً .

وحاض خطباء البلدان فسبوا على بن أبي طالب على المنابر بأمر الأمير وجاوز

خطباء بنى أمية حد النبوة والمروءة في الجهر بها ، ونطق بها عبد العزيز بن مروان
 فيمن نطق على منبر المسجد الجامع بفسطاط مصر ، ولكنه كان قصفاً فقلق
 ورحف وتعثر وتلعثم كلما هم بها ، فأحس القلوب تغضب ورأى النوحود تشيح
 وسمع الأقوه ترفر . ولكنه كان تقليداً مرسوماً ولم ينه أحد عنه ولو وجد من
 يكفه لكف .

وستمرت هذه العادة سارية إلى أن تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ،
 ولستمع أولاً إلى ما قاله الخليفة الزاهد فقد قال : « كان أبي إذا خطب قال
 من على رضى الله عنه تلجج فقلت : يا أبت ، إنك تمضى في خطبتك فإذا
 نيت على ذكر على عرفت منك تقصيراً قال : أوفطلت إلى ذلك ؟ قلت
 نعم . فقال : يا بني إن الدين حولنا لا يعلمون من على ما نعلم تفرقوا عنا
 إلى أولاده . »

ولكن عمر بن عبد العزيز كان قد عبه الصبا والنسيان فحين عاد إلى المدينة
 لطلب العلم خاص في البدعة وبرز إليها منارح أهله ولم يكن يعرف في نفسه
 حياءً لعن بن أبي طالب حتى دله عليه راهب قريش وفي ذلك يقول الخليفة
 الزاهد : كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت أكرم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
 بن مسعود فلبعه على شيء من ذلك فأتيته يوماً وهو يصلي فأطال الصلاة فتعدت
 أنتظر فرعه وبما فرغ من صلاته التفت إلى فقال لي : متى سمعت أن لله
 غضب على أهل بلروبيعة الرضوان بعد أن رضى عنهم ؟ قلت : لم أسمع
 ذلك قال : فما لدى معنى عك في على ؟ فقلت : معذرة إلى لله و إليك

وتركت ما كنت عليه ! » .

ورأى الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يمحو البدعة ويدفع الناس عن سفاسف الأمور فكان أول ما أمر به أن منع الناس عن السب وكتب بالمنع إلى جميع عماله وولاته وأمر أن يجعل بدل اللعن في خطبة الجمعة والأعياد قوله تعالى : (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) وقوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) .

ولما أبطل سب على أقبل عليه كثير عزه ينشده ويقول :

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف برياً ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وإنما تبين آيات الهدى بالتكلم
وصدقت معروف الذى قلت بالذى فعلت فأضحى راضياً كل مسلم
وبذلك يكون عمر بن عبد العزيز قد سجل مكرمة لا تنسى مدى الأجيال ،

وقد مدحه الشاعر السيد الشريف الرضى رحمه الله على ذلك فقال :

يا ابن عبد العزيز لو بكت الع ين قى من أمية لبيكتك
غير أنى أقول إنك قد ط ت وإن لم يطب ولم يرك بيتك
أنت نزهتنا عن السب والتف ف فلو أمكن الجزاء جزيتك
ولو أنى رأيت قبرك لأستحي ت من أن أرى وما حبيتك
وقليل إن لو بذلت دماء ال بدن ضرباً عن النرى وسقيتك

دير سمعان فيك مأوى أفي حفص بودى لىو أننى آوبتك
 دير سمعان لا أغلبك غيبث خير ميت من آل مروان ميتك^(١)
 وقد أثار سب الإمام على سحق الأختيار من المسلمين ولأن سب المسلم من
 أفحش المحرمات فقد أثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سب
 المسلم فسوق وقال أيضاً : « لا يكون المؤمن لعاناً » .

(١) لم يكف سب أمية سب هل بل إنهم حرّموا أن يذكر اسمه بين أيديهم ، وكان زريق
 مولى على بن أفي طاب قد حفظ القرآن وتقرّض ، ولكنه لم يرزق شيئاً من بيت المال فوجد على
 عمر فقال يا أمير المؤمنين : إني رجل من أهل المدينة ، وقد حفظ القرآن وتقرّض وليس لي عطاء
 في الديوان ، فقال عمر : ولم يرجمك الله ؟ من أي الناس أنت ؟ فقال زريق : رجل من موال
 بني هاشم .

فقال عمر : مولى من ؟ فسكت زريق وهم واحد من الناس أن يحجب فقال عمر لزريق : إليك
 أسألك ، وصاح به : أتكنمى من أنت ؟
 فقال زريق بصوت خافت كأنه يحوى : أنا مولى على بن أفي طالب (قد خاف أن يجهر) فقال
 عمر رافعاً صوته [وإن مولى على : أتكنمى ولأعلى] .
 حدثني معبد بن المسب عن سعد بن أفي وقد ص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كنت
 مولاه فعلى مولاه » ،

وقد عمر بن مروق : كنت بالشام وعمر بن عبد العزيز يعطى الناس فتقدمت إليه فقال لي :
 من أنت ؟ قلت : من قريش - قال من أي قريش قلت : من بني هاشم - قال : من أيهم
 فسكت فقال : من أي بني هاشم ؟ قلت مولى على بن أفي طالب .

فوضع يده على صدره وقال : أبا مولى على بن أفي طالب حدثني عدة أنهم سمعوا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول : من كنت مولاه فعلى مولاه ، ثم قال : يا مراحم كم تعطى أمثاله ؟ قال مراحم
 مائة درهم أو مائتين فقال : أعطه خمسين ديناراً لولائه لعلى بن أفي طالب عليه السلام ، ثم قال له
 عمر : الحق بلدك فيأتيك مثل نظرائك

فقد رأى الصحابي زيد بن أرقم المغيرة بن شعبة يعلن سب أمير المؤمنين ،
فانبرى له منكراً سبه للإمام قائلاً : « يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى عن سب الأموات فلم تسب علياً وقد مات ؟ » (١)

ومن الذين غضبوا لسب الإمام سعد بن أبي وقاص ، وقد قال لمعاوية :
« يا معاوية والله لأن يكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعل أحب إلى
من أن يكون له ما طلعت عليه الشمس ، والله لأن أكون صهراً لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولي من الولد ما لعل أحب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه
الشمس والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قال له فيه يوم
خير » لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، ليس بفرار
يفتح الله على يديه » أحب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، والله
لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قال في غزوة تبوك : « ألا
ترضى أن تكون نبي بمرتلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » أحب إلى من
أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس .

ولنستمع إلى المحاورة التي جرت بين معاوية وابن عباس فهي تكشف عن
الخطط التي سلكها معاوية في إخفاء مآثر الإمام وفي حجب مناقبه وفضائله :
ذكر المؤرخون أن معاوية بعد عام الصلح حج بيت الله الحرام فاجتاز على
جماعة من قريش فقاموا إليه سوى ابن عباس فبادره معاوية قائلاً :

— يا بن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلا لموجدة على

- بقتالى إياكم يوم صفين ؟ يا ابن عباس إن ابن عمى عثمان قتل مظلوماً .
- فعمربن الخطاب قد قتل مظلوماً فسلم الأمر إلى ولده وهذا ابنه - وأشار إلى عبد الله بن عمر -
- إن عمر قتله مشرك .
- فمن قتل عثمان ؟
- قتله المسلمون .
- فذلك أدحض لحجتك إن كان المسلمون قتلوه وخذلوه فليس إلا بحق .
- فإننا كتبنا إلى الآفاق تنهى عن ذكر مناقب على وأهل بيته فكف لسانك يا ابن عباس .
- فتنهانا عن قراءة القرآن ؟
- لا .
- فتنهانا عن تأويله ؟
- نعم
- فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به ؟
- العمل به .
- فكيف نعمل به حتى نعلم ما عني الله بما أنزل علينا ؟
- سل عن ذلك من تأويله على غير ما تناوله أنت وأهل بيتك .
- إنما أنزل القرآن على أهل بيتي أفأسأل عنه آل أبي سفيان وآل أبي معيط ؟
- فاقرءوا القرآن ولا تروا شيئاً مما أنزل الله فيكم ، وما قال رسول الله

وارووا ما سوى ذلك .

قال الله تعالى : (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

يا بن عباس اكفى نفسك وكف عني لسانك ، وإن كنت فاعلا فليكن سرا ولا تسمعه أحدًا علانية^(١) .

ومن أشد المنكرين لسب الإمام الشاعر كثير بن كثير السهمي ، وفي ذلك يقول :

لعن الله من يسب عليا	وحسبنا من سوقة وإمام
أيسب المطهرون جدودا	ولكرام الأخوال والأعمام
يأمن الطير والحمائم	ويأمن آل الرسول عند المقام
طبت بيتا وطاب أهلك أهلا	أهل بيت النبي والإسلام
رحمة الله والسلام عليهم	كلما قام قائم بسلام ^(٢)

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية ، فلما استقر به المجلس قام وغدأ ثم خطباً ، فافتتح خطابه بسب أمير المؤمنين ، وثقل ذلك على الأحنف فالتفت إلى معاوية وقد اسودَّ القضاء في وجهه مما داخله من الحزن قائلاً : « إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم ، فاتق الله يا معاوية ودع عنك علياً فلقد لقي ربه ، وأفرد بقره وخلي بعمه كان والله مروراً

(١) شرح لشيخ بن أبي الحديد

(٢) شرح بن أبي الحديد

في سبقه . أى إلى الإسلام . طاهر الثوب ميمون النقية عظيم المصيبة .
 فالتاع معاوية من هذا التفرع وتألم من هذا الشاء العاطر على الإمام على ،
 فالتفت إلى الأحنف قائلا : « يا أحنف لقد أغضبت العين على القذى وقت
 ما ترى ، أما والله لتصعدن المنبر وتلعن علياً كرهاً أو طوعاً » ، فقال له
 الأحنف : « إن تعفني فهو خير لك ، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجرى
 شفتي به أبداً » .

ولم يعن معاوية بكلامه وقال له : « قم فاصعد المنبر » .

أما والله لأنصفك في القول والفعل .

وما أنت قائل إن أنصفتي ؟

أصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأصلى على نبيه محمد صلى الله
 عليه وسلم ، ثم أقول : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمر أن ألعن علياً ،
 وإن علياً ومعاوية اختلفا واقتتلا ، فادع كل واحد منهما ثم نفى عنه
 وعلى فنته ، فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ، ثم أقول : اللهم ألعن أنت
 وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه ولعن الفئة الباغية ،
 اللهم ألعنهم لعناً كثيراً . أمنوا رحمكم الله - يا معاوية ، لا أريد على هذا
 ولا نقص حرف ولو كان فيه ذهب روجي .

فأروغ معاوية وقال : « إذا نعفيك يا أبا بحر » .

وماذا كانت النتيجة أورد معاوية تحطيم شخصية الإمام على ، وأرد الله

سبحانه وتعالى غير ذلك ، وها هو ذا قبر أمير المؤمنين كعبة للوافدين من المسلمين ،
وها هو ذا معاوية وقبره محطم استولى عليه الخوان ، ويقول أحد الشعراء في ذلك :

هذا ضريحك لو بصرت بنؤسه لأسال مدمعك المصير الأسود
كتل من التراب المهين بحربة سكر الذباب بها فراح يعربد
خفيت معالمها على زوارها فكأنها في مجهل لا يقصد
ومشى بها ركب الليلى فجدارها عاريكاد من الصراعة يسجد
واقفة الشقاء نكص طرفها فبكل جزء للقضاء بها يد
تهمى السحائب من خلال شقوقها

والريح في جنباتها تتردد

حتى المصلى مظلم فكأنه منذ كان لم يجتر به متعبد
رابعاً : من شروط الصلح التي اشترطها الإمام على معاوية أن يعطيه
خراج دارا مجرد ليرفه بذلك على الفقراء والمعوزين من شيعته ، ولكن معاوية
لم يف بذلك .

خامساً : وكان الشرط الخامس هو العهد بالأمان العام وعدم التعرض
لأنصار عليّ على الخصوص وأنصار ابنه بسوء أو مكروه ، ولكن معاوية
جعل من أهدافه القضاء على هذه الطبقة المؤمنة التي آمنت بحق أهل البيت ،
وقد لاقى أنصار أهل البيت من الأذى والاضطهاد ما تنوء بحمله الجبال ، وكان
أشدّهم بلاء وأعظمهم محنة وشقاء أهل الكوفة ، فقد استعمل عليهم معاوية
زياداً بعد هلاك المعيرة ، وكان بهم عالماً فأشاع فيهم القتل والإعدام وشردهم

وضردهم^(١)

وقيل : إن معاوية أرسل إلى جميع عماله وولاته رسالة جاء فيها : انظروا
إلى من قامت عليه نيسة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وسقطوا
عطاء ورقه .

وفي ذلك يقول لباقر رضي الله عنه : « وقتلت شيعة بكل بلدة وقطعت
لأيدي والأرجل على الطئة ، وكان من يذكر بحسبنا ولا تقطع إلينا سحر
أو هب ماله أو هدمت داره »^(٢) ، وأصبحت مودة أهل البيت كفر وإلحاداً
ومروق من الدين ، وفي ذلك يقول الكميت :

يشيرون بالأيدى إلى وقولهم ألا خاب هذا والمشيرون أجيب
فطائفة قد كفرتني بحكمهم وطائفة قالوا مسيء ومدب
يعيبوني من حبهم وضلالهم على حكم بل يسخرون وأعجب
وقالوا ترائى هواد ورأيه بذلك أدعى فيهم وأنقب
ويقول عبد الله بن كثير السهمي ، على من عابه على موالة أهل
البيت بقوله :

إن امرأة أمت معايبه حب النبي لغير ذي ذنب
وبني أبي حسن والدمم من طاب في الأرحام ولصوب
أبعد ذنباً أن أحهم بل حبه كفارة الذنب^(٣)

(٢) شرح من أبي حديد .

(١) شرح من أبي حديد .

(٣) نيسابور .

أما بلاء أهل ليت وما تعرضوا له من لاضطهاد واقتل والاعترب ، وهو بلاء تحملوه بالنصر الحميل مرصاة لله تعالى ، فإن أرجو أن يوفقني الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا موضوع الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله .

على أن جميع ما بدله معاوية لكي يجعل الخلافة والملك وراثية في دريته ، وقد بدل جميع جهوده ومسايعه في تحقيق ذلك .

ومن ذلك أنه بعد أن قل نصيحة زياد التي نصحه فيها بالتؤدة وألا يعمل وأن يترث مدة أخرى بعد ما بدأ المحاولة بالشام وعرضه الكثيرون . وكان مما قاله الأحف لمعاوية : « يا أمير المؤمنين ، إن قد فررنا عنك قريش فوجدناك أكرمها رندا وأشدّها عقداً وأوفاهها عهداً ، وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصاً ، ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت ليكون له الأمر من بعدك ، فإن تف فأنت أهل الوفاء ، وإن تعدر تعلم والله أن وراء الحسن خيولاً حياءاً وأذرعاً شداداً وسيوفاً حداداً ، إن تدن له سراً من عذر محمد وراءه باعاً من نصر ، وإنك تعلم أن أهل العراق ما أحوك منذ أبعضوك ولا أبعضو عنيّ وحسباً منذ أحوهم ، وما برز عليهم في ذلك غير من السماء وأن السيوف التي شهروها عليك مع علي يوم صفين لعل عواقبهم ، ولقلوب التي أبعضوك بها بين جوانحهم . والله إن الحسن لأحب إلى أهل العراق من علي . »

وقال الأحف بن قيس أيضاً : « يا أمير المؤمنين أنت أعلمنا ببيته ومهارة

وبسره وعلانيته ، فإن كنت تعلم أنه خير لك فوله واستخلفه ، وإن كنت تعلم أنه شر لك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة ، فإنه ليس لك من الآخرة إلى ما طاب . واعلم أن لا حجة لك عند الله إن قدمت يزيد على الحسن والحسين وأنت تعلم من هما وإلى ما هما ، وإنما علينا أن نقول : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

وكما قلت إزاء هذه المعارضة ، رأى معاوية أن يترىث ، ولكن إلى حين ، لأن الفكرة قد ملكت عليه فؤاده ، وكان يعلم أن خيرة الصحابة لن يبايعوا يزيد فرأى أن ينطلق إلى المدينة ليفاوضهم بمنهم مرة ويتوعدهم مرة أخرى لعله يستطيع أن يطوبهم بدعائه أو يشترهم بماله ، ودخل المدينة وبعث إلى عبد الله ابن عباس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، فلما اكتمل اجتماعهم قال لهم : « الحمد لله الذى أمرنا بحمده ووعدنا عليه ثوابه نحمده كثيراً كما أنعم علينا كثيراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد فإني قد كبرت سنى ووهن عظمى وقرب أجل وأوشكت أن أدعى فأجيب ، وقد رأيت أن أحلف عليهم بعدى يزيد ورأيت لكم رضاً وأنتم خيار قريش ولم يمنعى أن أحضر حسناً وحسيناً إلا أنهما أولاد أبيهما ، على حسن رأى فيهما وشديد محبتي لهما فردوا على أمير المؤمنين خيراً يرحمكم الله » وقد عارضه الجميع ، وكان مما قاله عبد الله بن عباس : « إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه اختار محمداً صلى الله عليه وسلم لرسالته واختاره لوحيه وشرّفه على خلقه فأشرف الناس

من تشرف به وأولاهم بالأمر أحقهم به ، وإنما على الأمة التسليم لنبينا إذا اختاره الله لما فإنه إنما اختار محمداً بعلمه وهو العليم الخبير .

وقال عبد الله بن جعفر : « الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه ، نحمده على إلهامنا حمده ونرغب إليه في تأدية حقه ، وأشهد أن لا إله إلا الله واحداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد فإن هذه الخلافة إن أخذ فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأى الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول ، وأيم الله لو تولوه بعد نبهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه وصدقته ولأطيع الله وعصى الشيطان ، وما اختلف في الأمة سيفان ، فاتق الله يا معاوية فإنك قد صرت راعياً ونحو رعية فانظر لرعيته إنك مشول عنها عدا ، وأما ما ذكرت من ابني عمي وتركك أن تحضرهما ، فوالله ما أصبت الحق ولا يجوز لك ذلك إلا بهما ، وإنك لتعلم أنهما معدن العلم والكرم فقل أودع وأستغفر الله لي ولكم » .

وبما قاله ابن الزبير : « اتق الله يا معاوية وأنصف من نفسك ، فإن هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ، وهذا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله ، وأنا عبد الله بن الزبير بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى خلف حسناً وحسيناً وأنت تعلم من هما وما هما فاتق الله يا معاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك » .

وقال عبد الله بن عمر : « إن هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا كسروية يتوارثها الأبناء عن الآباء ، ولو كان كذلك كنت انقائم بها بعد أبي ، فوالله

ما أذخني مع الستة من أصحاب الشورى إلا على أن الخلافة ليست شرطاً مشروط وإما هي في قريش خاصة لمن كان له أهل ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم من كان أتقى وأرضى ، فإن كنت تريد الفتيان من قريش فلعمري إن يزيد من فتياتها واعلم أنه لا يغني عنك من الله شيئاً .

ولستمع إلى رد معاوية قال : « قد قلت وقتم ، وإنه قد ذهبت الآباء وبقيت الأبناء ، فأبى أحب إلي من أبائهم ، وإما كان هذا الأمر لني عبد مناف لأنهم أهل رسول الله ، فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولي الناس أب بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة ، غير أنهما سارا سيرة جميلة ، ثم رجع الملك إلى بني عبد مناف ، فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة ، وقد أخرجك الله يا بن الزبير وأنت يا بن عمر مني ، فأما أبا عمي هذان ، فليس بخارجين من الرأي إن شاء الله » .

وأخيراً وجد أنه لن يظفر بما يريد ما دام الإمام حسن حياً وعلم أيضاً أنه لا يمكن إنجاز مهمته إلا بالتفكير في القضاء عليه ووجد في جعدة بن الأشعث « الأداة التي تمككه من تنفيذ خطته فأبوه الأشعث بن قيس كان ممن أرغم الإمام عبيداً على قبول التحكيم وإنه لبطمخ في أن يجد في الامة عوناً كما وجد في الأب عوناً وقيل إنها وضعت له لسم في اللبن وكان الإمام صائماً فتناول منه جرعة فلما وصل إلى جوفه تقطعت أمعؤه ، فقال وقد أحس بأنم شديد : « إنا لله وإنا إليه راجعون الحمد لله على لقاء محمد سيد المرسلين

وأبى سيد الوصيين وأبى سيدة نساء العالمين وعمى جعفر الطيار وحزمة سيد الشهداء» .

هذا يتفق أكثر المؤرخين أن الإمام مات مسموماً ، وذهب فريق آخر إلى أن يزيد هو الذى سم الإمام .

على أن ابن خلدون ينسب عن معاوية هذه الجريمة ويقول : « وما ينقل من أن معاوية قد دس السم إلى الإمام الحسن على يد زوجته حعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية ذلك » .

كما ذكر بعض المستشرقين روى عن موتة فليل أنه مات بالسل عندما بلغ من العمر خمس وأربعين سنة ، كما ذكر المؤرخ العالم أحمد بن سهل السلمي : إن الإمام كان يطوف في البيت الحرام فطعمه شخص لظهر قدمه بزح مسموم فتوفى على أثر ذلك ، وذكر الدكتور حسن إبراهيم أن بعض المؤرخين ذهب إلى أن الإمام مات خنقاً بعد رجوعه من العراق إلى يثرب بأربعين يوماً ، وفي مقاتل الطالبين قبل لأبى إسحاق : متى ذل الناس ؟ قال : حيث مات الحسن وادعى يزيد وقتل حجر بن عدي . وكان الحسن رضى الله عنه شرط على معاوية في شروط الصلح ألا يعهد إلى أحد بالخلافة بعده وأن تكون الخلافة له من بعده . قال أبو لفرح الأصفهاني : وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن وسعد ابن أبى وقاص قدس إليهما لسم فماتا منه . أرسل إلى ابنة الأشعث أتى مروءة يزيد ابني على أن تسمى الحسن وبعث إليها مائة ألف درهم ولم يزوجه منه

مخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها ، فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام غيرهم وقالوا : يا بني مسممة الأزواج ، وكان ذلك بعد ما مضى على إمارة معاوية عشر سنين وفي الاستيعاب قال ابن عبد البر : سم الحسن ابن علي ، سمته امرأته بنت الأشعث بن قيس الكندي .

وهناك شبه إجماع على أن الإمام الحسن مات بالسم ، فالشيعة يرون أن معاوية قد دس إليه من سمه ليخلوله ولابنه وجه الخلافة ، وكذلك مؤرخو الجماعة من أهل السنة ، يرون ذلك ويكثرون من روايته ، ويستشهد بعض المؤرخين على ذلك بأن الموت بالسم قد عرف في أيام معاوية بشكل غريب ومريب ، فقد مات الأشتر فيما يقول المؤرخون مسموماً في طريقه إلى ولاية مصر فحلصت مصر لمعاوية . وقال معاوية وعمرو : « إن لله جنداً من عسل » . ومات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مسموماً بحمص ، في خبر طويل ، وكذلك مات الحسن .

ويتحدث رجال التاريخ بأن الحسن قال لبعض عائديه في مرضه الأخير : « لقد سقيت السم مرات ، ولكني لم أسق قط سماً أشد عليّ من هذا الذي سقيته هذه المرة ، ولقد لقطت آنفاً قطعة من كبدي » .

وفي رواية أخرى : أنه لما عرف يزيد من والده معاوية اتجاهه في أن يقلب الخلافة إلى ملك ويجعله وراثياً يتعاقبه ولد عن والده ، صادف ذلك هوى في نفس يزيد لأنه يتوق إليه ويتمناه ، واختمرت الفكرة في نفس يزيد واستند به حب الملك عقب مقابلة المعيرة بن شعبة وترغيه في أن يكون ولي عهد أبيه .

فعل هذا ثالث دهاة العرب لما علم أن معاوية يريد أن يعزله عن ولاية
المصرة .

وقصد يزيد إلى أبيه وقال له : يا أبت ما أراك صنعت شيئاً لبنيك من
بعدك ، وما دبرت لهم أمراً ، وعهدى بك داهية العجم والعرب ورجل السياسة
والشجارب .

فابتسم له أبوه وقال : يا بني لم أغفل عن أمر ولكني مرتبط بعهد كتابي
بيي وبين الحسن بن عليّ على أن تكون له الخلافة بعدى إذا أنا قبضت قبله
فاتظر لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

وأنصرف يزيد يفكر ويدبر فهداه تفكيره إلى أن يتخلص من العقبة التي
تعرض ولايته للملك بعد أبيه فأرسل يزيد من بفاوض زوجته (جعدة بنت
الأشعث) في أن تسم الحسن مقابل مائة ألف درهم وأن يتزوجها يريد بعد
موت الحسن ، وكانت امرأة لعوباً تحب المال وتفضي في السلطان فأعمى الله
بصرها وبصيرتها وأخذت على رسول يزيد العهود والميثاق أن يبق بها وعد ثم
جعلت تدبر أمرها وتضع خططها ، وكانت جعدة قد علمت أن الحسن تزوج
امرأة اسمها (خولة بنت منظور) وأنها تعلقت به تعلقاً شديداً حتى لقد بات
ليلة على السطح فشدت خمارها برجله وجعلت الطرف الآخر يخلعها ،
فقام من الليل ، فقال : ما هذا : قالت خفت أن تقوم من الليل بوسك
فتسقط وأنت نائم فأكون أشأم سخلة على العرب وقد بينت ذلك من قبل ،
ويقال إنه رضى الله عنه كان يقوم كثيراً ثم يمشي وهو نائم فأحبها وأقام

عندها سبعة أيام لا يذهب إلى سواها علمت جعدة هذه القصة فلما جاء
 لحسن بكت في حضرة بكاء مراً وأظهرت من ضروب الشوق والحب والإحلاص
 ولوعة ما جعله يقبل على الطعام والشراب الذي قدمته إليه بشغف كثير ورغبة
 قوية . فلما أصبح لصباح أحسن ألماً في أمعائه أخذ يزداد رويداً رويداً
 حتى حيل إليه أنه يلفظ كبده . « وقيل إنه التفت إلى « جعدة » فقال لها :
 يا عدوة الله قتلني قتلك الله ، والله لا تصيب مني حرفاً ، ولقد عرك
 (يعني معاوية) وسخر منك يحزبك الله ويحزبه . »

ولقد أخزاه الله فعلاً فأصبحت مضرب الأمثال للسوء ولحزى والإثم
 ولحياة فقد أصبحت عاراً لدريتها وأبنائها من غير الإمام فقد وصموا بأبناء
 مسممة الأرواح ، ولقد سخر منها معاوية فلم يف لها بزواج يزيد حيث طلبت
 منه ذلك فقد ردها بسخرية واستهزاء قائلاً : « إنا نحب حياة يزيد ولولا ذلك
 لوينا لك بترويجه . »

ولكن كثيراً من المؤرخين يقولون إن الإمام مات مسموماً وإن معاوية
 وليس يزيد ، كما بينت سابقاً ، هو الذي رتب وفكر ودبر ، وإنه هو الذي دس
 إليه فقتله . ويقول عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين تعليقا على قصة
 السم (ولست أقطع بأن معاوية قد دس إلى الحسن من سمه ولكني لا أقطع
 كذلك بأنه لم يفعل) .

أما المستشرق « روابت م . روتلدس » و« لامنس » فقد ذكرا أن
 الإمام الحسن مات بالسل ، وهذا القول من الغرابة بمكان ولم يذهب إليه أحد

من المؤرخين فقد أجمعوا أنه مات مسموما ولم يصب بداء لس ، وقد كتب
لششرقون كما بينت سابقا جميع بحوثهم على هذا نظري في الخلو عن
التحقيق وفي الاعتماد على الافتراء والكذب .

وفي كتاب الصفوة ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه أن جمعة هي لتي
سمته وقال الشاعر في ذلك :

تعرفكم لك من سيرة تفرج عنك غيل لحر

يموت النبي وقتل الوصي وقتل الحسين وسم الحسن

وكانت آخر كلماته وهو يعاني من المرض ما قاله للصحابي : حنادة
بن أبي أمية قال للإمام رضي الله عنه : يا حنادة ، استعد لسفرك وحصل
زدك قل حول أحنك واعلم أنك تطلب لنديا والموت يظنك ، ولا تحمل
هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أت فيه ، واعلم أنك لا تكسب من
لما لك شيك فوق قوتك إلا كسبت فيه حاربا لعيرك ، واعلم أن الدين في حلالها
حساب ، وفي حرامها عقاب ، وفي الشبهات عتاب ، فأمر الدين بمنزلة
الميتة حد منها ما يكفيك فإن كان حلالا كسبت قد زهدت فيه ، وإن كان
حراما لم يكن فيه وزر فأخذت منه كما أخذت من الميتة ، وإن كان لعقاب
فالعقاب يسير ، واعمل لدينك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك
تموت عدا ، وإذا أردت عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فأخرج من دحل
معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل ، وإذا نازعتك إلى صحة الرجال حاجة
فاصحب من إذا صحته زانك ، وإذا أخذت منه صديق ، وإذا أردت

منه معاونة أعانك ، وإن قلت صدق قولك ، وإن صلت شد صوتك ،
 وإن مددت يدك بفضل مدها ، وإن بدت منك ثلثة سدها ، وإن رأى منك
 حسة عدها ، وإن سأله أعطاك ، وإن سككت عنه ابتدأك ، وإن نزلت بك
 إحدى الملمات واساك ، من لا تأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه
 الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق وإن تازعما متقسماً آثرك » .

وعن الحسن بن أبي العلى عن جعفر بن محمد قال الحسن بن على لأهل
 بيته إني أموت بالسم كما مات رسول الله فقال له أهل بيته ومن الذى يسمك
 قال جاريتي أو امرأتى فقالوا له : أخرجها من ملكك عليها لعنة الله فقال
 هيئات من إخراجها ومنيتى على يدها مالى منها محيص ولو أخرجتها ما يقتلتى
 غيرها كان قضاء مقضياً وأمرأ واجباً من الله فا ذهبت الأيام حتى بعث معاوية
 إلى امرأته قال : فقال الحسن : هل عندك من شرية لبن فقالت نعم وفيه
 ذلك السم بعث به معاوية فلما شربه وجد مس السم فى جسده فقال يا عدوة
 الله قتلتى قاتلك الله أما والله لا تصيين منى خلفاً ولا تنالين من القاسق
 عدو الله اللعين خيراً أبداً .

وفى اللحظات الأخيرة دخل عليه أخوه سيد الشهداء فلما نظر إلى ما يعانیه
 من ألم اغرورقت عيناه بالدموع .

فنظر إليه الحسن ، فقال له : ما يبكيك يا أبا عبد الله .

أبكى لما صنع بك .

واستشف الإمام الحسن بما سيجرى على أخيه من بعده فهان عليه ما هو

فيه وأرخى عينيه بالدموع وقال بنبرات مرتعشة حزينة : « إن الذي أوفى إلى سم أقتل به ، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله ، وقد ازدلف إليك ثلاثون ألفاً يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسي ذراريك ونسائك وانتهاج ثقلك » .

(وفي حلية الأولياء) روى بسنده عن عمير بن إسحاق قال : دخلت أنا ورجل على الحسن بن علي عليهما السلام نعوذه فقال يا فلان سلى قال لا والله لا نسألك حتى يعافيك الله ثم نسألك . قال ثم دخل ثم خرج إلينا فقال : سلى قبل ألا تسألني فقال بل يعافيك الله ثم أسألك . قال لقد ألقيت طائفة من كبدى وإني سقيت السم مراراً فلم أمتق مثل هذه المرة ، ثم دخلت عليه من الغد وهو يحود بنفسه ولحسين عليه السلام عند رأسه وقال : يا أخي من تنهم قال : لم لتقتله ؟ قال : نعم - قال : إن يكن الذي أظن فالله أشد بأمماً وأشد تنكيلاً وإلا يكن فما أحب أن يقتل بي برىء .

واشتد لوجع بالإمام فأخذ يعانى آلام الاحتضار فعم أنه لم يبق من حياته لعالية إلا بصع دقائق فالتفت إلى أهله قائلاً : « أخرجوني إلى صحن الدار ، أنظر في ملكوت السماء » فحملوه إلى صحن الدار ورفع رأسه إلى السماء وأخذ يتأذى ربه ويتضرع إليه قائلاً : « اللهم إني أحتسب عندك نفسى فأبها أعز الأنفس على لم أصب بمثلها اللهم آنس صرعتى وآنس فى انقرو حلقى » . ثم حضر فى ذمه عذر معاوية به ونكته لليهود فقال : « لقد حاقت

شرته ، والله ما وقي بما وعد ولا صدق فيما قال .
وأخذ يتلو أى الذكر الحكيم ويستهل إلى الله ويناجيه حتى وضعت
نفسه الزكية .

وصية الحسن إلى أخيه الحسين :

عن ابن عباس : هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين ،
أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه يعبده حتى عبادته
لا شريك له في الملك ولا ولي له من الدن والآخر وأنه خلق كل شيء فقدره تقديراً ،
وأنه أولى من عبده وأحق من حمد من أطاعه ورشد ومن عصاه غوى ومن تاب
إليه اهتدى فأبى أوصيك يا حسين بمن خلقت من أهلى وولدى وأهل بيتك
أن تصفح عن مسيئتهم وتقبل من محسنهم وتكون لهم حيفاً وائذاً وأن تدفنى
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أحق به وببيته فإن أبوا عنك فأشدك
الله بالقرابة التي قرب الله عز وجل منك والرحم الماسة من رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن لا تهريق من أمرى محجمة من دم حتى تلقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

وروى الحاكم في المستدرک أنه لما توفى أقام نساء بنى هاشم السوح عليه شهراً
وعن أبى جعفر قال : مكث الناس ييكون على الحسن بن علي وعظمت
الأسواق .

وروى أنه لما توفى الإمام الحسن دعا الحسين ابن عباس وعبد الرحمن بن

جعفر وعلى بن عبد الله بن عباس فأعانوه على غسله وحنطوه وألبسوه أكفانه وخرجوا به إلى المسجد فصلوا عليه .

الخلافا بشأن دفنه بجانب جده عليه الصلاة والسلام :

وقال المفيد : لما مضى لسبيله غسله الحسين رضى الله عنه وكفنه وحمله على سريريه ولم يشك مروان ومن معه من بنى أمية أنهم سيدفنونه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتجمعوا لذلك ، فلما توجه به الحسين رضى الله عنه إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدد به عهداً أقبلوا إليهم في جمعهم ، وقيل والله أعلم ، إن السيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عارضت في دفنه مع جده عليه الصلاة والسلام .

وروى أبو الفرج بسنده أن الإمام الحسن عليه السلام كان قد أرسل إلى السيدة عائشة رضى الله عنها أن تأذن له أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت نعم ما كان نبي إلا موضع قبر واحد . فلما سمعت بذلك بنو أمية قبل إن مروان قول : يارب أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع لرسول عليه الصلاة والسلام لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف ، وكادت انفتحة أن تقع بين بنى هاشم وبنى أمية .

ويقول ابن سعد عن الواقدي : لما احتضر الحسن قال ادفنوني عند أبي ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد الحسين رضى الله عنه أن يدفنه في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد

ابن العاص ، وكان والياً على المدينة فنعوه وقامت بنوهاشم لتقاتلهم .

وقيل إنه لما بلغ أبا هريرة أن مروان منع أن يدفن الإمام الحسن مع جده صلى الله عليه وسلم قال : « والله ما هو إلا ظلم ، يمنع الحسن أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لابن رسول الله » ، وقيل إنه قال : « رأيت لمومات ابن لموسي أما كان يدفن مع أبيه » .

ونطلق إلى الإمام الحسين وباشده الله وقال له : « أليس قد قتل أخوك ، إن خفت أن يكون قتال فردوني إلى مقبرة المسلمين » .

وحاشت لتأني دفنه عند جده . تثير على أشباعه رجع الحرب أتدنى لما الويلات مستوجب السوى إليه وتقضى عنه مستوجب (القرب) وكان موقف بنى أمية من تشيع حنارة الإمام الحسن موقفاً مريباً ، فلم يشهد جنازته أحد منهم إلا سعيد بن العاص ، مع أن الإمام الحسن سالمهم وحقن دماءهم ودماء المسلمين ، ولكن أهل المدينة خرجوا جميعاً لتشيعه حتى لو طرحت في البقيع إبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان ، كما قال ثعلبة بن أبي مالك .

وقال الحسين رضي الله عنه : « والله لولا عهد لحسن بحقن الدماء ، وأن لا أهرق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها ، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا ، ومضوا بالحسن رضي الله عنه فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد .

وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار ، وابن عبد البر في الاستيعاب : أنه

قبل : لما بلغ معاوية موت الحسن رضى الله عنه مسجد ، وسجد من حوله ، وكبر وكبر وأمع .

وقد وصف الفضل بن العباس شئانة معاوية فقال :

أصبح اليوم ابن هند شامتاً	ظاهر النخوة إذ مات الحسن
رحمة الله عليه إنه	ظالماً أشجى ابن هند وأرن
استراح اليوم منه بعده	إذ ثوى رهناً لأحداث الزمن
فارتع اليوم ابن هند آمناً	إنما يقمص بالعر السمن
لست بالباقي فلا تشمت به	كل حي بالمتابا مرتهن
يا ابن هند إن تلق كأس الردى	تلك في الدهر كشىء لم يكن

وروى أنه وفد عبد الله بن عباس على معاوية .

قال : فوائته إني لقي المسجد إذ كبر معاوية في الخضراء ، فكبر أهل الخضراء ، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء ، فخرجت فاخنة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل من خوخة لما فقالت : سرك الله يا أمير المؤمنين ، ما هذا الذي بلغك فسررت له ؟

قال : موت الحسن بن علي .

فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم بكى وقالت : مات ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال معاوية : نعم والله ما فعلت ، إنه كان كذلك أهلاً لأن يبكى عليه .

ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فدخل على معاوية .

فقال معاوية : علمت يا ابن عباس أن الحسن قد تولى .

قال : أذلك كبرت ؟ قال : نعم .

قال ابن عباس : والله ما موته بالذى يؤخر أجنبك ولا حفرته سادة حفرتك
ولئن أصابنا به فقد أصابنا بسيد الأوصياء فحبر الله تلك المصيبة ورفع تلك
العرة .

فقال : ويحك يا ابن عباس ما كلمتك إلا وجدت معداً .

ولما نعى الإمام إلى البصرة وذلك في إمارة زياد بن سمية بكى الناس
فسمع الضحجة أبو بكره أخوزياد وكان مريضاً : فقال ما هذا ؟ فقالت له
روحته : مات الحسن بن علي وأظهرت الشهادة في موته ، فقال لها : اسكتي
ويحك فقد أراحه الله من شر كثير وفقد الناس موته خيراً كثيراً يرحم الله
حسناً

وكانت وفاته رضى الله عنه بالمدينة في يوم الخميس لليلتين بقيت من صفر
سنة خمسين من الهجرة .

ولحقه هذا انفصل بما قاله أبو لشهداء الإمام الحسين رضى الله عنه مرثياً
لإمام علي قهره :

رحمك الله أبا محمد ، إن كنت لتناصر الحق مظانه وتؤثر الله عند
الاندحاض في مواطن الثقة بحسن الروية وتستشف جليل معاطم الدين بعين لها
حارقة وتمييز عليها يدا طاهرة الأطراف نقية الأسرة وتردع نادرة عرت أعداءك
بأسر المؤنة عليك ، ولا غرو فأنت ابن سلالة الشوة ورضيع لبان الحكمة فأبلى

روح وريحان وجنة نعيم اعظم الله لك ولكم الأجر عليه ووهب لك ولكم
حسن الأسى عنه .

ثم جنس على تقروأشد :

أأدهن رُسى أم تطيب محاسنى وحسبك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المرن من غير مائه وقد ضمن الأحشاء منك لبيب
أو استمتع لندىا لشيء أحبه إلى كل ما أدنى إليك حبيب
سأبكيك لما ناحت حمامة أيكه وما أحضر في دوح الحجاز قضيب
غريب وأكاد الحجاز تحوطه ألا كل من تحت لترات غريب
فلا يفرح الدقى بعد الذى مضى فكل فتى للموت فيه نصيب
وليس حرياً من أصيب بماله ولكن من وارى أخاه حريب
نكأنى طويل والدموع غزيرة وأنت بعيد والمزار قريب
نسيك من أمسى بنا حيث طيفه وليس من تحت التراب نسيب
وقال ابن قتيبة :

« ولم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن إلا يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام وكتب
ببعثته إلى الآفاق » .

وقال ابن الأثير « وكان ابتداء ذلك وأوله من المعيرة بن شعبة بن معاوية
أراد أن يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن لحاص فبلغه ذلك . فقال :
الرأى أن أشخص إلى معاوية فأستعفيه ليظهر للناس كراحتي للنوالة . فسر إلى
معاوية وقال لأصحابه حين وصلى إليه : إن لم أكسبكم الآن ولاية وإمارة لا أفعل

ذلك أبداً ، ومضى حتى دخل على يزيد ، وقال له : إنه ذهب أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكبراء قريش وذود أسنانه وإنما بقي أنساؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنة ، والسياسة ، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة قال : أوترى ذلك يتم ، قال : نعم .

فدخل على أبيه وأخبره بما قال المغيرة ، فأحضر المغيرة وقال له : ما يقول يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفي يزيد خلف فاعقد له فإن حدث بك حادث كان كهفاً للناس وحلفاً منك ولا تسفك دماء ، ولا تكون فتنة ، قال : ومن لى بهذا ؟ قال : أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك قال : فارجع إلى عملك وتحدث مع من تثق إليه في ذلك وترى ويرى .

فودعه ورجع إلى أصحابه فبادروه بالسؤال عن مصيره فأجابهم : « لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً » .

وسار المغيرة حتى انتهى إلى الكوفة فتفاوض بمهمته جماعة ممن عرفهم بالولاء والإخلاص للبيت الأموي فأجابوه إلى ما أراد ، فأوفد منهم عشرة إلى معاوية بعد أن أرشاهم بثلاثين ألف درهم وجعل عليهم عميداً ولده موسى ، فلما انتهوا إلى معاوية جندوا له الأمر ودعوه إلى إنجازهم فشكرهم معاوية وأوصاهم بكتان الأمر ثم انتفت إلى ابن المغيرة ، وقال له : « بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم ؟ » .

فقال : بثلاثين ألف درهم .

فضحك معاوية وقال : « لقد هان عليهم دينهم ! »^(١)

وتواطأ معاوية مع رؤساء الوفود المناصحين له أن يخطبوا ويدكروا فضل يزيد ، فلما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار وفيهم الأحنف بن قيس ، دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري ، فقال له : إذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامي فاستأذن للقيام فإذا أذنت لك ، فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذي يحق له من حسن انشاء عليه ، ثم ادعني إلى توليته ، ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبيد الله بن مسعدة القراري وثور بن معن لسلمي وعبد الله بن عصام الأشعري فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحاك وأن يصدقوا قوله ، فقام هؤلاء نفر خطباء يشيدون بيزيد إلى أن قام الأحنف بن قيس ، ولم يكن من الممثلين الذين رتبهم معاوية لهذه الرواية ، فقال : « أصلح الله الأمير إن الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف ومعروف زمان مؤتلف ، وقد حلبت الدهور وحربت الأمور فاعرف من تستند إليه الأمر بعدك ثم اعص من بأمرك ، ولا يغرك من يشير عليك ولا ينظر إليك ، مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ما دام الحسن حياً ، ثم أردف قائلاً « وقد علمت يا معاوية أنك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصاً ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت ليكون له الأمر من بعدك ، فإن تف فأنت أهل الوفاء وإن تغدر تطلم ، والله إن وراء الحسن خيولاً جياداً

(١) تاريخ الطبري ، وتكامل لابن لأثير

وأذعرا شداداً وسيوفاً حداداً ، وإن تدن له شراً من غدر نجد وراءه باعاً من نصر ، وإنك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك ولا أبغضوا علياً وحسناً منذ أحبوهما وما نزل عليهم في ذلك غير من السماء ، وإن السيوف التي شهروها عليك مع على يوم صفين لعل عواتقهم والقلوب التي أبغضوك بها لين حواتجهم » .

ولما رأى الأحف تصمم معاوية على فرض ابنه خليفة للمسلمين ابى إلى قائلاً : « يا أمير المؤمنين ، أنت أعلمت بليله ونهاره وبسره وعلايته ، فإن كنت تعلم أنه خير لك قوله واستخلفه ، وإن كنت تعلم أنه شر لك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة ، فإنه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب ، واعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدمت يزيد على الحسن والحسين وأنت تعلم من هما وإلى ما هم وإنما علينا أن نقول سمعت وأطعنا عفرانك ربنا وإليك المصير ^(١) » .

ومن هذا تبين أن معاوية حاول البيعة لاسه يزيد في حياة الحسن بن علي وإن كان آخرون يقولون بأن البيعة يزيد إنما وقعت بعد وفاة الحسن حتى قال أبو الفرج : « إنه سم الحسن وسعد بن أبي وقاص تمهيداً لبيعة ابنه يزيد » . ومعنى هذا أنه قد كان لمعاوية محاولتان :

إحدهما : في حياة الحسن برغم ما تعهد به وهي إنما فشلت لمكان وجود صاحب العهد حينئذ .

والثانية بعد وفاة الحسن عليه السلام وهي التي تمت بأساليب الظالمة التي

عرضها أكثر المؤرخين ، فعزل مروان عن المدينة حين عجز عن أخذ البيعة على أهلها ليزيد وولى المدينة سعيد بن العاص فأظهر الغلظة وأحذم بالعزم والشدّة ولم يحبه أحد من بني هاشم ، وذهب مروان إلى المدينة غاضباً وكتب معاوية إلى عبد الله بن عباس وإلى عبد الله بن الزبير ، وإلى عبد الله بن جعفر وإلى الحسين بن علي يدعوهم إلى البيعة ليزيد وكان مما قاله للإمام الحسين رضى الله عنه : « أما بعد فقد انتهت إلى منك أمور ، لم أكن أظنك بها ، رغبة بك عنها ، وإن أحق الناس بالوفاء من كان مثلك في حظرك وشرفك ومثلثك لى أنزلك الله بها ، فلا تنازع إلى قطيعتك واتق الله ولا تردن هذه الأمة فتنة ، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد ، ولا يستخفك الدين لا يوقنون .

فكتب إليه الحسين رضى الله عنه كتاباً جاء فيه : « أما بعد فقد جاءنى كتابك ، تذكر فيه أنها انتهت إليك منى أمور لم تكن تظننى بها رغبة فى عنها وأن الحسنة لا يهدى لها ولا يسدد عليها إلا الله تعالى ، وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عني فإنما رقد الملاقون لمشأون بالنسيمة المرقون بين الجمع ، وكذب العدوون المرقون ، ما أردت حرباً ولا خلافاً ، . . . إلى أن قال : « وقلت فيما قلت : لا ترد هذه الأمة فى فتنة . وإلى لا أعلم فتنة لها أعظم من مارتك عنى . . . إلخ » .

وقدم معاوية بعد ذلك إلى المدينة وبعد ذلك إلى مكة ، ويقول ابن الأثير : « وسبقه الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر

إليها ، وثا كان آخر أيامه بمكة أحضر هؤلاء وقال لهم : إني أحببت أن أتقدم إليكم أنه قد أعلن من أنذر ، إني كنت أخطب فيكم فيقوم إليّ القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فأحمل ذلك وأصفح ، وإني قائم بمقالة فأقسم بالله لئن ردّ على أحدكم كلمة في مقامى هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه ، فلا يقين رجل إلا على نفسه ، ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال : أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ، ومع كل واحد سيف ، فإن ذهب رجل منهم يردّ على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما . ثم خرج وخرجوا معه ، حتى أتى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يترأمر دونه . ولا يقضى إلا عن مشورتهم ، وإنهم قد رضوا وباعوا يزيد فباعوا على اسم الله . فباع الناس .

وهكذا ولدت بيعة يزيد بالسيف المشهورة على رؤوس الناس ، وهل هذه هي خلافة المسلمين ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخرج له لبحارى في صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام : « ما من وال يلى رعية من المسلمين فيموت وهو غاس لم إلا حرم الله عليه الجنة » . وحين قال صلى الله عليه وسلم : « الخلافة بعدى ثلاثون ثم تصير ملكاً عضوداً » . وقد كملت الثلاثون سنة خلافة الإمام الحسن عليه السلام ، ثم صارت ملكاً عضوداً .

وختتم هذا الفصل بما قاله الشاعر الموهوب سيدان بن قتيبة في رثاء الإمام الحسن .

يا كذب الله من نعى حسناً
كنت خليلي وكنت خالصتي
-أجول في الدار لا أراك وفي
بدلتهم منك ليت أنهم
ليس لتكذيب نعيه ثمن
لكل حي من أهله مكن
الدار أناس جوارهم غبن
أضحوا وبنى وبينهم عدن
وكذلك رثاه الشاعر قيس بن عمر بأبيات ذكر فيها جريمة بنت الأشعث ،
وذكر فضل الإمام وجوده :

جعدة ابكينه ولا تسأمي
لم يسبل السر على مثله
كان إذا شبت له ناره
كما يراها يائس مرملة
بعد بكاء المعول الناكل
في الأرض من حاف ومن ناعل
يرفعها بالسند القاتل
وفرد قدم ليس بالآهل
أنضجه لم يغفل من آكل
للزمن المستخرج الماحل
أعنى الذي أسلمنا هلكه

المراجع

- ١ القرآن الكريم
- ٢ تفسير محمد بن علي بن محمد الشوكاني
- ٣ سيرة نبي : عبد الملك بن هشام
- ٤ أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين
- ٥ لإمام الحسن : الأستاذ باقر شريف القرشي
- ٦ صلح الحسن : الشيخ راضي آل ياسين
- ٧ نفثة الكري : المعفور له الدكتور طه حسين
- ٨ نور الأبصار في مناقب آل بيت نبي المختار :
شيخ سيد الشبلجي
- ٩ مقاتل الطالبين : أبو الفرج الأصفهاني
- ١٠ حلية الأولياء : أبو نعيم الأصفهاني
- ١١ لإمام الحسن : الأستاذ حسن كامل المطاوي
- ١٢ لإجماع في التشريع الإسلامي : السيد محمد صادق الصدر
- ١٣ نظرية الإمامة : الدكتور أحمد صبحي
- ١٤ حياة أمير المؤمنين في عهد النبي : محمد صادق الصدر
- ١٥ ذخائر العقبى : محيي الدين الطبري
- ١٦ شرح نهج السلاعة : ابن أبي لحديد

- ١٧ - طبقات ابن سعد : ابن سعد
- ١٨ - فاطمة وبنات محمد : لامس
- ١٩ - كشف الغمة : عبد الوهاب الشعراني
- ٢٠ - الحسن والحسين : الأستاذ محمد رضا
- ٢١ - الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والإثني عشرية
للأستاذ محمد حسن الأعظمي
- ٢٢ - الحسن بن علي : للأستاذ كامل سليمان
- ٢٣ - الرياض النضرة : محب الدين الطبري
- ٢٤ - البداية والنهاية : ابن كثير
- ٢٥ - الكامل : ابن كثير
- ٢٦ - الإصابة في تمييز الصحابة : لا بن حجر
- ٢٧ - تاريخ الخلفاء للسيوطي
- ٢٨ - تاريخ الأمم الإسلامية : للشيخ الحضري
- ٢٩ - الرسول في القرآن الكريم : الأستاذ حسن كامل الملطوي
- ٣٠ - فضائل الرسول صلى الله عليه : للأستاذ حسون الدلق
في المعقول والمنقول
- ٣١ - الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الأطهار
للأستاذ حسون الدلق
- ٣٢ - فضائل الخمسة من الصحاح الستة : للأستاذ السيد مرتضى الحسيني

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٧
الإمام الحسن	١٥
الزهاء والحن	٤١
الحسن مع الإمام على	٤٥
مع الشيخين	٥٣
الحسن والخليفة الثالث	٦١
الكوفة وبيعة الإمام الحسن	١٢٥
سياسة الحسن قبل الحرب	١٢٩
أسباب الصلح	١٥٣
فلسفة صلح الحسن	١٩٨
من الذى طلب الصلح (وما لاقاه الإمام الحسن بسببه)	٢٠٧
مقدمة.. الحسن والحسين	٢٣٢
موقف الإمام الحسن	٢٣٨

